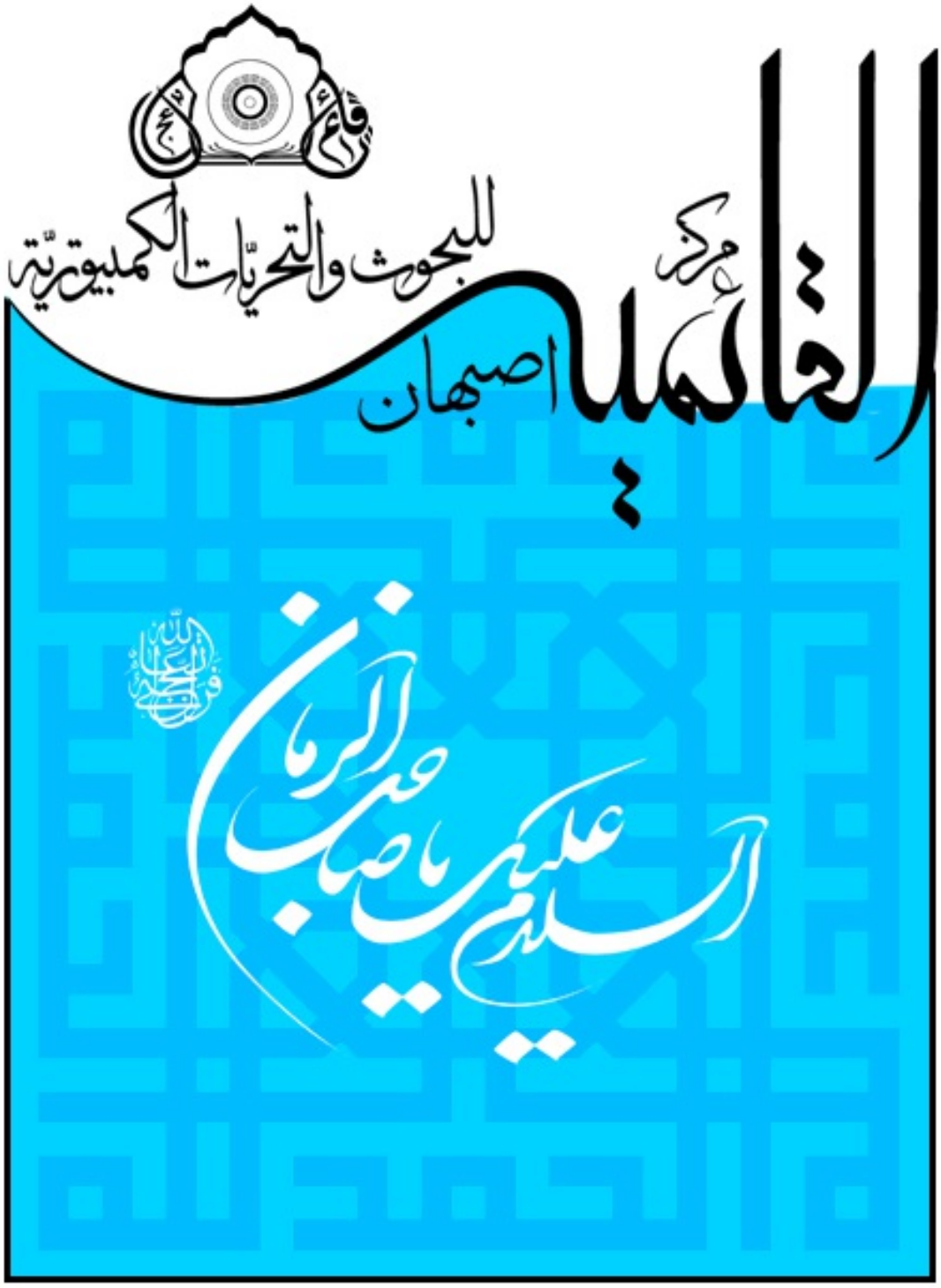

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

جلد ١

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس تحليلية

بسم الله الرحمن الرحيم

النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره

كاتب:

جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی

نشرت فی الطباعة:

وزاره الثقافه والارشادالقومی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۱ ----- ۸
اشارة ----- ۸
مقدّمة لکتب التراث العربی ----- ۸
تصدیر ----- ۹
مقدمة ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
وصفه ----- ۱۱
ترجمته الی اللغات الأوربیة ----- ۱۱
ترجمته إلی اللغة الترکیة ----- ۱۱
اختصاره ----- ۱۱
اهتمام علماء أوروبا بنشره ----- ۱۱
اهتمام دار الکتب المصریة بنقل نسخة منه ----- ۱۲
اهتمام الحکومة المصریة بطبعه ----- ۱۲
العنایة التامة بتصحیحه ----- ۱۲
ترجمة المؤلف ----- ۱۳
ترجمة المؤلف عن الضوء اللامع فی أعیان القرن التاسع للسخاوی ----- ۱۶
ترجمة المؤلف عن شذرات الذهب فی أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلی فی حوادث سنة ۸۷۴ ه ----- ۱۸
حدیث ابن إیاس عن المؤلف ----- ۱۹
مؤلفاته و لابن تغری بردی عدا کتاب «النجوم الزاهرة» الکتب الآتیة: ----- ۱۹
فهارس الکتاب ----- ۲۰
[خطبة المؤلف] ----- ۲۰
ذکر فتح مصر لابن عبد الحکم و غیره ----- ۲۱

ذکر ما ورد فی فضل مصر من الآیات الشریفة و الأحادیث النبویة ----- ۳۰
ذکر ما ورد فی نیل مصر ----- ۳۳
ذکر ما قیل فی سبب تسمیة مصر بمصر ----- ۳۹
[ذکر من ملک مصر قبل الاسلام] ----- ۴۳
ذکر ولایة عمرو بن العاص الأولی علی مصر ----- ۴۵
[ذکر بناء جامع عمرو بن العاص بمصر رضی اللّه عنه ----- ۴۷
ذکر ولایة ابن أبی سرح علی مصر ----- ۵۲
ذکر استیلاء محمد بن [أبی] حذیفة علی مصر ----- ۵۹
ذکر ولایة قیس بن سعد بن عبادة علی مصر ----- ۵۹
ذکر ولایة الأشتر النّخعیّ علی مصر ----- ۶۲
ذکر ولایة محمد بن أبی بکر الصدّیق رضی اللّه عنه علی مصر ----- ۶۴
ذکر ولایة عمرو بن العاص ثانیا علی مصر ----- ۶۷
ذکر ولایة عتبة بن أبی سفیان علی مصر ----- ۷۱
ذکر ولایة عقبة بن عامر علی مصر ----- ۷۳
ذکر ولایة مسلمة بن مخلد علی مصر ----- ۷۵
ذکر ولایة سعید بن یزید علی مصر ----- ۸۵
ذکر خلافة معاویة بن یزید بن معاویة بن أبی سفیان الأمویّ ثالث خلفاء بنی أمیّة و وفاته ----- ۸۸
ذکر ولایة عبد الرحمن بن جحدم علی مصر ----- ۸۸
ذکر ولایة عبد العزیز بن مروان علی مصر ----- ۹۱
ذکر ولایة عبد اللّه بن عبد الملک علی مصر ----- ۱۰۶
ذکر ولایة قرّة بن شریک علی مصر ----- ۱۰۹
ذکر ولایة عبد الملک بن رفاعة الأولی علی مصر ----- ۱۱۵
ذکر وفاة موسی بن نصیر المذکور ----- ۱۱۷
ذکر ولایة أیوب بن شرحبیل علی مصر ----- ۱۱۷

ذکر ولایة بشر بن صفوان علی مصر ---- ۱۲۰
ذکر ولایة حنظلة بن صفوان الأولی علی مصر ---- ۱۲۳
ذکر ولایة محمد بن عبد الملک علی مصر ---- ۱۲۶
ذکر ولایة الحرّ بن یوسف علی مصر ---- ۱۲۶
ذکر ولایة حفص بن الولید الأولی علی مصر ---- ۱۲۸
ذکر ولایة عبد الملک بن رفاعة الثانیة علی مصر ---- ۱۲۹
ذکر ولایة الولید بن رفاعة علی مصر ---- ۱۲۹
ذکر ولایة عبد الرحمن بن خالد علی مصر ---- ۱۳۴
ذکر ولایة حنظلة بن صفوان الثانیة علی مصر ---- ۱۳۵
ذکر ولایة حفص بن الولید ثانیا علی مصر ---- ۱۳۹
ذکر ولایة حسّان بن عتاهیة علی مصر ---- ۱۴۳
ذکر ولایة حفص بن الولید الثالثة علی مصر ---- ۱۴۴
ذکر ولایة حوثرة بن سهیل علی مصر ---- ۱۴۵
ذکر ولایة المغیرة بن عبید اللّه علی مصر ---- ۱۴۹
ذکر ولایة عبد الملک بن مروان علی مصر ---- ۱۵۰
ذکر بیعة السفّاح بالخلافة ---- ۱۵۱
ذکر ولایة صالح بن علیّ العباسیّ الأولی علی مصر ---- ۱۵۳
ذکر ولایة أبی عون الأولی علی مصر ---- ۱۵۴
ذکر ولایة صالح بن علیّ العباسیّ ثانیا علی مصر ---- ۱۵۶
ذکر ولایة أبی عون الثانیة علی مصر ---- ۱۵۸
ذکر ولایة موسی بن کعب علی مصر ---- ۱۶۰
ذکر ولایة محمد بن الأشعث علی مصر ---- ۱۶۲
ذکر ولایة حمید بن قحطبة علی مصر ---- ۱۶۳
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۱۶۵

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۱

اشارة

سرشناسه : ابن تغری بردی، یوسف بن تغری بردی، ۸۱۳-۸۷۴ق.

عنوان و نام پدیدآور : النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره/ تالیف جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی.

وضعیت ویراست : [ویراست ؟].

مشخصات نشر : قاهره: وزاره الثقافه والارشادالقومی، الموسسه المصریه العامه، ۱۳۴۲.

سال چاپ: ۱۳۹۲ ه. ق

نوبت چاپ: اول

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱۶

مشخصات ظاهری : ۱۶ج. (درسه مجلد).

یادداشت : عربی.

یادداشت : جلد سیزدهم تاجلد شانزدهم توسط فهیم محمد شلتوت، جمال‌الدین شیال و ابراهیم علی طرخان تصحیح‌شده توسط الهیئه‌المصریه‌العامه للتالیف و النشر منتشر گردیده است.

یادداشت : ج.۱، ۲، ۳، ۴، ۷ ، ۸ ، ۱۱ و ۱۲ (چاپ ؟: ۱۳).

یادداشت : ج. ۱۵ (چاپ؟: ۱۳۹۱ق. = ۱۹۷۱م. = ۱۳۵۰).

یادداشت : ج.۱۶ (چاپ؟ = ۱۳۹۲ق. = ۱۹۷۲م. = ۱۳۵۱).

یادداشت : بالای عنوان: تراثنا.

یادداشت : کتابنامه.

عنوان دیگر : تراثنا.

موضوع : مصر -- شاهان و فرمانروایان

موضوع : مصر -- تاریخ -- ۱۹ - ۸۹۷ق.-- سالشمار.

شناسه افزوده : شلتوت، فهیم محمد، مصحح

شناسه افزوده : شیال، جمال‌الدین، مصحح

شناسه افزوده : طرخان، ابراهیم علی، مصحح

رده بندی کنگره : DT۹۵/الف۲ن۳ ۱۳۴۲

رده بندی دیویی : ۹۶۲/۰۲

شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۵۵۴۷

مقدّمة لکتب التراث العربی

بقلم السید الدکتور محمد عبد القادر حاتم وزیر الثقافة و الإرشاد القومی إن الأمم العظیمة لا ترضی، و لا تستطیع، أن تنسلخ عن

تاریخها، و تاریخها هو وعاء ثقافتها و حضارتها، فی حقب هذا التاریخ نشأت و نمت و تطوّرت، و اجتازت محنا، و حققت مجدا. و کما أن سجل هذه الأحداث تشهد به الآثار الباقیة من عمارة و مشروعات فإن الکلمة المکتوبة کانت منذ قدیم سجلا لتراث الأمم، سردا لتاریخها، و تصویرا لآمالها و عواطفها شعرا و نثرا، و تسجیلا للآراء السائدة فی عصورها المختلفة، مما یرتفع أحیانا الی مرتبة الحکمة و المذهب الفلسفی، و مما لا یزید علی أن یکون خطرات لأفراد.

و نهضتنا الحاضرة، التی انبثقت فی جمیع میادین الحیاة، منذ فجر ۲۳ یولیو سنة ۱۹۵۲، لم تتنکر لماضی أمتنا العربیة، و لم تغفل تراثنا الاسلامی العریق.

ففی الوقت الذی تعمل فیه علی التطوّر تحت رایة العلم، و فی رکبه الزاحف، ترعی تراثها العریق الذی کانت أشعته تضیء ظلام العالم فی أیام ازدهار ماضینا.

فکما أن رئیسنا و قائد ثورتنا یعلن فی "المیثاق الوطنی "أن العلم هو السلاح الحقیقی للإرادة الثوریة، و من هنا الدور العظیم الذی لا بد للجامعات و لمراکز العلم علی مستویاتها المختلفة أن تقوم به ... و العلم هو السلاح الذی یحقق النصر الثوری، یعلن کذلک أن العمل العظیم الذی تمکن الشعب من إنجازه بالثورة الشاملة ذات الاتجاهات المتعدّدة، قد تحقق بفضل ضمانات تمکن النضال الشعبی من توفیرها، و منها وعیه العمیق بالتاریخ و أثره علی الإنسان المعاصر من ناحیة، و من ناحیة أخری لقدرة هذا الإنسان علی التأثیر فی التاریخ؛ و منها إیمان لا یتزعزع بالله، و برسله، و رسالاته القدسیة التی بعثها بالحق و الهدی إلی الإنسان فی کل زمان و مکان.

و أن مشعل الحضارة انتقل من بلد إلی بلد، لکنه فی کل بلد کان یحصل علی زیت جدید یقوی به ضوءه علی امتداد الزمان.

و أن شعبنا، إلی جانب ما قام به من تحمل المسئولیة المادیة و العسکریة فی صدّ أول موجات الاستعمار الأوربی، و ردّ غزوات التتار، قد تحمل کذلک المسئولیة الأدبیة فی حفظ التراث الحضاری العربی و ذخائره الحافلة.

و أنه یتعین علینا أن نذکر دائما أن الطاقات الروحیة التی تستمدها الشعوب من مثلها العلیا النابعة من أدیانها السماویة، أو من تراثها الحضاری، قادرة علی صنع المعجزات.

و فی ضوء هذه التوجیهات تقوم المؤسسة المصریة العامة للتألیف و الترجمة و الطباعة و النشر بمساهمتها فی نشر التراث العربی، کجزء من برامجها التی تساهم فیها بنشر الثقافة الحدیثة بجمیع فروعها.

و هی فی ذلک تقدم هذه الخدمة الثقافیة للأمة العربیة فی جمیع أجزاء الوطن العربی الکبیر، فإن هذا التراث ثمرة العقول العربیة فی خمسة عشر قرنا من الزمان، و فی جمیع الوطن العربی من غربیه إلی شرقیه، و من شماله إلی جنوبیه، متضمنا ما کتبه أسلافنا فی إفریقیا و آسیا و أوروبا نفسها فی الأندلس العظیمة.

و حسبنا فی بیان أهمیة هذا التراث أنه باللغة العظیمة التی تجمعنا- نحن العرب جمیعا- و أنه یتصل بتاریخنا، نحن العرب جمیعا.

فلقد قال الرئیس جمال عبد الناصر فی "المیثاق الوطنی:"

"یکفی أن الأمة العربیة تملک وحدة اللغة التی تصنع وحدة الفکر و العقل...

و یکفی أن الأمة العربیة تملک وحدة التاریخ التی تصنع وحدة الضمیر و الوجدان."

و اللّه الموفق فیما نقصد و ما نعمل.

الدکتور محمد عبد القادر حاتم

القاهرة فی المحرم سنة ۱۳۸۳ ه یونیه (حزیران) ۱۹۶۳ م بسم اللّه الرّحمن الرّحیم کتاب النجوم الزاهرة

تصدیر

هذا كتاب كبير يؤرخ لمصر منذ الفتح الإسلامى من سنة ۲۰ ه إلى خلال سنة ۸۷۲ ه ألفه جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى القاهرى المولد و الوفاة.

و قبل أن يصدر القسم الأدبى بدار الكتب الجزء الأوّل من هذا الكتاب كان المستشرق الهولندى «يونبل» قد نشر منه بين سنتى (۱۸۵۱، ۱۸۵۵) مجلدين كبيرين يشتملان على الأحداث من سنة ۲۰ ه إلى سنة ۳۶۵ ه، و من بعده نشر المستشرق الإمريكى «وليم پوپر» عشرة مجلدات تبدأ من حيث انتهى سلفه المستشرق الهولندى و تنتهى إلى آخر الكتاب أى سنة ۸۷۲ ه، غير أنها تنقصها الأحداث من سنة ۵۶۵ ه إلى سنة ۸۰۰ ه.

و حين استقبل القسم الأدبى بدار الكتب المصرية العمل فى هذا الكتاب استقبله بإضافات جديدة:

۱- فقد استأنس بمخطوطة جديدة.

۲- و حرّر من متنه الكثير بالرجوع إلى الأمهات المنقول عنها.

۳- و ضم إليه دراسات علمية جديدة عن الأماكن المذكورة فيه.

۴- و عرض لمغلقه بالشروح الكثيرة.

۵- ثم أضاف إلى كل جزء فهرسا جامعا خاصا به.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۲

و لقد تسلمت المؤسسة الكتاب بأجزائه التى لم يتم تحقيقها- فيما تسلمته من القسم الأدبى- و كان منهجها فيه بعد أن لم تجد له مخطوطات أخرى:

۱- أن تصوّر الأجزاء التى طبعت منه محذوفا منها فهارسها.

۲- و أن تصوّر الأجزاء المحققة ليكون الكتاب كله على نسق واحد.

۳- و أن تضم الفهارس كلها فى قسم مستقل.

۴- و أن تضم إلى هذا القسم الأخير تصحيح ما وقع فى الأجزاء التى طبعت من الكتاب من أخطاء، و كذلك الاستدراكات التى تهدى إليها إعادة النظر فى الكتاب.

و بهذا يخرج الكتاب كاملا بفهارس موحدة جامعة.

و اللّه ولى التوفيق‌ها

المحرّم سنة ۱۳۸۳ ه المؤسسة المصرية العامة يونيه (حزيران) ۱۹۶۳ م للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۳

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

مقدمة

اشارة

الحمد للّه و الصلاة و السلام على خاتم رسله سيدنا محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم.

و بعد، فهذا هو الجزء الأوّل من كتاب «النجوم الزاهرة» لأبى المحاسن بن تغرى بردى الذى تقوم بطبعه دار الكتب المصرية مع بقية الموسوعات العلمية و الأدبية و التاريخية فى عهد حامل لواء النهضة فى مصر حضرة صاحب الجلالة مولانا المليك المعظم «فؤاد الأوّل» حفظه اللّه. و إنا نضعه بين أيدى القرّاء بعد أن بذلنا الجهد فى سبيل إصداره على هذا النحو خاليا، على ما نعتقد، من التحريف

و التصحیف اللذین ملئ بهما أصلاه، و هما النسخة الأوربیة و النسخة الفتو غرافیة اللتان اعتمدنا علیهما کمصدرین لطبع هذا الکتاب.

وصفه

هو کتاب کبیر جمّ الفائدة فی تاریخ مصر مرتب علی السنین، ابتدأ فیه مؤلفه بفتح عمرو بن العاص من سنة ۲۰ ه (۶۴۰ م) إلی أثناء سنة ۸۷۲ ه (۱۳۶۷ م) و قد ذکر فیه من ولی مصر من الملوک و السلاطین و النوّاب ذکرا وافیا مع ذکر ملوک الأطراف بطریق إجمالیّ، آتیا فی کل سنیه علی ما وقع من الحوادث المهمة، و من

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۴

توفی من رجالات الأمة الإسلامیة. و قد انفرد بعد أبی بکر بن عبد اللّه بن أیبک مؤرّخ مصر بإشارته فی آخر کل سنة إلی زیادة النیل و نقصانه، حتی کاد یکون کتابه المرجع الوحید لحضرة صاحب السعادة الأستاذ أمین سامی باشا فی کتابه:

«تقویم النیل».

و من الأصل العربی لهذا الکتاب نسخ فی الأستانة و برلین و غوطا و أبسالا و بطرسبورج و باریس و المتحف البریطانی.

ترجمته الی اللغات الأوربیة

و قد ترجم هذا الأثر الجلیل الی اللغة اللاتینیة و الی لغات أوروبیة أخری عدّة مرات.

ترجمته إلی اللغة الترکیة

و لما فتح السلطان سلیم العثمانی مصر و اطلع علی هذا الکتاب أمر بنقله إلی الترکیة فنقله شمس الدین أحمد بن سلیمان بن کمال باشا قاضی العسکر بالأناضول یومئذ فترجم فی منزله جزءا و بیضه المولی حسن المعروف بآشجی‌زاده ثم عرضه علی السلطان فی الطریق فأعجبه و أمر بنقله هکذا الی تمامه.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۵

اختصاره

و قد لخص المؤلف کتابه و سماه «الکواکب الباهرة من النجوم الزاهرة» و ذکر أنه اختصره حذرا من أن یختصره غیره علی تبویبه و فصوله و اقتدی فی ذلک بجماعة من العلماء المؤلفین کالذهبی و المقریزی و غیرهما.

اهتمام علماء أوروبا بنشره

و لما کان هذا الکتاب من أهمّ المصادر التاریخیة، اهتم بنشره علماء أوروبا فنشر المستشرق جونبل الهولاندی منه مجلدین ضخمین فی أربعة أجزء بمطبعة بریل فی مدینة لیدن من سنة ۱۸۵۱- ۱۸۵۵ م؛ و یبتدئ الجزء الأوّل من سنة ۲۰ من الهجرة لغایة سنة ۲۵۳ ه، و الجزء الثانی من سنة ۲۵۴- ۳۶۵ ه. و قد صدّرهما بمقدّمة و ملاحظات باللغة اللاتینیة. و نشر المستشرق و لیم بوبر العالم الإمریکی منه عشرة مجلدات مع مقدّمة باللغة الانجلیزیة لکل جزء من أجزائه، و طبعت بجامعة کالیفورنیا من سنة ۱۹۰۹- ۱۹۱۵ و من سنة ۱۹۱۶- ۱۹۲۳ و سنة ۱۹۲۶ و سنة ۱۹۲۹، و تشتمل علی السنین من سنة ۳۶۵- ۵۶۶ ه و من سنة ۸۰۱- ۸۷۲ ه.

و یتبین من هذا أن باقی الأجزاء التی تشتمل علی السنین من سنة ۵۶۷- ۸۰۰ ه لم تطبع بعد.

اهتمام دار الكتب المصرية بنقل نسخة منه

و لـذا اهتمت دار الكتب المصـرية بنقل نسـخة منه بالتصوير الشمسـى عن النسـخة الخطيـة المحفوظـة بمكتبة أياصوفيا بالآسـتانة تحت رقمى ۳۴۹۸، ۳۴۹۹

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، مقدمةج ۱، ص: ۶

و هى محفوظة بدار الكتب تحت رقم ۱۳۴۳ تاريخ، و تشمل سبعة مجلدات ينقصها المجلد الثانى، و بيانها كالآتى:

المجلد

الأوّل/ القسم الأوّل- من سنة ۲۰- ۱۴۶ ه/ القسم الثانى- من سنة ۱۴۷- ۲۵۴ الثالث/ القسم الأوّل- من سنة ۵۲۴- ۶۳۷/ القسم الثانى- من سنة ۶۳۷- ۶۷۵ الرابع/ القسم الأوّل- من سنة ۶۷۶- ۷۲۳/ القسم الثانى- من سنة ۷۲۳- ۷۴۵ الخامس/ القسم الأوّل- من سنة ۷۴۶- ۷۸۲/ القسم الثانى- من سنة ۷۸۳- ۷۹۹ السادس/ القسم الأوّل- من سنة ۸۰۰- ۸۱۵/ القسم الثانى- من سنة ۸۱۶- ۸۳۶ السابع/ القسم الأوّل- من سنة ۸۳۶- ۸۵۴/ القسم الثانى- من سنة ۸۵۴- ۸۷۲

اهتمام الحكومة المصرية بطبعه

و لما كان اهتمام علماء أوروبا بنشـر هذا الكتاب و طبعه بلغ شأنا كبيرا لأنه خاص بتاريخ مصـر و هى أكبر دولة شرقية إسلامية لها من الحضارة و المدنيـة ما لم يبلغه سواها من الأمم الشـرقية الأخرى، كان جـديرا بحكومة الدولة المصـرية أن تقوم بطبع هذا الكتاب على نفقتها، و لـذا أشار رئيس الحكومـة وقتئـذ ساكن الجنان المغفور له عبد الخالق ثروت باشا على دار الكتب المصـرية بطبع هذا الكتاب القيّم

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، مقدمةج ۱، ص: ۷

ضمن مطبوعاتها، فلبت طلبه و باشرت طبعه بمطبعتها لا سيما بعد أن حصلت على نسخة منه بالتصوير الشمسى.

العناية التامة بتصحيحه

و لذلك قام القسم الأدبى بترقيمه و ضبطه و تصحيحه، متوخّيا فيه تحقيق الأعلام و أسماء البلدان و الوقائع بمراجعة المصادر التاريخية المطبوعـة و المخطوطـة لتحرّى الصواب مع كتابـة التعليقـات و ذكر المراجع. و طالمـا وفّق فى مراجعته إلى أكثر الكتب التى نقل عنها المؤلف، لتكون هذه الطبعة أصح نسخة يعوّل عليها.

و يجـدر بنا أن نذكر أسـماء الكتب التى نقل عنها المؤلف و راجعناها فيما صـححناه من كتابه مع بعض المصادر الأخرى التى اعتمدنا عليها فى تصحيح هذا الكتاب:

(۱) تاريخ ابن كثير المسمى بالبداية و النهاية- نسخة فتوغرافية محفوظة بدار الكتب تحت رقم ۱۱۱۰ تاريخ.

(۲) تاريخ الإسلام للذهبى- نسخة مخطوطة تحت رقم ۴۲ تاريخ.

(۳) عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان للعينى- نسخة فتو غرافية تحت رقم ۱۵۸۴ تاريخ.

(۴) مرآة الزمان للحافظ شمس الدين يوسف بن قزأوغلى- نسخة فتوغرافية تحت رقم ۵۵۱ تاريخ.

(۵) فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم- نسخة طبعة أوروبا رقم ۱۱۲۹ تاريخ.

(۶) تاريخ الرسل و الملوک للطبرى- نسخة طبعة أوروبا.

(۷) التاريخ الكامل لابن الأثير- نسخة طبعة أوروبا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۸

(۸) فضائل مصر للکندی- نسخة طبعة أوروبا.

(۹) الطبقات الکبری لابن سعد- نسخة طبعة أوروبا.

(۱۰) المشتبه فی أسماء الرجال للذهبی- نسخة طبعة أوروبا.

(۱۱) فتوح البلدان للبلاذری- نسخة طبعة أوروبا.

(۱۲) معجم البلدان لیاقوت- نسخة طبعة أوروبا.

(۱۳) معجم ما استعجم للبکری- نسخة طبعة أوروبا.

(۱۴) ولاة مصر و قضاتها للکندی- نسخة طبعة بیروت.

(۱۵) أسد الغابة فی معرفة الصحابة لابن الجزری- نسخة طبعة مصر.

(۱۶) الإصابة فی تمییز الصحابة لابن حجر العسقلانی- نسخة طبعة مصر.

(۱۷) تهذیب التهذیب لابن حجر العسقلانی- نسخة طبعة مصر.

(۱۸) مروج الذهب للمسعودی- نسخة طبعة بولاق.

(۱۹) الخطط للمقریزی- نسخة طبعة بولاق.

(۲۰) وفیات الأعیان لابن خلکان- نسخة طبعة بولاق.

(۲۱) صحیح مسلم- نسخة طبعة بولاق.

(۲۲) حوادث الدهور لابن تغری بردی المؤلف- الجزء الأوّل بالتصویر الشمسی تحت رقم ۲۳۹۷ تاریخ.

و ما الی ذلک من المصادر الأخری من کتب التاریخ و الأدب و اللغة لضبط الأعلام و الأماکن و تصحیح العبارات. و قد خصصنا فهرسا شاملا لکل هذه الکتب التی راجعناها فی نهایة هذا الجزء مع فهارس أخری.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۹

ترجمة المؤلف

کتبها تلمیذه و صدیقه أحمد بن حسین الترکمانی المعروف بالمرجی بآخر کتاب «المنهل الصافی» للمؤلف و قد کتبه بخطه، قال: ذکر نبذة من ترجمة مؤلف هذا التاریخ أسبغ اللّه علیه ظلاله، و ختم بالصالحات أعماله.

قال کاتب هذه النسخة تلمیذ المؤلف، و غرس نعمه، و أکبر محبّیه، و أصغر خدمه «أحمد بن حسین الترکمانی الحنفی الشهیر بالمرجی» لطف اللّه به:

لما اتصلت بخدمة مؤلف هذا الکتاب الجناب العالی المولویّ الأمیریّ الکبیریّ الفاضلیّ الکامليّ الرئیسیّ الأوحدیّ العضدیّ الذّخریّ النصیریّ؛ نادرة الزمان، و عین الأعیان، و عمدة المؤرّخین، و رأس الرؤساء المعتبرین، و أهّلنی لکتابة هذا التاریخ، فضلا و إحسانا منه و صدقة علیّ. استوعبته کتابة و مطالعة و تأمّلا، فلم أر فیه مثله فی زمانه، لاختباری ما اشتمل علیه من المحاسن التی لم توجد فی مثله من أبناء عصره، من لطیف المحاضرة، و فکاهة المنادمة، و العقل التامّ، و کرامة الأصالة الکریمة، و الحرمة الوافرة، و العظمة الزائدة، و حسن الخلق، و بشاشة الوجه، و حسن الملتقی، و الشکالة الحسنة التی یضرب بها المثل. و علی ما قلته بلسان التقصیر، و أعظم من ذلک من الأوصاف الجمیلة التی لو استوعبها منطق اللسان لملأ منها کتبا مجلدة، جمیع من جالسه و حاضره من المتردّدین الی بابه، و مشنّفی أسماعهم بحسن

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۱۰

منادمته و خطابه؛ فأحببت ألا يخلو مثل هذا التاريخ من ترجمة مثل هذا المؤرّخ، إذ جرت العادة أن المؤرّخين لا يترجمون أنفسهم؛ و رأيت من بعض ما يجب على أن أذكر نبذة من ذكر بعض أحواله على سبيل الاختصار فأقول:

هو يوسف بن تغرى بردى بن عبد اللّه الأمير جمال الدين أبو المحاسن بن الأمير الكبير سيف الدين تغرى بردى اليشبغاوى الظاهرى أتابك العساكر بالديار المصرية، ثم كافل المملكة الشامية. سألته عن مولده فقال:

مولدى بالقاهرة بدار الأمير منجك اليوسفى بجوار مدرسة السلطان حسن، فى حدود سنة اثنتى عشرة و ثمانمائة تقريبا.

قلت: و توفى والده الأمير الكبير تغرى بردى المذكور بدمشق على نيابتها فى محرّم سنة خمس عشرة و ثمانمائة، فربّاه زوج أخته قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى الى أن مات ابن العديم المذكور فى سنة تسع عشرة و ثمانمائة، و تزوّج بأخته شيخ الاسلام قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقينى الشافعى، فتولى تربيته و حفّظه القرآن العزيز الى أن كبر و انتشا و ترعرع، و حفظ مختصر القدورى فى الفقه، و طلب العلم و تفقه بالشيخ شمس الدين محمد الرومى الحنفى، و بقاضى القضاة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۱۱

بهاء الدين أبى البقاء الحنفى قاضى مكة، و بقاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى. و أخذ النحو عن شيخنا العلامة تقىّ الدين الشّمنّى الحنفى، و لازمه كثيرا و تفقه عليه أيضا. و أخذ التصريف عن الشيخ علاء الدين الرومى و غيرهم. و قرأ المقامات الحريرية على العلامة قوام الدين الحنفى و أخذ عنه العربية أيضا و قطعة جيّدة من علم الهيئة. و أخذ البديع و الأدبيّات عن العلامة شهاب الدين أحمد بن عربشاه الدمشقىّ الحنفىّ و غيره. و كتب عن شيخ الاسلام حافظ عصره شهاب الدين أحمد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۱۲

ابن حجر كثيرا من شعره، و حضر دروسه، و انتفع بمجالسته. و عن قاضى القضاة جلال الدين أبى السعادات بن ظهيرة قاضى مكة من شعره و شعر غيره. و عن العلامة بدر الدين بن العليف، و الشيخ قطب الدين أبى الخير بن عبد القوى شاعرى مكة كثيرا من شعرهما. و كتب عن شعراء عصره و اجتهد و حصل و نثر و نظم و برع فى عدّة علوم و شارك فى عدّة فنون.

ثم حبّب اليه علم التاريخ فلازم مؤرّخى عصره مثل قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى، و الشيخ تقىّ الدين المقريزى، و اجتهد فى ذلك الى الغاية، و ساعده جودة ذهنه، و حسن تصوّره، و صحيح فهمه، حتى برع و مهر و كتب و حصّل و صنّف و ألّف و انتهت اليه رياسة هذا الشأن فى عصره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۱۳

سمع الحديث و استجاز، و من مسموعاته العوالى كتاب «السنن لأبى داود» على المشايخ الثلاثة المسندين المعمرين: زين الدين عبد الرحمن بن يوسف بن أحمد بن الطحان الدمشقى الحنبلى المشهور بابن قريج (بقاف و جيم مصغر)، و علاء الدين على ابن إسماعيل بن محمد بن بردس البعلبكى الحنبلى أيضا، و شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن المشهور بابن الناظر الصاحبة الحنبلى أيضا. و كتاب «جامع الترمذى» سمعه على الشيخين الأخيرين ابن بردس و ابن ناظر الصاحبة بعد موت ابن الطحان، و سمع عليهما أيضا «شمائل المصطفى للترمذى» و مشيخة الفخر بن البخارى، و «مسند ابن عباس»، و قطعة كبيرة من «مسند أحمد» فى عدّة مجالس.

و من مسموعاته العوالى أيضا كتاب «فضل الخيل» للحافظ شرف الدين الدمياطى سمعه على الحافظ تقىّ الدين المقريزى بسماعه على الشيخ المسند ناصر الدين محمد بن يوسف بن طبرزد الحراوى بسماعه من مؤلفه، و له مسموعات كثيرة بالطالع و النازل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۱۴

و أجازه بالقاهرة حافظ العصر شيخ الاسلام قاضى القضاة شهاب الدين أحمد ابن حجر، و الشيخ الحافظ تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر المقريزى الشافعى، و الحافظ العلامة أبو محمد محمود بن أحمد العينى الحنفى، و أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الحنبلى، و أبو ذرّ عبد الرحمن بن محمد الزركشى الحنبلى، و عز الدين عبد الرحيم ابن الفرات الحنفى، و إبراهيم بن صدقة بن

إبراهیم بن إسماعیل الصالحی الحنبلی، و محمد بن یحیی بن محمد الحنبلی، و أحمد بن محمد بن محمد الحنفی، و أحمد بن محمد بن إبراهیم الفیشی المالکی، و المسند محمد بن عبد اللّه الرشیدی، و عبد اللّه بن محمد المیمونی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۱۵

و عبد اللّه بن أحمد القمنی، و جلال الدین عبد الرحمن بن علی بن عمر بن الملقّن، و الحافظ أبو النعیم زین الدین رضوان بن محمد بن یوسف العقبی المستملی، و قاضی القضاة بدر الدین محمد أحمد بن محمد بن محمد، و العلامة شمس الدین محمد النواجی، و الشیخ عز الدین أحمد بن إبراهیم بن نصر اللّه الحنبلی، و محمد بن علی بن أحمد الشهیر بابن المغیربی و آخرون.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۱۶

و بالحجاز قاضی القضاة جلال الدین أبو السعادات أحمد بن محمد بن ظهیرة الشافعی المکی، و قاضی القضاة بهاء الدین محمد أبو البقاء الحنفی المکی، و شاعرا مکة بدر الدین بن العلیف، و الشیخ أبو الخیر بن عبد القوی و غیرهم.

و أجازه من حلب العلامة شهاب الدین أحمد بن أبی بکر المرعشی الحنفی، و ابن الشماع و غیرهما.

و برع فی فنون الفروسیة کلعب الرمح و رمی النشّاب و سوق البرجاس و لعب الکرة و المحمل. و أخذ هذه الفنون عن عظماء هذا الشأن، و فاق فیهم علی أنداده، و ساد علی أقرانه علما و عملا؛ هذا مع الدیانة و الصیانة و العفّة عن المنکرات و الفروج و الاعتکاف عن الناس، و ترک الترداد الی أعیان الدولة حتی و لا الی السلطان؛ مع حسن المحاضرة، و لطیف المنادمة، و الحشمة الزائدة، و الحیاء الکثیر، و اتساع الباع فی علوم الآداب و التاریخ و أیام الناس، قلّ أن یخلو مجلسه من مذکّرات العلوم، جالسته کثیرا و تأدّبت بتربیته، و حسن رأیه و سیاسته و تدبیره. یضرب به المثل فی الحیاء و السکون، ما سمعته شتم أحدا من غلمانه، و لا من حاشیته، و لا تکبّر علی أحد من جلسائه قط، کبیرا کان أو صغیرا، جلیلا کان أو حقیرا.

و صحب بعض الأصلاء الأعیان کالقاضی کمال الدین بن البارزی، و قاضی القضاة شهاب الدین بن حجر و غیرهما من العلماء و الرؤساء، و نکرّر ترداد غالبهم الی بابه، و حضروا مجلسه کثیرا و أحبّوه محبة زائدة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۱۷

هذا مع ما اشتمل علیه من الکرم الزائد، و المیل الی الخیر، و محبته أهل العلم و الفضل و الصلاح، و الإحسان الیهم بما تصل القدرة الیه.

و له الید الطولی فی علم النغم و الضروب و الإیقاع حتی لعلّه لم یکن فیه مثله فی زمانه، انتهت الیه الریاسة فی ذلک و کتب کثیرا و حصّل و صنّف و ألّف.

و من مصنفاته هذا الکتاب الجلیل و هو المسمی ب «المنهل الصافی و المستوفی بعد الوافی» فی سبعة مجلدات، هذه الستة و مجلد آخر یسمی «بالکنی» استوعب فیه ذکر الأعیان المشهورین بکنیتهم علی هذا الشرط، و هو من أوّل دولة الترک و مختصره المسمی «بالدلیل الشافی علی المنهمل الصافی» و مختصره سماه «مورد اللطافة فی ذکر من ولی السلطنة و الخلافة» و ذیل علی الإشارة للحافظ الذهبی مختصرا سماه «بالبشارة فی تکملة الإشارة» و کتاب «حلیة الصفات فی الأسماء و الصناعات» مرتبا علی الحروف، یشتمل علی مقاطیع و تواریخ و أدبیات، بدیع فی معناه، و غیر ذلک. کل ذلک فی عنفوان شبیبته.

و نرجو، إن أطال اللّه عمره و فسح فی أجله، لیملأنّ خزائن من العلوم و المصنفات فی کل فنّ، لعلمی باتساع باعه فی التصنیف و التألیف.

و من شعره ما أنشدنی من لفظه لنفسه- حفظه اللّه تعالی- فی ملیح اسمه «حسن» قوله:

طرفه الأحور زاه شاقنی و به قد ضاع علمی بالوسن

جوره عدل علینا فی الهوی کلّ فعل منه لی فهو حسن

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۱۸

و له أیضا:

تجارة الصبّ غدت فی حبّ خود کاسده

و رأس مالی هبة لفرحتی بفائده

و له أیضا:

أیبک قطز یعقبو بیبرس ذو الإکمال بعدو قلاوون بعدو کتبغا المفضال

لاجین بیبرس برقوق شیخ ذو الإفضال ططر برسبای جقمق ذو العلا إینال

ترجمة المؤلف عن الضوء اللامع فی أعیان القرن التاسع للسخاوی

یوسف بن تغری بردی الجمال أبو المحاسن بن الأتابکی بالدیار المصریة، ثم نائب الشام الیشبغاوی الظاهریّ القاهریّ الحنفیّ. ولد فی شوّال تحقیقا سنة ثلاث عشرة و ثمانمائة تقریبا بدار منجک الیوسفی، جوار المدرسة الحسنیّة، و مات أبوه بدمشق علی نیابتها و هو صغیر، فنشأ فی حجر أخته عند زوجها الناصریّ بن العدیم الحنفیّ، ثم عند الجلال البلقینی، لکونه کان خلفه علیها. و حفظ القرآن، ثم فی کبره- فیما زعم- مختصر القدوری و ألفیة النحو و إیساغوجی، و اشتغل یسیرا و قال إنه قرأ فی الفقه علی الشمس و العلاء الرومیین، و فی الصرف علی ثانیهما، و کذا اشتغل فی الفقه علی العینی و أبی البقاء بن الضیاء المکی و الشمنی و لازمه أکثر، و علیه اشتغل فی شرح الألفیة لابن عقیل و الکافیاجی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۱۹

و علیه حضر فی الکشاف و الزین قاسم، و اختص به کثیرا و تدرّب به، و قرأ فی العروض علی النّواجی، و المقامات الحریریة علی القوام الحنفی، و علیه اشتغل فی النحو أیضا بل أخذ عنه قطعة جیدة من علم الهیئة، و قرأ أقراباذین فی الطب علی سلام اللّه، و فی البدیع و بعض الأدبیات علی الشهاب بن عربشاه، و کتب عن شیخنا من شعره و حضر دروسه و انتفع، فیما زعم، بمجالسته؛ و کذا کتب بمکة عن قاضیها أبی السعادات بن ظهیرة من شعره و شعر غیره، و عن البدر بن العلیف و أبی الخیر بن عبد القویّ و غیرهم من شعراء القاهرة؛ و تدرّب کما ذکر فی الفنّ بالمقریزی و العینی و سمع علیهما الحدیث، و کذا بالقلعة عند نائبها تغری برمش الفقیه علی بن الطحان و ابن بردس و ابن ناظر الصاحبة، و أجاز له الزین الزرکشی و ابن الفرات و آخرون. و حج غیر مرة أوّلها فی سنة ست و عشرین، و اعتنی بکتابة الحوادث من سنة أربعین، و زعم أنه أوقف شیخه المقریزی علی شیء من تعلیقه فیها فقال: دنا الأجل، إشارة إلی وجود قائم بأعباء ذلک بعده، و أنه کان یرجع إلی قوله فیما یذکره له من الصواب بحیث یصلح ما کان کتبه أوّلا فی تصانیفه، بل سمعته یرجح نفسه علی من تقدّمه من المؤرّخین من ثلاثمائة سنة بالنسبة لاختصاصه دونهم بمعرفة الترک و أحوالهم و لغاتهم، و رأیته إذ أرّخ وفاة العینی قال فی ترجمته: إن البدر البغدادی الحنبلی قال له و هما فی الجنازة: خلا الجوّ، إشارة إلی أنه تفرّد؛ و ما رأیته ارتضی وصفه له بذلک من حینئذ فقط، فانه قال إنه رجع من الجنازة فأرسل له ما یدل علی أن العینی کان یستفید منه، بل سمعته یصف نفسه بالبراعة فی فنون الفروسیة کلعب الرمح و رمی النشّاب و سوق البرجاس و لعب الکرة و المحمل و نحو ذلک.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۲۰

و بالجملة فقد کان حسن العشرة، تامّ العقل- إلا فی دعواه فهو حمق- و السکون، لطیف المذاکرة، حافظا لأشیاء من النظم و نحوه، بارعا حسبما کنت أتوهّمه فی أحوال الترک و مناصبهم و غالب أحوالهم، منفردا بذلک لا عهد له بمن عداهم، و لذلک تکثر فیه أوهامه، و تختلط ألفاظه و أقلامه، مع سلوک أغراضه، و تحاشیه عن مجاهرة من أدبر عنه بإعراضه، و ما عسی أن یصل الیه ترکی!.

و قد تقدّم عند الجمالى ناظر الخاص بسبب ما كان يطريه به فى الحوادث، و تأثّل منه دنيا، و صار بعده الى جانبك الجداوى فزادت و جاهته، و اشتهرت عند أكثر الأتراك و من يلوذ بهم من المباشرين و شبههم فى التاريخ براعته. و بسفارته عند جانبك خلص البقاعى من ترسيمه حين ادعى عليه عنده بما فى جهته لجامع الفكّاهين، لكون البقاعى ممن كان يكثر التردّد لبابه، و يسامره بلفظه و خطابه؛ و ربما حمله على إثبات مالا يليق فى الوقائع و الحوادث مما يكون موافقا لغرضه، خصوصا فى تراجم الناس و أوصافهم، لما عنده من الضّغن و الحقد، كما وقع له فى أبى العباس الواعظ و ابن أبى السعود. و كان إذا سافر يستخلف فى كتابة الحوادث و نحوها التقىّ القلقشندى.

و قد صنف المنهل الصافى و المستوفى بعد الوافى فى ستة مجلدات تراجم خاصة على حروف المعجم من أوّل دولة الترك؛ و الدليل الشافى على المنهل الصافى؛ و مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة و الخلافة؛ و البشارة فى تكملة الإشارة للذهبى؛ و حلية الصفات فى الأسماء و الصناعات، مشتمل على مقاطيع و تواريخ و أدبيات، رتبه على حروف المعجم و غير ذلك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۲۱

و فيها الوهم الكثير و الخلط الغزير مما يعرفه النقاد، و الكثير من ذلك ظاهر لكل. و منه السّقط فى الأنساب كتسمية الحجار أحمد بن نعمة مع كون نعمة جدّه الأعلى. و كحذفه ما يتكرر من الأسماء فى النسب أو الزيادة فيه بأن يكون فى النسب ثلاثة محمدين فيجعلهم أربعة، أو أربعة فيجعلهم خمسة. و القلب كأن يكون المترجم طالبا لواحد فيجعله شيخا له. و التصحيف و التحريف كالغرافى بالفاء و الغين المعجمة يجعله مرة بالقاف، و مرة بالعين و القاف مخففا، و كالحسامية بالخسابية، و تسعين بسبعين و عكسه، و ابن سكّر حيث ضبطه بالشين المعجمة، و فريد الدين بمؤيد الدين. و التغيير كسليمان من سلمان و عكسه، و عبد اللّه من أبى عبد اللّه، و سعد من سعد اللّه، و ثبا حيث جعله عليا، و عبد الغفار صاحب الحاوى حيث جعله عبد الوهاب، و ابن أبى جمرة الولى الشهير حيث جعله محمدا، و صلاح الدين خليل بن السابق أحد رؤساء الشام سماه محمدا، و عبد الرحمن البوتيجى الشهير جعله أبا بكر، و أحمد بن على القلقشندى صاحب صبح الأعشى سمى والده عبد اللّه.

و التكرير فيكتب الرجل فى موضعين مرة فى إبراهيم و مرة فى أحمد، و ربما تنبه لذلك فيجوّز كونه أخا ثانيا. و إشهار المترجم بما لا يكون به مشهورا حيث يروم التشبه بابن خلكان أو الصفدى فيما يكتبانه بهامش أوّل الترجمة لسهولة الكشف عنه ككتابته مقابل ترجمة أحمد بن محمد بن عبد المعطى جدّ قاضى المالكية بمكة المحيوى عبد القادر ما نصه: ابن طراد النحوى الحجازى. أو وصفه بما لم يتصف به كالصلاح بن أبى عمر حيث وصفه بالحافظ، و الجمال الحنبلى بالعلامة، و ناصر الدين ابن المخلّطة بقوله: إنه لم يخلف بعده مثله ضخامة و علما و معرفة و دينا و عفة. و تعبيره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۲۲

بما لا يطابق الواقع كقوله فى البرهان بن خضر: تفقه بابن حجر. أو شرحه لبعض الألقاب بما لا أصل له حيث قال فى ابن حجر: نسبة الى آل حجر يسكنون الجنوب الآخر على بلاد الخربة و أرضهم قابس. أو لحنه الواضح و ما أشبهه كأزوجه فى زوّجه، و الحياة فى الحيا، و المجاز فى المزاح، و أجعزه فى أزعجه، و الكيابة فى الكآبة، و الحطيط فى الحضيض، و منتضمة فى منتظمة، و ظنين فى ضنين.

بل و يذكر فى الحوادث ما لم يتفق كأنه كان يكتب بمجرّد السماع كقوله فى الشهاب ابن عربشاه- مع زعمه أنه من شيوخه-: إنه استقر فى قضاء الحنفية بحماة فى صفر سنة أربع و خمسين عوضا عن ابن الصوّاف، و إن ابن الصوّاف قدم فى العشر الثانى من الشهر الذى يليه فأعيد فى أواخر جمادى الآخرة، و هذا لم يتفق كما أخبرنى به الجمالى بن السابق الحموى، و كفى به عمدة سيما فى أخبار بلده.

و كقوله عن جانم: إنه لما أمر برجوعه من الخانقاه الى الشام توجه كاتب السر ابن الشّحنة لتحليفه فى يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان

سنة خمس و ستين، فإن هذا كما قال ابن الشحنة المشار إليه لم يقع. و كقوله: إن صلاح الدين بن الكويز استقرّ فى وكالة بيت المال عوضا عن الشرف الأنصارى فى رجب سنة ثلاث و ستين، و فى ظنى أن المستقرّ حينئذ فيها إنما هو الزين بن مزهر. و يذكر فى الوفيات تعيين محالّ دفن المترجمين فيغلط: كقوله فى نصر اللّه الرويانى: إنه دفن بزاويته، الى غير ذلك من تراجمه التى يقلد فيها بعض المتعصبين كما تقدّم. أو يسلك فيها الهوى، كترجمته لمنصور بن صفىّ و جانبك الجداوى، بل سمعت غير واحد من أعيان الترك و نقادهم العارفين بالحوادث و الذوات يصفونه بمزيد الخلل فى ذلك. و حينئذ فما بقى ركون لشىء مما يبديه، و على كل حال فقد كان لهم به جمال. و قد اجتمعت به مرارا و كان يبالغ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، مقدمة ج ۱، ص: ۲۳

فى إجلالى اذا قدمت عليه و يخصنى بتكرمة للجلوس، و التمس منى اختصار الخطط للمقريزى، و كتبت عنه ما قال إنه من نظمه فيمن اسمها «فائدة» و هو:

تجارة الصبّ غدت فى حبّ خود كاسده

و رأس مالى هبة لفرحتى بفائده

و ابتنى له تربة هائلة بالقرب من تربة الأشرف إينال، و وقف كتبه و تصانيفه بها و تعلل قبل موته بنحو سنة بالقولنج و اشتدّ به الأمر من أواخر رمضان بإسهال دموىّ بحيث انتحل و تزايد كربه، و تمنى الموت لما قاساه من شدّة الألم إلى أن قضى فى يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة سنة أربع و سبعين و دفن من الغد بتربته، و عسى أن يكون كفّر عنه، رحمه اللّه و عفا عنه و إيانا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، مقدمة ج ۱، ص: ۲۴

ترجمة المؤلف عن شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى فى حوادث سنة ۸۷۴ ه

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأمير الكبير سيف الدين تغرى بردى الحنفى الإمام العلامة. ولد بالقاهرة سنة اثنتى عشرة و ثمانمائة و رباه زوج أخته قاضى القضاة ناصر الدين بن العديم الحنفى إلى أن مات، فتزوّج بأخته جلال الدين البلقينى الشافعى فتولى تربيته و حفظ القرآن العزيز. و لما كبر اشتغل بفقه الحنفية و حفظ القدورى و تفقّه بشمس الدين محمد الرومى و بالعينى و غيرهما، و أخذ النحو عن التقىّ الشّمنّى و لازمه كثيرا و تفقه به أيضا، و أخذ التصريف عن الشيخ علاء الدين الرومى و غيره، و قرأ المقامات الحريرية على قوام الدين الحنفىّ و أخذ عنه العربية أيضا و قطعة جيدة من علم الهيئة، و أخذ البديع و الأدبيات عن الشهاب بن عربشاه الحنفىّ و غيره،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، مقدمة ج ۱، ص: ۲۵

و حصر على ابن حجر العسقلانى و انتفع به، و أخذ عن أبى السعادات بن ظهيرة و ابن العليف و غيرهما.

ثم حبّب إليه علم التاريخ فلازم مؤرّخى عصره مثل العينىّ و المقريزىّ، و اجتهد فى ذلك إلى الغاية وساعدته جودة ذهنه و حسن تصوّره و صحة فهمه، و مهر و كتب و حصّل و صنّف و انتهت إليه رآسة هذا الشأن فى عصره، و سمع شيئا كثيرا من كتب الحديث، و أجازه جماعات لا تحصى مثل ابن حجر و المقريزىّ و العينىّ.

و من مصنفاته كتاب المنهل الصافى و المستوفى بعد الوافى فى ستة مجلدات، و مختصره المسمى بالذيل الشافى على المنهل الصافى، و مختصر سماه مورد اللطافة فى ذكر من ولى السلطنة و الخلافة، و النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، و ذيل على الإشارة للحافظ الذهبى سماه بالبشارة فى تكملة الإشارة، و كتاب حلية الصفات فى الأسماء و الصناعات مرتبا على الحروف، و غير ذلك. و من شعره:

تجارة الحب غدت فى حب خود كاسده

و رأس مالى هبة لفرحتى بفائده

و منه موالیا فى عدّة ملوك التركك:

أبيك قطز يعقب بيبرس ذو الإكمال بعدو قلاوون بعدو كتبغا المفضال

لاچين بيبرس برقوق شيخ ذو الإفضال ططر برسباى چقمق ذو العلا إينال

و توفى فى ذى الحجة.

حديث ابن إياس عن المؤلف

و قد أشار ابن إياس فى تاريخه (ج ۲ ص ۱۱۸) الى ترجمته عند ذكر وفاته فى حوادث سنة أربع و سبعين و ثمانمائة فقال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۲۶

«و فيه كانت وفاة الجمالى يوسف بن الأتابكى تغرى بردى اليشبغاوى الرومى نائب الشام. و كان الجمالى يوسف رئيسا حشما فاضلا حنفىّ المذهب و له اشتغال بالعلم، و كان مشغوفا بكتابة التاريخ و ألف فى ذلك عدّة تواريخ منها تاريخه الكبير الموسوم بالنجوم الزاهرة؛ و المنهل الصافى؛ و مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة و الخلافة؛ و له تاريخ فى وقائع الأحوال على حروف الهجاء؛ و له غير ذلك عدّة مصنفات. و كان نادرة فى أولاد الناس. و مولده سنة ثلاث عشرة و ثمانمائة» ا ه.

مؤلفاته و لابن تغرى بردى عدا كتاب «النجوم الزاهرة» الكتب الآتية:

۱- مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة و الخلافة: اقتصر فيه على ذكر الخلفاء و السلاطين بغير مزيد، و استفتح بذكر النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم فالخلفاء الراشدين الى الخليفة القائم بأمر اللّه. ثم ذكر العبيديين و من خلفهم على مصر الى أيامه.

منه نسخة فى مكتبة محمد الفاتح و مكتبة بشير أغا فى الأستانة، و فى غوطا مع ذيل الى سنة ۹۰۶ ه، و فى باريس و أكسفورد و كمبريدج و تونس. و طبع فى كمبريدج سنة ۱۷۹۲ م و له ذيول منها: «منهل الظرافة، لذيل مورد اللطافة» بأسماء أمراء مصر الى سنة ۸۸۴ ه فى برلين.

۲- منشأ اللطافة، فى ذكر من ولى الخلافة: و هو تاريخ مصر من أقدم أزمانها الى سنة ۷۱۹ ه فى باريس.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، مقدمةج۱، ص: ۲۷

۳- المنهل الصافى، و المستوفى بعد الوافى: هو معجم لمشاهير الرجال العظام من سنة ۶۵۰ ه الى آخر أيام المؤلف، أراد به أن يكون ذيلا للوافى تأليف الصفدى.

منه نسخة فى دار الكتب المصرية فى ثلاثة مجلدات كبيرة صفحاتها نحو ۳۰۰۰ صفحة منقولة عن مكتبة عارف بك بالمدينة. ترجم فيها مئات من الأعيان و العلماء، و أسند كل رواية الى صاحبها.

و من لطيف ما جاء فى مقدّمته- و قد خالف به أكثر مؤلفى عصره- قوله:

«كنت قد اطلعت على نبذ من سيرهم و أخبارهم (يعنى رجال التاريخ) و وقفت فى كتب التاريخ على الكثير من آثارهم فحملنى ذلك على سلوك هذه المسالك، و إثبات شىء من أخبار أمم الممالك، غير مستدعى الى ذلك من أحد من أعيان الزمان، و لا مطالب به من الأصدقاء و الخلّان، و لا مكلّف لتأليفه و ترصيفه من أمير و لا سلطان؛ بل اصطفيته لنفسى، و جعلت حديقته مختصة بباسقات غرسى؛ ليكون فى الوحدة لى جليسا، و بين الجلساء مسامرا و أنيسا ... الخ».

و هذا يخالف طريقة سائر المؤلفين فى ذلك العهد، و قد اختصره فى كتاب سماه: «الدليل الشافى على المنهل الصافى» منه نسخة فى مكتبة بشير أغا بالآستانة.

۴- نزهة الرائى فى التاريخ: هو تاريخ مفصل على السنين و الشهور و الأيام فى عدّة مجلدات، منها الجزء التاسع فى اكسفورد لحوادث سنة ۶۷۸- ۷۴۷

۵- حوادث الدهور فى مدى الأيام و الشهور: جعله ذيلا على كتاب السلوك للمقريزى بدأ به حيث انتهى ذاك الى سنة ۸۵۶ ه، لكنه خالف المقريزى فى طريقته فأطال فى التراجم إلا ما جاء ذكره منها فى المنهل الصافى. منه نسخ فى برلين و المتحف البريطانى و أيا صوفيا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، مقدمةج ۱، ص: ۲۸

۶- البحر الزاخر فى علم الأوائل و الأواخر: مطوّل فى التاريخ على السنين، منه جزء صغير فى باريس من سنة ۳۲- ۷۱ ه.

فهارس الكتاب

و إتماما للفائدة و تعميما للنفع قام القسم الأدبى بعمل فهارس وافية لهذا الجزء شملت ذكر الولاة الذين ولوا حكم مصر و الأعلام التى وردت فيه و القبائل و الأماكن و وفاء النيل و غير ذلك مرتبة على حروف المعجم، و قد بذل كل من حضرتى محمد عبد الجواد الأصمعىّ افندى و على أحمد الشهداوىّ افندى المصححين بالقسم الأدبى مجهودا فى هذا الشأن يستحقان عليه الثناء.

أحمد زكى العروى

رئيس قسم التصحيح بنار الكتب المصرية

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱

[خطبة المؤلف]

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم و صلى اللّه على سيدنا محمد و آله و صحابته و سلم الحمد للّه الذى أيد الإسلام بمبعث سيد الأنام، و جعل مدده شاملا- لكل خليفة و إمام، فهم ظل اللّه فى أرضه يأوى اليه كل ملهوف، و الزعماء القائمون بنهى كلّ منكر و أمر كل معروف؛ قلّبهم فى أطوارها دولا- و خالف بينهم اعتقادا و قولا و عملا؛ و جعل قصصهم عبرة لأولى الألباب، و تذكرة فى كل خبر و كتاب؛ فمن عدل منهم كان أوّل السبعة، و من ظلم كان فى أخباره شنعة؛ أحمده حمدا كثيرا على أن عرّفنا من صلح منهم و من فسد، و من هو فى الوغى مدد، و بين الأنام عدد؛ و نشكره على أن أخّرنا عن كل الأمم، و هذا لعمرى من أعظم الإحسان و أسبغ النعم؛ لنعاين ممن تقدّم آثارهم، و نشاهد منازلهم و ديارهم، و نسمع كما وقعت و جرت أخبارهم؛ أعظم بها من منّة جليلة، و كرامة و فضيلة؛ إذ أخبرنا عنهم ما لم يخبروه عنا، و رأينا منهم ما لم يروه منا؛ فلنقابل هذه المنة بالإنصاف، فى كل مترجم و من اليه انضاف؛ فنخبر بذلك من تأخر عصره من الأقوام، بأفواه المحابر و ألسن الأقلام؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲

ليقتدى كل ملك يأتى بعدهم بجميل الخصال، و يتجنب ما صدر منهم من اقتراح المظالم و قبيح الفعال؛ و لم أقل كمقالة الغير إننى مستدعى الى ذلك من أمير أو سلطان، و لا مطّلب به من الأصدقاء و الإخوان؛ بل ألّفته لنفسى، و أينعته بباسقات غرسى؛ ليكون لى فى الوحدة جليسا، و بين الجلساء مسامرا و أنيسا؛ و لا أنزّهه من خلل و إن حوى أحسن الخلال، و لا من زلل و إن طاب مورده الزلال؛ و أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له؛ شهادة لا ينقص قدر إيمانها بعد تأكده، و لا يخفض مجد إتقانها بعد تشيّده؛ و أشهد أنّ سيدنا محمدا عبده و رسوله الذى كان لقول الحق أهلا، و من جعل بتشريعه طرق الفلاح لسالك سننه سهلا؛ صلى اللّه عليه و على آله و أصحابه و أزواجه و ذرّيته و أتباعه.

أما بعد فلما كان لمصر ميزة على كل بلد بخدمة الحرمين الشريفين، أحببت أن أجعل تاريخا لملوكها مستوعبا من غير مين؛ فحملنى

ذلك على تأليف هذا الكتاب و إنشائه، و قمت بتصنيفه و أعبائه؛ و استفتحته بفتح مصر و ما وقع لهم فى المسالك، و من حضرها من الصحابة و من كان المتولّى لذلك؛ و على أىّ وجه فتحت: صلح أم عنوة من أصحابها، و أجمع فى ذلك أقوال من اختلف من المؤرّخين و أهل الأخبار و أربابها؛ و ذلك بعد اتصال سندى الى من لى عنه منهم رواية، ليجمع الواقف عليه بين صحة النقل و الدراية؛ و أطلق عنان القلم فيما جاء فى فضلها و ذكرها من الكتاب العزيز، و ما ورد فى حقها من الأحاديث و ما اختصت به من المحاسن فصار لها على غيرها بذلك التمييز؛ ثم أذكر من وليها من يوم فتحت و ما وقع فى دولته من العجب، واحدا بعد واحد لا أقدّم أحدا منهم على أحد باسم و لا كنية و لا لقب؛ ثم أذكر أيضا فى كل ترجمة ما أحدث صاحبها فى أيام ولايته من الأمور، و ما جدّده من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳

القواعد و الوظائف و الولايات فى مدى الدهور؛ و لا أقتصر على ذلك بل أستطرد الى ذكر ما بنى فيها من المبانى الزاهرة، كالميادين و الجوامع و مقياس النيل و عمارة القاهرة؛ أوّلا بأوّل أذكره فى يوم مبناه و فى زمان سلطانه، مستوعبا لهذا المعنى ضابطا لشانه؛ على أننى أذكر من توفى من الأعيان فى دولة كل خليفة و سلطان باقتصار، بعد فراغ ترجمة المقصود من الملوك مع ذكر بعض الحوادث فى مدّة ولاية المذكور فى أيما قطر من الأقطار؛ و أبدأ فيه بعد التعريف بأحوال مصر بولاية عمرو ابن العاص فى المملكة الإسلامية، ثم ملك بعد ملك كل واحد على حدته و ما وقع فى أيامه الى الدولة الأشرفية الإينالية؛ و سميته:

«النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة»

و اللّه الموفّق و المنّان و بالله المستعان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴

ذكر فتح مصر لابن عبد الحكم و غيره

قال المؤلف: أخبرنا حافظ العصر قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانىّ الشافعىّ مشافهة عن أبى هريرة بن الذهبىّ قال:

أخبرنا الحافظ أبو عبد اللّه الذهبىّ روى خليفة عن غير واحد: «أن فى سنة عشرين كتب عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه الى عمرو بن العاص أن يسير الى مصر، فسار و بعث عمر الزبير بن العوّام مردفا له و معه بسر بن أبى أرطاة و عمير بن وهب الجمحىّ و خارجة بن حذافة العدوىّ حتى أتى بابليون، فحصّنوا، فافتتحها عنوة و صالحه أهل الحصن؛ و كان الزبير أوّل من ارتقى سور المدينة ثم تبعه الناس، فكلّم الزبير عمرا أن يقسمها بين من افتتحها، فكتب عمرو الى عمر بذلك ثم رقى الى المنبر و قال: «لقد قعدت مقعدى هذا و ما لأحد من قبط مصر علىّ عهد و لا عقد، إن شئت قتلت، و إن شئت بعت، و إن شئت خمست». انتهى كلام الذهبىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۵

و قال علىّ- و علىّ مصغر- بن رباح: المغرب كله عنوة، فتدخل مصر فيها ا ه.

و قال ابن عمر: افتتحت مصر بغير عهد. و قال يزيد بن أبى حبيب:

مصر كلها صلح إلا الإسكندرية.

و أمّا فتوح مصر لابن عبد الحكم فقد أخبرنا به حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علىّ بن حجر العسقلانىّ الشافعىّ مشافهة قال: قرأت على أبى المعالى عبد اللّه بن عمر بن علىّ أخبرنا، إجازة إن لم يكن سماعا، عن زهرة بنت عمر أخبرنا الكمال أبو الحسن علىّ بن شجاع أخبرنا أبو القاسم هبة اللّه ابن علىّ البوصيرىّ أخبرنا أبو صادق مرشد بن يحيى المدينىّ أخبرنا أبو الحسن على بن منير الخلّال و أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج الأنصارى أخبرنا أبو القاسم على بن الحسن بن خلف بن قديد الأزدى أخبرنا أبو

القاسم عبد الرحمن بن عبد اللّه ابن عبد الحكم قال:

لما قدم عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه الجابية قام اليه عمرو بن العاص رضى اللّه عنه فخلا به و قال: يا أمير المؤمنين، ائذن لى أن أسير الى مصر، و حرّضه عليها و قال: إنك إن فتحتها كانت قوّة للمسلمين و عونا لهم، و هى أكثر الأرض أموالا و أعجز [ها] عن القتال و الحرب، فتخوّف عمر بن الخطاب على المسلمين و كره ذلك، فلم يزل عمرو يعظم أمرها عنده و يخبره بحالها و يهوّن عليه فتحها، حتى ركن اليه عمر و عقد له على أربعة آلاف رجل [كلهم من عكّ]، و يقال: [بل]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶

ثلاثة آلاف و خمسمائة، و قال له عمر: سر و أنا مستخير اللّه فى مسيرك، و سيأتيك كتابى سريعا إن شاء اللّه تعالى، فإن أدرككك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئا من أرضها فانصرف، و إن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك و استعن باللّه و استنصره.

فسار عمرو بن العاص من جوف الليل و لم يشعر به أحد من الناس فاستخار عمر و كاتبه يتخوّف على المسلمين بالرجوع، فأدرك الكتاب عمرا و هو برمح؛ فتخوّف عمرو إن هو أخذ الكتاب و فتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد اليه عمر، فلم يأخذ الكتاب من الرسول و دافعه و سار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح و العريش، فسأل [عنها] فقيل: إنها من أرض مصر، فدعا بالكتاب و قرأه على المسلمين؛ فقال عمرو لمن معه: أ لستم تعلمون أنّ هذه القرية من أرض مصر؟ قالوا: بلى، قال:

فإن أمير المؤمنين عهد إلىّ و أمرنى إن لحقنى كتابه و لم أدخل أرض مصر أن أرجع، و لم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر، فسيروا و امضوا على بركة اللّه. و قيل غير ذلك: و هو أن عمر أمره بالرجوع و خشّن عليه فى القول.

و روى نحو مما ذكرنا من وجه آخر، من ذلك: أن عثمان بن عفان رضى اللّه عنه دخل على عمر بن الخطاب رضى اللّه عنهما، فقال عمر له: كتبت الى عمرو بن العاص أن يسير الى مصر من الشأم، فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، إنّ عمرا لمجرّأ و فيه إقدام و حب للإمارة، فأخشى أن يخرج فى غير ثقة و لا جماعة فيعرّض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدرى تكون أم لا، فندم عمر على كتابه الى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷

عمرو إشفاقا على المسلمين، ثم قال عثمان: فاكتب اليه: إن أدرككك كتابى هذا قبل أن تدخل مصر فارجع الى موضعك، و إن كنت دخلت فامض لوجهك.

فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص الى مصر توجه الى موضع الفسطاط، فكان يجهز على عمرو الجيوش و كان على القصر (يعنى قصر الشمع الذى بمصر القديمة) رجل من الروم يقال له الأعيرج واليا عليه، و كان تحت يد المقوقس، و اسمه:

جريج بن مينا، و أقبل عمرو حتى اذا كان بالعريش، فكان أوّل موضع قوتل فيه الفرما قاتلته الروم قتالا شديدا نحوا من شهر ثم فتح اللّه على يديه، و كان عبد اللّه ابن سعد على ميمنة عمرو منذ خروجه من قيساريّة الى أن فرغ من حربه؛ ثم مضى عمرو نحو مصر و كان بالإسكندرية أسقف للقبط يقال له: أبو ميامين، فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى قبط مصر يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة و أن ملكهم قد انقطع، و أمرهم بتلقى عمرو.

و يقال: إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا؛ ثم توجه عمرو لا يدافع إلا بالأمر الأخف حتى نزل القواصر، فسمع رجل من لخم نفرا من القبط يقول بعضهم لبعض: ألا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جموع الروم و إنما هم فى قلة من الناس! فأجابه رجل منهم فقال: إن هؤلاء القوم لا يتوجهون الى أحد إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا أخيرهم؛ ثم تقدّم عمرو أيضا لا يدافع إلا بالأمر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۸

الخفيف حتى أتى بلبيس فقاتل نحوا من شهر حتى فتح اللّه عليه؛ ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى أمّ دنين، فقاتلوا من بها قتالا شديدا و أبطأ عليه الفتح، فكتب الى عمر رضى اللّه عنه يستمدّه فأمدّه بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف مع عمرو، فوصلوا اليه أرسالا يتبع بعضهم بعضا ثم أحاط المسلمون بالحصن و أميره يومئذ المندقور الذى يقال له الأعيرج من قبل المقوقس و هو ابن قرقب اليونانىّ و كان المقوقس ينزل بالإسكندرية و هو فى سلطان هرقل غير أنه كان حاضرا الحصن حين حاصره المسلمون، فقاتل عمرو بن العاص من بالحصن، و جاء رجل الى عمرو و قال: اندب معى خيلا حتى آتى من ورائهم عند القتال، فأخرج معه عمرو خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حذافة، فى قول، فساروا من وراء الجبل حتى وصلوا مغار بنى وائل قبل الصبح، و كانت الروم قد خندقوا خندقا و جعلوا له أبوابا و بثّوا فى أفنيتها حسك الحديد، فالتقاهم القوم حين أصبحوا و خرج خارجة من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن و قاتلهم قتالا شديدا بصبحهم و عشيهم، فلما أبطأ الفتح على عمرو كتب الى عمر رضى اللّه عنه يستمدّه و يعلمه بذلك، فأمدّه بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف: الزّبير بن العوّام، و المقداد بن الأسود، و عبادة بن الصّامت، و مسلمة بن مخلّد- فى قول- و قيل: خارجة بن حذافة الرابع، لا يعدّون مسلمة. و قال عمر له: إعلم أن معك اثنى عشر ألفا و لن تغلب اثنا عشر ألفا من قلة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹

و قيل غير ذلك، و هو أنّ الزبير رضى اللّه عنه قدم الى عمرو فى اثنى عشر ألفا و أنّ عمرا لما قدم من الشأم كان فى عدّة قليلة فكان يفرّق أصحابه ليرى العدوّ أنهم أكثر مما هم، فلما انتهى الى الخندق بادره رجل بأن قال: قد رأينا ما صنعت و إنما معك من أصحابك كذا و كذا فلم يخطئوا برجل واحد، فأقام عمرو على ذلك أياما يغدو فى السحر فيصفّ أصحابه على أفواه الخندق عليهم السلاح، فبينماهم على ذلك إذ جاءه خبر الزبير بن العوّام فى اثنى عشر ألفا فتلقاه عمرو، ثم أقبلا فلم يلبث الزبير أن ركب و طاف بالخندق ثم فرّق الرجال حول الخندق و ألح عمرو على القصر و وضع عليه المنجنيق.

و دخل عمرو الى صاحب الحصن فتناظرا فى شىء مما هم فيه، فقال عمرو:

أخرج و أستشير أصحابى، و قد كان صاحب الحصن أوصى الذى على الباب اذا مرّ به عمرو أن يلقى عليه صخرة فيقتله، فمرّ عمرو و هو يزيد الخروج برجل من العرب فقال له: قد دخلت فانظر كيف تخرج، فرجع عمرو الى صاحب الحصن فقال له:

إنى أريد أن آتيك بنفر من أصحابى حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت، فقال العلج فى نفسه: قتل جماعة أحب الىّ من قتل واحد، فأرسل الى الذى كان أمره بما أمره من أمر عمرو ألا يتعرّض له رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم، فخرج عمرو.

و بينما عبادة بن الصامت فى ناحية يصلى و فرسه عنده رآه قوم من الروم فخرجوا اليه و عليهم حلية و بزّة، فلما دنوا منه سلم من الصلاة و وثب على فرسه ثم حمل عليهم، فلما رأوه و لوا هاربين و تبعهم، فجعلوا يلقون مناطقهم و متاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم، فصار لا يلتفت اليه حتى دخلوا الى الحصن، و رمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة، فرجع و لم يتعرّض لشىء مما طرحوه من متاعهم حتى رجع الى موضعه الذى كان فيه فاستقبل الصلاة؛ و خرج الروم الى متاعهم و جمعوه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰

فلما أبطأ الفتح على عمرو قال الزبير: إنى أهب نفسى للّه تعالى و أرجو أن يفتح اللّه بذلك على المسلمين، فوضع سلما الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمّام ثم صعد و أمرهم اذا سمعوا تكبيره يجيبونه جميعا؛ فما شعروا إلا و الزبير على رأس الحصن يكبر و معه السيف، و تحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا أن ينكسر السلم، و كبر الزبير تكبيرة فأجابه المسلمون من خارج، فلم يشك أهل الحصن أنّ العرب قد اقتحموا جميعا الحصن فهربوا و عمد الزبير بأصحابه الى باب الحصن ففتحوه و اقتحم المسلمون الحصن. فلما خاف المقوقس على نفسه و من معه سأل عمرو ابن العاص الصلح و دعاه اليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين دينارين على كل رجل منهم، فأجابه عمرو الى ذلك.

و كان مكثهم على القتال حتى فتح اللّه عليهم سبعة أشهر. انتهى كلام ابن عبد الحكم باختصار.

و قال غيره فى الفتح وجها آخر قال: لما حصر المسلمون بابليون و كان به جماعة من الروم و أكابر القبط و رؤسائهم و عليهم المقوقس فقاتلوهم شهرا، فلما رأى القوم الجدّ من العرب على فتحه و الحرص، و رأوا من صبرهم على القتال و رغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم، فتنحّى المقوقس و جماعة من أكابر الأقباط و خرجوا من باب القصر القبلىّ و تركوا به جماعة يقاتلون العرب، فلحقوا بالجزيرة (موضع الصناعة اليوم) و أمروا بقطع الجسر و ذلك فى جرى النيل. و يقال: إنّ الأعيرج تخلف بالحصن بعد المقوقس؛ فأرسل المقوقس الى عمرو:

«إنكم قد و لجتم فى بلادنا و ألححتم على قتالنا، و طال مقامكم فى أرضنا و إنما أنتم عصبة يسيرة، و قد أظلتكم الروم و جهزوا اليكم و معهم من العدّة و السلاح، و قد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱

أحاط بكم هذا النيل. و إنما أنتم أسارى فى أيدينا، فابعثوا الينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا و بينكم على ما تحبون و نحب و ينقطع عنا و عنكم القتال قبل أن يغشاكم جموع الروم، فلا ينفعنا الكلام و لا نقدر عليه.

و لعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفا لمطلبكم و رجائكم، فابعثوا الينا رجالا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن و هم به من شىء».

فلما أتت عمرا رسل المقوقس حبسهم عنده يومين و ليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال لأصحابه: أ ترون أنهم يقتلون الرسل [و يحبسونهم] و يستحلون ذلك فى دينهم! و إنما أراد عمرو بذلك أنهم يرون حال المسلمين.

فردّ عليهم عمرو مع رسلهم: إنه ليس بينى و بينكم إلا إحدى ثلاث خصال:

إمّا أن دخلتم فى الإسلام فكنتم إخواننا و كان لكم ما لنا. و إن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد و أنتم صاغرون. و إما أن جاهدناكم بالصبر و القتال حتى يحكم اللّه بيننا و بينكم و هو خير الحاكمين. فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال: كيف رأيتموهم؟ قالوا:

رأينا قوما الموت أحب الى أحدهم من الحياة، و التواضع أحب اليهم من الرفعة، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة و لا نهمة، و إنما جلوسهم على التراب و أكلهم على ركبهم و أميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم و لا السيد من العبد، و اذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد؛ يغسلون أطرافهم بالماء و يخشعون فى صلاتهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲

فقال عند ذلك المقوقس: و الذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها و ما يقوى على قتال هؤلاء أحد! و لئن لم نغتنم صلحهم اليوم و هم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم اذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم.

فردّ اليهم المقوقس رسله يقول لهم: ابعثوا الينا رسلا منكم نعاملهم و نتداعى نحن و هم الى ما عساه يكون فيه صلاح لنا و لكم.

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت، و كان طوله عشرة أشبار، و أمره عمرو أن يكون متكلم القوم و ألّا يجيبهم الى شىء دعوه اليه إلا إحدى هذه الثلاث الخصال، فإنّ أمير المؤمنين قد تقدّم الىّ فى ذلك و أمرنى ألا أقبل شيئا إلا خصلة من هذه الثلاث الخصال، و كان عبادة أسود، فلما ركبوا السفن الى المقوقس و دخلوا عليه تقدّم عبادة، فهابه المقوقس لسواده و قال: نحّوا عنّى هذا الأسود و قدّموا غيره يكلمنى؛ فقالوا جميعا: إن هذا الأسود أفضلنا رأيا و علما و هو سيّدنا و خيّرنا و المقدّم علينا، و إنما نرجع جميعا الى قوله و رأيه و قد أمره الأمير دوننا بما أمره و أمرنا ألا نخالف رأيه و قوله.

فقال: و كيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم و إنما ينبغى أن يكون هو دونكم؟ قالوا: كلا! إنه و إن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعا و أفضلنا سابقة و عقلا و رأيا و ليس ينكر السواد فينا؛ فقال المقوقس لعبادة: تقدّم يا أسود و كلمنى برفق فإننى أهاب سوادك و إن اشتدّ كلامك علىّ ازددت لك هيبة، فتقدّم اليه عبادة فقال:

قد سمعت مقالتک و إنّ فيمن خلّفت من أصحابى ألف رجل كلهم مثلى و أشدّ سوادا منى و أفظع منظرا و لو رأيتهم لكنت أهيب لهم منى، و أنا قد ولّيت و أدبر

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۳

شبابى، و إنى مع ذلک بحمد اللّه ما أهاب مائة رجل من عدوّى لو استقبلونى جميعا و كذلک أصحابى، و ذلک إنما رغبتنا و همتنا الجهاد فى اللّه و اتباع رضوانه، و ليس غزونا عدوّا ممن حارب اللّه لرغبة فى الدنيا و لا حاجة للاستكثار منها إلا أن اللّه عز و جل قد أحل ذلک لنا و جعل ما غنمنا من ذلک حلالا، و ما يبالى أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملک إلا درهما، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسدّ بها جوعته ليلته و نهاره، و شملة يلتحفها، و إن كان أحدنا لا يملک إلا ذلک كفاه، و إن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة اللّه تعالى، و اقتصر على هذه بيده و يبلغه ما كان فى الدنيا لأنّ نعيم الدنيا ليس بنعيم و رخاءها ليس برخاء، إنما النعيم و الرخاء فى الآخرة، بذلک أمرنا اللّه و أمرنا به نبينا و عهد إلينا ألّا تكون همة أحدنا فى الدنيا إلا ما يمسک جوعته و يستر عورته، و تكون همته و شغله فى رضاء ربه و جهاد عدوّه.

فلما سمع المقوقس ذلک منه قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط! لقد هبت منظره و إنّ قوله لأهيب عندى من منظره، إن هذا و أصحابه أخرجهم اللّه لخراب الأرض و ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها. ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال:

أيها الرجل الصالح، قد سمعت مقالتک و ما ذكرت عنک و عن أصحابک، و لعمرى ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت، و ما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا و رغبتهم فيها، و قد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده، قوم معروفون بالنجدة و الشدّة ممن لا يبالى أحدهم من لقى و لا من قاتل، و إنّا لنعلم أنكم لم تقووا

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۴

عليهم و لن تطيقوهم لضعفكم و قلتكم، و قد أقمتم بين أظهرنا أشهرا و أنتم فى ضيق و شدّة من معاشكم و حالكم، و نحن نرقّ عليكم لضعفكم و قلتكم و قلة ما بأيديكم، و نحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين و لأميركم مائة دينار و لخليفتكم ألف دينار، فتقبضونها و تنصرفون الى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوّة لكم به.

فقال عبادة: يا هذا، لا تغرّنّ نفسک و لا أصحابک. أمّا ما تخوّفنا به من جمع الروم و عددهم و كثرتهم و أنّا لا نقوى عليهم، فلعمرى ما هذا بالذى تخوّفنا به و لا بالذى يكسرنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقا فذلک و اللّه أرغب ما يكون فى قتالهم و أشدّ لحرصنا عليهم، لأن ذلک أعذر لنا عند اللّه إذا قدمنا عليه إن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوانه و جنته، و ما من شىء أقرّ لأعيننا و لا أحب الينا من ذلک، و إنّا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين، إمّا أن تعظم لنا بذلک غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، و إنها لأحب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا، و إن اللّه عز و جل قال لنا فى كتابه: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ و ما منا رجل إلا و هو يدعو ربه صباحا و مساء أن يرزقه الشهادة و ألا يردّه الى بلده و لا الى أرضه و لا الى أهله و ولده، و ليس لأحد منا همّ فيما خلّفه و قد استودع كل واحد منا ربه أهله و ولده و إنما همنا [ما] أمامنا.

و أما قولک إنا فى ضيق و شدّة من معاشنا و حالنا فنحن فى أوسع السعة لو كانت الدنيا كلّها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه، فانظر الذى تريد فبيّنه لنا فليس بيننا و بينک خصلة نقبلها منک و لا نجيبک اليها إلا خصلة من ثلاث،

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵

فاختر أيتها شئت و لا تطمع نفسک فى الباطل، بذلک أمرنى الأمير و بها أمره أمير المؤمنين و هو عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من قبله الينا.

إما إجابتكم الى الإسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل اللّه غيره و هو دين نبينا و أنبيائه و رسله و ملائكته- صلوات اللّه عليهم- أمرنا

اللّه تعالى أن نقاتل من خالفه و رغب عنه حتى يدخل فيه، فإن فعل كان له ما لنا و عليه ما علينا و كان أخانا فى دين الإسلام، فإن قبلت ذلك أنت و أصحابك فقد سعدتم فى الدنيا و الآخرة و رجعنا عن قتالكم و لم نستحلّ أذاكم و لا التعرّض لكم؛ و إن أبيتم إلا الجزية فأدّوا الينا الجزية عن يد و أنتم صاغرون، نعاملكم على شىء نرضاه نحن و أنتم فى كل عام أبدا ما بقينا و بقيتم و نقاتل عنكم من ناوأكم و عرض لكم فى شىء من أرضكم و دمائكم و أموالكم و نقوم بذلك عنكم إذ كنتم فى ذمّتنا و كان لكم به عهد علينا؛ و إن أبيتم فليس بيننا و بينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب ما نريد منكم. هذا ديننا الذى ندين اللّه تعالى به و لا يجوز لنا فيما بيننا و بينه غيره، فانظروا لأنفسكم.

فقال المقوقس: هذا لا يكون أبدا، ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيدا ما كانت الدنيا. فقال عبادة: هو ذلك فاختر ما شئت. فقال المقوقس: أفلا تجيبونا الى خصلة غير هذه الثلاث الخصال؟ فرفع عبادة يديه و قال: لا و رب هذه السماء و رب هذه الأرض و رب كل شىء، ما لكم عندنا خصلة غيرها، فاختاروا لأنفسكم.

فالتفت المقوقس عند ذلك لأصحابه و قال: قد فرغ القوم فما ترون؟ فقالوا:

أو يرضى أحد بهذا الذل! أمّا ما أرادوا من دخولنا الى دينهم فهذا ما لا يكون أبدا، نترك دين المسيح بن مريم و ندخل فى دين لا نعرفه! و أمّا ما أرادوا من أن

يسبونا و يجعلونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك، لو رضوا منا أن نضعّف لهم ما أعطيناهم مرارا كان أهون علينا.

قال المقوقس لعبادة: قد أبى القوم فما ترى؟ فراجع صاحبك على أن نعطيكم فى مرّتكم هذه ما تمنيتم و تنصرفون. فقام عبادة و أصحابه.

فقال المقوقس لأصحابه: أطيعونى و أجيبوا القوم الى خصلة واحدة من هذه الثلاث، فو اللّه ما لكم بهم طاقة! و لئن لم تجيبوا اليها طائعين لتجيبنّهم الى ما هو أعظم كارهين. فقالوا: و أىّ خصلة نجيبهم إليها؟ قال: إذا أخبركم، أمّا دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به؛ و أمّا قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم و لن تصبروا صبرهم؛ و لا بدّ من الثالثة؛ قالوا: فنكون لهم عبيدا أبدا؟ قال: نعم، تكونون عبيدا مسلطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم و أموالكم و ذراريكم [خير لكم من أن تموتوا من آخركم و تكونوا عبيدا تباعوا و تمزّقوا فى البلاد مستعبدين أبدا أنتم و أهلكم و ذراريكم]. قالوا: فالموت أهون علينا. و أمروا بقطع الجسر من الفسطاط و الجزيرة؛ و بالقصر من جمع القبط و الروم كثير.

فألحّ المسلمون عند ذلك بالقتال على من بالقصر حتى ظفروا بهم و أمكن اللّه منهم، فقتل منهم خلق كثير و أسر من أسر منهم و انحازت السفن كلها الى الجزيرة، و صار المسلمون قد أحدق بهم الماء من كل وجه لا يقدرون على أن يتقدّموا نحو الصعيد و لا الى غير ذلك من المدائن و القرى، و المقوقس يقول لأصحابه: أ لم أعلمكم هذا و أخافه عليكم، ما تنتظرون! فو اللّه لتجيبنهم الى ما أرادوا طوعا أو لتجيبنّهم الى ما هو أعظم من ذلك كرها، فأطيعونى من قبل أن تندموا. فلما رأوا منهم ما رأوا و قال لهم المقوقس ما قال أذعنوا بالجزية و رضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه.

و أرسل المقوقس الى عمرو بن العاص رضى اللّه عنه: إنى لم أزل حريصا على إجابتك الى خصلة من تلك الخصال التى أرسلت الىّ بها، فأبى علىّ من حضرنى من الروم و القبط، فلم يكن لى أن أفتات عليهم فى أموالهم و قد عرفوا نصحى لهم و حبّى صلاحهم و رجعوا الى قولى؛ فأعطنى أمانا أجتمع أنا و أنت فى نفر من أصحابى و أنت فى نفر من أصحابك، فإن استقام الأمر بيننا تمّ [لنا] ذلك جميعا، و إن لم يتم رجعنا الى ما كنّا عليه.

فاستشار عمرو أصحابه فى ذلك، فقالوا: لا نجيبهم الى شىء من الصلح و لا الجزية حتى يفتح اللّه علينا [و تصير الأرض كلها لنا فيئا و

غنيمة كما صار لنا القصر و ما فيه] فقال: قد علمتم ما عهد الىّ أمير المؤمنين فى عهده، فإن أجابوا الى خصلة من الخصال الثلاث التى عهد إلىّ فيها أجبتهم اليها و قبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا و بين ما نريد من قتالهم.

فاجتمعوا على عهد بينهم و اصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها و أسفلها من القبط دينارين دينارين على كل نفس شريفهم و وضيعهم ممن بلغ منهم الحلم، ليس على الشيخ الفانى و لا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم و لا على النساء شىء؛ و على أن للمسلمين عليهم النّزل بجماعتهم حيث نزلوا، و من نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك، كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم، و أن لهم أرضهم و أموالهم لا يتعرّض لهم فى شىء منها.

فشرط ذلك كله على القبط خاصة. و أحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية و فرض عليهم الدينارات؛ رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸

فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها و أسفلها من جميع القبط فيما أحصوا و كتبوا أكثر من ستة آلاف نفس، فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف دينار فى كل سنة؛ و قيل غير ذلك.

و قال عبد اللّه بن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمىّ: لما فتح عمرو مصر، صالح أهلها عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك، ليس فيهم امرأة و لا شيخ و لا صبىّ، فأحصوا بذلك على دينارين دينارين، فبلغت عدّتهم ثمانية آلاف ألف. قال: و شرط المقوقس للروم أن يخيّروا، فمن أحب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹

منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازما له مفترضا عليه ممن أقام بالإسكندرية و ما حولها من أرض مصر كلها، و من أراد الخروج منها الى أرض الروم خرج؛ و على أن المقوقس له الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم يعلمه بما فعل؛ فإن قبل ذلك و رضيه جاز عليهم، و إلا كانوا جميعا على ما كانوا عليه.

قلت: و قد اختلف بعد ذلك فى فتح مصر: هل فتحت صلحا أم عنوة، فمن قال: إن مصر فتحت بصلح، احتج بما ذكرناه و نحوه بمثل ما ذكره القضاعىّ و غيره، و قالوا: إن الأمر لم يتم إلا بما جرى بين عبادة بن الصامت و بين المقوقس؛ و على ذلك أكثر علماء أهل مصر، منهم عقبة بن عامر و يزيد بن أبى حبيب و الليث ابن سعد و غيرهم.

و ذهب الذى قال إنها فتحت عنوة الى أن الحصن فتح عنوة و كان حكم جميع الأرض كذلك؛ و هم عبيد اللّه بن المغيرة الشيبانى و مالك بن أنس و عبد اللّه ابن وهب و غيرهم.

و ذهب قوم الى أن بعضها فتح عنوة، و بعضها فتح صلحا، منهم عبد اللّه ابن لهيعة و ابن شهاب الزهرىّ و غيرهما.

قال عبيد اللّه بن أبى جعفر حدّثنى رجل ممن أدرك عمرو بن العاص قال: للقبط عهد عند فلان، و عهد عند فلان؛ فسمى ثلاثة نفر. و فى رواية: أن عهد أهل مصر كان عند كبرائهم.

قال: و سألت شيخا من القدماء عن فتح مصر، قلت له: فإن ناسا يذكرون أنه لم يكن لهم عهد؛ فقال: ما يبالى ألّا يصلّى من قال إنه ليس لهم عهد؛ فقلت:

فهل كان لهم كتاب؟ فقال: نعم، كتب ثلاثة: كتاب عند طلما صاحب إخنا،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰

و كتاب عند قزمان صاحب رشيد، و كتاب عند يحنّس صاحب البرلّس؛ قلت:

كيف كان صلحهم؟ قال: دينارين على كل إنسان جزية و أرزاق المسلمين؛ قلت:

أفتعلم ما كان من الشروط؟ قال: نعم، ستة شروط: لا يخرجون من ديارهم، و لا تنزع نساؤهم، و لا أولادهم، و لا كنوزهم، و لا

أراضيهم، و لا يزاد عليهم.

و كان فتح مصر يوم الجمعة مستهل المحرّم سنة عشرين من الهجرة.

و قال ابن كثير فى تاريخه: قال محمد بن إسحاق: فيها (يعنى سنة عشرين من الهجرة) كان فتح مصر. و كذا قال الواقدىّ: إنها فتحت هى و الإسكندرية فى هذه السنة. و قال أبو معشر: فتحت مصر سنة عشرين و الإسكندرية فى سنة خمس و عشرين. و قال سيف: فتحت مصر و الإسكندرية فى ربيع الأوّل سنة ست عشرة. و رجح ذلك أبو الحسن بن الأثير فى الكامل لقصة بعث عمرو الميرة من مصر عام الرمادة. و هو معذور فيما رجحه. انتهى كلام ابن كثير.

و قال أيضا فى قول آخر: فتحت الإسكندرية فى سنة خمس و عشرين بعد محاصرة ثلاثة أشهر عنوة، و قيل: صلحا على اثنى عشر ألف دينار، و شهد فتحها جماعة كثيرة من الصحابة رضى اللّه عنهم أجمعين.

قال ابن عبد الحكم: و كان من حفظ من الذين شهدوا فتح مصر من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من قريش و غيرهم و من لم يكن له برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم صحبة، و ذكرهم جملة واحدة، فقال: الزبير بن العوّام، و سعد بن أبى وقّاص، و عمرو بن العاص، و كان أمير القوم، و عبد اللّه بن عمرو بن العاص، و خارجة بن حذافة العدوىّ، و عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، و قيس بن أبى العاص السهمىّ، و المقداد بن الأسود، و عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح العامرىّ، و نافع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۱

ابن عبد قيس الفهرىّ، و أبو رافع، مولى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و ابن عبدة، و عبد الرحمن و ربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة، و وردان، مولى عمرو ابن العاص، و كان حامل لواء عمرو بن العاص، رضى اللّه عنهم. و قد اختلف فى سعد بن أبى وقاص فقيل: إنما دخلها بعد الفتح.

و شهد الفتح من الأنصار عبادة بن الصامت، و قد شهد بدرا و بيعة العقبة، و محمد بن مسلمة الأنصارىّ، و قد شهد بدرا، و هو الذى أرسله عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه الى مصر فقاسم عمرو بن العاص ماله، و هو أحد من كان صعد الحصن مع الزبير بن العوّام، و مسلمة بن مخلّد الأنصارىّ، يقال: له صحبة، و أبو أيوب خالد بن زيد الأنصارىّ، و أبو الدرداء عويمر بن عامر، و قيل: عويمر بن زيد.

و من أحياء القبائل: أبو بصرة حميل بن بصرة الغفارىّ، و أبو ذرّ جندب ابن جنادة الغفارىّ.

و شهد الفتح مع عمرو بن العاص هبيب بن مغفل، و اليه ينسب وادى هبيب الذى بالمغرب، و عبد اللّه بن الحارث بن جزء الزّبيدىّ، و كعب بن ضنّة العبسىّ،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۲

و يقال: كعب بن يسار بن ضنّة، و عقبة بن عامر الجهنىّ، و هو كان رسول عمر ابن الخطاب الى عمرو بن العاص حين كتب اليه [يأمره] أن يرجع إن لم يكن دخل أرض مصر، و أبو زمعة البلوىّ، و برح بن عسكل و يقال: برح بن عسكر، شهد فتح مصر و اختط بها، و جنادة بن أبى أميّة الأزدىّ، و سفيان بن وهب الخولانىّ و له صحبة، و معاوية بن حديج الكندىّ، و هو كان رسول عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية، و قد اختلف فيه، فقال قوم: له صحبة، و قال آخرون: ليست له صحبة، و عامر، مولى حمل الذى يقال له: عامر حمل، شهد الفتح و هو مملوك، و عمار بن ياسر، و لكن دخل بعد الفتح فى أيام عثمان، وجهه اليها فى بعض أموره. انتهى كلام ابن عبد الحكم باختصار.

و قال ابن كثير: فى فتح مصر وجه آخر على ما أخبرنا به شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقينىّ الشافعىّ مشافهة بإجازته من الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير مجموعا من كلام ابن إسحاق و غيره، قالوا:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۳

لما استكمل المسلمون فتح الشأم، بعث عمر بن الخطاب عمرو بن العاص الى مصر. و زعم سيف: أنه بعثه بعد فتح بيت المقدس، و

أردفه بالزبير بن العوّام و فى صحبته بسر بن أبى أرطاة و خارجة بن حذافة و عمير بن وهب الجمحىّ، فاجتمعوا على باب مصر، فلقيهم أبو مريم جاثليق مصر و معه الأسقف أبو مريام فى أهل البنيات، بعثه المقوقس صاحب الإسكندرية لمنع بلادهم.

فلما تصافّوا قال عمرو بن العاص: لا تعجلوا حتى نعذر اليكم، ليبرز الىّ أبو مريم و أبو مريام راهبا هذه البلاد [فبرزا اليه، فقال لهما عمرو: أنتما راهبا هذه البلاد] فاسمعا: إنّ اللّه بعث محمدا بالحق و أمره به و أمرنا به محمد و أدّى الينا كل الذى أمر به، ثم مضى و تركنا على الواضحة، و كان مما أمرنا به الإعذار الى الناس، فنحن ندعوكم الى الإسلام، فمن أجابنا فمثلنا، و من لم يجبنا عرضنا عليه الجزية و بذلنا له المنعة. و قد أعلمنا أننا مفتتحوكم و أوصينا بكم حفظا لرحمنا منكم، و إنّ لكم إن أجبتمونا بذلك ذمّة الى ذمّة؛ و مما عهد الينا أميرنا: «استوصوا بالقبطين خيرا» فإنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أوصانا بالقبطيين خيرا، لأن لهم ذمّة و رحما.

فقالوا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء، معروفة شريفة كانت ابنة ملكنا و كانت من أهل منف و الملك منهم، فأديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم و سلبوهم ملكهم و أغربوا، فلذلك صارت الى إبراهيم عليه السلام. مرحبا به و أهلا و أمنا حتى نرجع اليك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۴

فقال عمرو: إنّ مثلى لا يخدع، و لكنى أؤجلكما ثلاثا، لتنظرا و لتناظرا قومكما، و إلا ناجزتكم؛ قالا: زدنا، فزادهم يوما؛ فقالا: زدنا، فزادهم يوما، فرجعا الى المقوقس، فأبى أرطبون أن يجيبهما، و أمر بمناهدتهم، و قال لأهل مصر: أما نحن فنجتهد أن ندفع عنكم، لا نرجع اليهم، و قد بقيت أربعة أيام؛ و أشار عليهم بأن يبيّتوا المسلمين؛ فقال الملأ منهم: ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى و قيصر و غلبوهم على بلادهم! فألحّ الأرطبون فى أن يبيّتوا المسلمين؛ ففعلوا فلم يظفروا بشىء، بل قتل منهم طائفة، منهم الأرطبون. و حاصر المسلمون عين شمس من مصر فى اليوم الرابع، و ارتقى الزبير عليهم سور البلد.

فلما أحسوا بذلك خرجوا الى عمرو من الباب الآخر فصالحوه؛ و اخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذى عليه عمرو. فأمضوا الصلح و كتب لهم عمرو كتاب أمان:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم و ملّتهم و أموالهم و كنائسهم و صلبهم و برّهم و بحرهم لا يدخل عليهم شىء من ذلك و لا ينتقض و لا تساكنهم النّوبة. و على أهل مصر أن يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح و انتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف، و عليهم ما جنى لصوتهم؛ فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزية بقدرهم؛ و ذمّتنا ممن أبى بريئة. و إن نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك؛ و من دخل فى صلحهم من الروم و النّوبة فله مثل ما لهم و عليه مثل ما عليهم؛ و من أبى [منهم] و اختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا؛ عليهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۵

ما عليهم أثلاثا [فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم] على ما فى هذا الكتاب، عهد اللّه و ذمّة رسوله و ذمّة الخليفة أمير المؤمنين و ذمم المؤمنين، و على النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا و كذا رأسا، و كذا و كذا فرسا، على ألّا يغزوا و لا يمنعوا من تجارة صادرة و لا واردة». و شهد عليه الزبير و عبد اللّه و محمد ابناه، و كتب وردان و حضر.

فدخل فى ذلك أهل مصر كلهم و قبلوا الصلح و اجتمعت الخيول بمصر و عمروا الفسطاط. و ظهر أبو مريم و أبو مريام فكلّما عمرا فى السبايا التى أصيبت بعد المعركة؛ فأبى عمرو أن يردّها عليهما و أمر بطردهما و إخراجهما من بين يديه.

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، أمر أن كل سبى أخذ فى الخمسة الأيام التى آمنهم فيها أن يردّ عليهم، و كل شىء أخذ ممن لم يقاتل فكذلك، و من قاتل فلا تردّ عليه سباياه.

و قد قال الإمام أحمد: حدّثنا عتّاب حدّثنا عبد اللّه أخبرنى عبد اللّه بن عقبة- و هو عبد اللّه بن لهيعة بن عقبة- حدّثنى يزيد بن أبى حبيب عمّن سمع عبد اللّه ابن المغيرة بن أبى بردة يقول: سمعت سفيان بن وهب الخولانى يقول: لما افتتحنا مصر بغير عهد قام الزبير بن العوّام فقال: يا عمرو بن العاص، اقسمها، فقال عمرو:

لا أقسمها؛ فقال الزبير: و اللّه لتقسمنّها كما قسم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خيبر، فقال عمرو: و اللّه لا أقسمها حتى أكتب الى أمير المؤمنين، و كتب الى عمر؛ فكتب إليه عمر: أقرّها حتى يغزو منها حبل الحبلة. تفرّد به أحمد، و فى إسناده

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۶

ضعف من جهة ابن لهيعة لكنه عليم بأمور مصر و من جهة المبهم الذى لم يسم، فلو صحّ لدل على فتحها عنوة و لدلّ على أن الإمام يخيّر فى الأراضى العنوة، إن شاء قسمها، و إن شاء أبقاها.

قلت: قد رواه الطحاوىّ بسند صحيح.

و ذكر سيف: أن عمرو بن العاص لما التقى مع المقوقس جعل كثير من المسلمين يفرّ من الزحف، فجعل عمرو يذمّرهم و يحثّهم على الثبات؛ فقال له رجل من أهل اليمن: إنّا لم نخلق من حجارة و لا حديد! فقال له عمرو: أسكت، فإنما أنت كلب؛ فقال له الرجل: فأنت إذا أمير الكلاب! فأعرض عنه عمرو، و نادى بطلب أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم؛ فلما اجتمع اليه من هناك من الصحابة، قال لهم عمرو: تقدّموا فبكم ينصر اللّه المسلمين؛ فهدوا الى القوم ففتح اللّه عليهم و ظفروا أتمّ الظفر. انتهى كلام ابن كثير و غيره.

و قد سقنا ما ذكره ابن كثير هنا لزيادة فيما ذكره، و لكونه حافظا محدّثا، فيصير بذلك ما ذكرناه من فتح مصر من طرق عديدة لتكثر فى هذا الكتاب الفائدة إن شاء اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۷

ذكر ما ورد فى فضل مصر من الآيات الشريفة و الأحاديث النبوية

قال الكندىّ و غيره من المؤرّخين: فمن فضائل مصر أن اللّه عز و جل ذكرها فى كتابه العزيز فى أربعة و عشرين موضعا، منها ما هو بصريح اللفظ، و منها ما دلت عليه القرائن و التفاسير.

فأما صريح اللفظ فمنه قوله تعالى: اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ، و قوله تعالى يخبر عن فرعون: أَ لَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي، و قوله تعالى: وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى وَ أَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً و منه قوله عز و جل مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام: ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ.

و أما ما دلت عليه القرائن فمنه قوله عز و جل: وَ لَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ. و قوله عز و جل: وَ آوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَ مَعِينٍ. قال ابن عباس و سعيد بن المسيّب و وهب بن منبّه و غيرهم: هى مصر. و قوله تعالى:

فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ كُنُوزٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ و قوله تعالى: وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها. يعنى مصر.

و قوله تعالى: كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ وَ نَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ. يعنى قوم فرعون، و أن بنى إسرائيل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۸

أورثوا مصر. و قوله تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ. و قوله عز و جل مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام:

يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ و قوله عز و جل مخبرا عن فرعون: يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ. و قوله عز و جل: وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا وَ دَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ. و قوله تعالى مخبرا عن فرعون: أَ تَذَرُ مُوسى وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ، يعنى أرض مصر. و قوله تعالى مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام: اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ، و قوله تعالى: وَ

كَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ و قوله تعالى مخبرا عن بنى إسرائيل:

رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِينَةً وَ أَمْوالًا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا و قوله تعالى مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام: عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ و قوله تعالى: أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ. يعنى أرض مصر. و قوله تعالى:

وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى. و قوله عز و جل: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً. و قوله تعالى مخبرا عن ابن يعقوب عليه السلام:

فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ. يعنى مصر. و قوله تعالى: إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ.

و أما ما ورد فى حقها من الأحاديث النبوية فقد روى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: «ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإنّ لهم ذمّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۹

و رحما» قال ابن كثير رحمه اللّه: و المراد بالرحم أنهم أخوال إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليهما السلام، أمّه هاجر القبطية، و هو الذبيح على الصحيح، و هو والد عرب الحجاز الذين منهم النّبيّ صلى اللّه عليه و سلم، و أخوال إبراهيم بن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و أمه مارية القبطية من سنى كورة أنصنا، و قد وضع عنهم معاوية الجزية إكراما لإبراهيم بن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. انتهى كلام ابن كثير.

و عنه صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: «اذا فتح اللّه عليكم مصر فاتّخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض» فقال له أبو بكر رضى اللّه عنه: و لم [ذلك] يا رسول اللّه؟ فقال: «لأنهم و أزواجهم فى رباط الى يوم القيامة» و عنه صلى اللّه عليه و سلم، و ذكر مصر: «ما كادهم أحد إلا كفاهم اللّه مئونته».

و قال عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضى اللّه عنهما: أهل مصر أكرم الأعاجم كلّها، و أسمحهم يدا، و أفضلهم عنصرا، و أقربهم رحما بالعرب عامّة، و بقريش خاصّة.

و قال أيضا: لما خلق اللّه آدم، مثّل له الدنيا: شرقها و غربها و سهلها و جبلها و أنهارها و بحارها و عامرها و خرابها، و من يسكنها من الأمم، و من يملكها من الملوك؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰

فلما رأى مصر، رآها أرضا سهلة ذات نهر جار، مادّته من الجنة تنحدر فيه البركة، و رأى جبلا من جبالها مكسوّا نورا لا يخلو من نظر الرب عز و جل اليه بالرحمة، فى سفحه أشجار مثمرة، فروعها فى الجنة تسقى بماء الرحمة، فدعا آدم فى النيل بالبركة، و دعا فى أرض مصر بالرحمة و البرّ و التقوى، و بارك على نيلها و جبلها سبع مرات؛ قال: «يا أيها الجبل المرحوم، سفحك جنة، و تربتك مسكة، تدفن فيها عرائس الجنة، أرض حافظة مطبقة رحيمة، لا خلتك يا مصر بركة، و لا زال بك حفظة، و لا زال منك ملك و عزّ، يا أرض مصر، فيك الخبايا و الكنوز، و لك البرّ و الثروة، سال نهرك عسلا، كثّر اللّه رزقك، و درّ ضرعك، وزكا نباتك، و عظمت بركتك و خصبت، و لا زال فيك يا مصر خير ما لم تتجبّرى و تتكبرى أو تخونى؛ فإذا فعلت ذلك، عداك شرّ ثم يغور خيرك».

فكان عليه السلام أوّل من دعا لها بالرحمة و الخصب و الرأفة و البركة.

و قال عبد اللّه بن عباس: دعا نوح عليه السلام لابنه بيصر بن حام- و هو أبو مصر الذى سمّيت مصر على اسمه- فقال: اللهم إنه قد أجاب دعوتى، فبارك فيه و فى ذرّيته، و أسكنه الأرض الطيّبة المباركة التى هى أمّ البلاد.

و قال عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضى اللّه عنهما: لما قسّم نوح عليه السلام الأرض بين ولده، جعل لحام مصر و سواحلها و الغرب و شاطئ النيل، فلما قدم بيصر ابن حام و بلغ العريش، قال: «اللهم إن كانت هذه الأرض التى وعدتنا على لسان نبيك نوح و جعلتها لنا منزلا فاصرف عنا و باها، و طيّب لنا ثراها، و اجمع ماها، و أنبت كلاها، و بارك لنا فيها، و تمم لنا وعدك؛ إنك على كل شىء

قدير، و إنك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱

لا تخلف الميعاد» و جعلها بيصر لابنه مصر و سماها به. يأتى ذكر ذلك عند ذكر من ملك مصر قبل الإسلام فى هذا المحل إن شاء اللّه تعالى.

و القبط ولد مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام.

و قال كعب الأحبار: لو لا رغبتى فى بيت المقدس لما سكنت إلا مصر؛ فقيل له: و لم؟ قال: لأنها معافاة من الفتن، و من أراد بها سوءا كبّه اللّه على وجهه، و هو بلد مبارك لأهله فيه.

و روى ابن يونس عنه قال: من أراد أن ينظر الى شبه الجنة فلينظر الى مصر اذا زخرفت؛ و فى رواية: اذا أزهرت.

و روى ابن يونس بإسناده الى أبى بصرة الغفارىّ قال: سلطان مصر سلطان الأرض كلّها.

قلت: و لهذا الخبر الصحيح جعلنا فى آخر تراجم ملوك مصر حوادث سائر الأقطار كلها.

و قال: فى التوراة مكتوب: مصر خزائن الأرض كلها، فمن أراد بها سوءا قصمه اللّه.

و قال عمرو بن العاص رضى اللّه عنه: ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة.

و عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضى اللّه عنه قال: خلقت الدنيا على خمس صور: على صورة الطير برأسه و صدره و جناحيه و ذنبه؛ فالرأس مكة و المدينة و اليمن،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲

و الصدر الشأم و مصر، بالجناح الأيمن العراق، و خلف العراق أمة يقال لها: واق واق و خلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه إلا اللّه، و الجناح الأيسر السند و الهند، و خلف الهند أمة يقال لها: باسك، و خلف باسك أمة يقال لها: منسك، و خلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه إلا اللّه، و الذّنب من ذات الحمام الى مغرب الشمس؛ و شرّ ما فى الطير الذنب.

و قال ابن عبد الحكم حدّثنا أشهب بن عبد العزيز و عبد الملك بن مسلمة قالا حدّثنا مالك عن ابن شهاب عن كعب بن مالك: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال:

«اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فإنّ لهم ذمّة و رحما» ثم ساق ابن عبد الحكم عدّة أحاديث أخر بأسانيد مختلفة فى حق مصر و نيلها فى هذا المعنى.

و قال أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز قاضى العراق: سألت أحمد بن المدبّر عن مصر، فقال: كشفتها فوجدت غامرها أضعاف عامرها، و لو عمرها السلطان لوفت له بخراج الدنيا.

و قال بعض المؤرّخين: إنه لّما استقرّ عمرو بن العاص رضى اللّه عنه على ولاية مصر كتب اليه عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه: أن صف لى مصر؛ فكتب اليه:

ورد كتاب أمير المؤمنين أطال اللّه بقاءه يسألنى عن مصر: اعلم يا أمير المؤمنين أنّ مصر قرية غبراء، و شجرة خضراء؛ طولها شهر، و عرضها عشر؛ يكنفها جبل أغبر، و رمل أعفر؛ يخطّ وسطها نيل مبارك الغدوات، ميمون الرّوحات؛ تجرى فيه الزيادة و النقصان كجرى الشمس و القمر؛ له أوان يدرّ حلابه، و يكثر فيه دبابه، تمدّه عيون الأرض و ينابيعها حتى اذا ما اصلخمّ عجاجه، و تعظّمت أمواجه، فاض

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳

على جانبيه فلم يمكن التخلّص من القرى بعضها الى بعض إلا فى صغار المراكب، و خفاف القوارب، و زوارق كأنهنّ فى المخايل ورق الأصائل؛ فاذا تكامل فى زيادته، نكص على عقبيه كأوّل ما بدأ فى جريته، و طما فى درّته؛ فعند ذلك تخرج أهل ملة محقورة، و

ذمـة مخفورة، يحرثون بطون الأرض و يبـذرون بها الحبّ، يرجون بذلك النّماء من الربّ؛ لغيرهم ما سـعوا من كدّهم، فناله منهم بغير جدّهم؛ فاذا أحدق الزرع و أشـرق، سـقاه الندى و غذّاه من تحته الثرى؛ فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء، اذا هى عنبرة سوداء، فاذا هى زمرّدة خضـراء، فإذا هى ديباجـة رقشاء، فتبارك اللّه الخالق لما يشاء. الـذى يصـلح هـذه البلاد و ينمّيها و يقرّ قاطنيها فيها، ألّا يقبـل قول خسيسـها فى رئيسـها، و ألّـا يسـتأدى خراج ثمرة إلّا فى أوانها، و أن يصـرف ثلث ارتفاعها، فى عمل جسورها و ترعها؛ فإذا تقرّر الحال مع العمّال فى هذه الأحوال، تضاعف ارتفاع المال؛ و اللّه تعالى يوفق فى المبدأ و المآل.

فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه قال: للّه درّك يا بن العاص! لقد وصفت لى خبرا كأنى أشاهده.

و قال المسـعودىّ فى تاريخه: قال النّبىّ صـلى اللّه عليه و سـلم: «اسـتوصوا بأهل مصـر خيرا فإنّ لهم نسـبا و صـهرا» أراد بالنسب: هاجر زوجة إبراهيم الخليل عليه السـلام و أم ولده اسـماعيل. و أراد بالصـهر: مارية القبطية أم ولد النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم التى أهداها له المقوقس ا ه.

ذكر ما ورد فى نيل مصر

روى يزيد بن أبى حبيب: أن معاوية بن أبى سـفيان رضى اللّه عنه سأل كعب الأحبار: هل تجد لهذا النيل فى كتاب اللّه خبرا؟ قال: إى و الذى فلق البحر لموسى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۴

عليه السلام! إنى لأجد فى كتاب اللّه عز و جل أنّ اللّه يوحى اليه فى كل عام مرّتين:

يوحى اليه عند جريه: إن اللّه يأمرك أن تجرى، فيجرى ما كتب اللّه؛ ثم يوحى اليه بعد ذلك: يا نيل عد حميدا.

و روى ابن يونس من طريق حفص بن عـاصم عن أبى هريرة: أنّ رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم قـال: «النيـل و سـيحان و جيحـان و الفرات من أنهار الجنة».

و عن يزيـد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن كعب الأحبار أنه كان يقول: أربعة أنهار من الجنة وضـعها اللّه عز و جل فى الدنيا، فالنيل نهر العسل فى الجنة، و الفرات نهر الخمر فى الجنة، و سيحان نهر الماء فى الجنة، و جيحان نهر اللبن فى الجنة.

و قد روى عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص أنه قال: نيل مصـر سـيد الأنهار، و سـخّر اللّه له كل نهر من المشـرق الى المغرب، فاذا أراد اللّه تعالى أن يجرى نيل مصـر أمر اللّه كل نهر أن يمدّه فأمدّته الأنهار بمائها، و فجّر اللّه له الأرض عيونا، فاذا انتهت جريته الى ما أراد اللّه عز و جل أوحى اللّه الى كل ماء أن يرجع الى عنصره. و قد ورد أن مصر كنانة اللّه فى أرضه.

و عن أبى جنادة الضبىّ: أنه سـمع عليا يقول: النيل فى الآخرة عسل أغزر ما يكون من الأنهار التى سـمى اللّه عز و جل؛ و دجلـة (يعنى جيحان) فى الآخرة لبن أغزر ما يكون من الأنهار التى سـمى اللّه عزّ و جل؛ و الفرات خمر أغزر ما يكون من الأنهار التى سمى اللّه عزّ و جل؛ و سيحان ماء أغزر ما يكون من الأنهار التى سمّى اللّه عزّ و جل.

و قال بعض الحكماء: مصـر ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء، فانّ فى شهر أبيب (و هو تموز) و مسرى (و هو آب) و توت (و هو أيلول) يركبها الماء فيها فترى الدنيا بيضاء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۵

و ضـياعها على رواب و تلال مثل الكواكب، و قد أحاطت بها المياه من كل وجه؛ و ثلاثة أشهر مسكة سوداء، فانّ فى شهر بابه (و هو تشـرين الأوّل) و هـاتور (و هو تشـرين الثـانى) و كيهـك (و هو كـانون الأوّل) ينكشف المـاء عنهـا فتصـير أرضـها سوداء و فيها تقع الزراعات؛ و ثلاثة أشـهر زمردة خضـراء، فانّ فى شـهر طوبة (و هو كانون الثانى) و أمشير (و هو شباط) و برمهات (و هو آذار) تلمع و يكثر حشيشـها و نباتها، فتصـير مصـر خضـراء كالزمردة؛ و ثلاثة أشـهر سبيكة حمراء و هو وقت إدراك الزرع و هو شهر برمودة (و هو

نيسان) و بشنس (و هو أيار) و بؤونة (و هو حزيران)، ففى هذه الشهور تبيض الزروع و يتورّد العشب فهو مثل السبيكة الذهب.

و قيل: إنه لما ولى عمرو بن العاص رضى اللّه عنه مصر أتاه أهلها حين دخل بؤونة من أشهر القبط المذكورة فقالوا له: أيها الأمير، إنّ لنيلنا عادة أو سنّة لا يجرى إلا بها؛ فقال لهم: و ما ذاك؟ قالوا: إنه اذا كان فى اثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر (يعنى بؤونة) عمدنا الى جارية بكر من عند أبويها و أرضينا أبويها و أخذناها و جعلنا عليها من الحلىّ و الثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فى هذا النيل فيجرى؛ فقال لهم عمرو ابن العاص: إن هذا لا يكون فى الإسلام، و إن الإسلام يهدم ما كان قبله. فأقاموا بؤونة و أبيب و مسرى لا يجرى النيل قليلا و لا كثيرا حتى همّوا بالجلاء؛ فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، فكتب اليه عمر بن الخطّاب: قد أصبت، إن الإسلام يهدم ما قبله، و قد أرسلنا اليك ببطاقة ترميها فى داخل النيل اذا أتاك كتابى.

فلما قدم الكتاب على عمرو بن العاص رضى اللّه عنه فتح البطاقة فاذا فيها:

«من عبد اللّه عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۶

أمّا بعد، فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر، و إن كان اللّه الواحد القهار الذى يجريك، فنسأل اللّه الواحد القهار أن يجريك».

فعرّفهم عمرو بكتاب أمير المؤمنين و بالبطاقة؛ ثم ألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم عيد الصليب بيوم، و قد تهيأ أهل مصر للجلاء و الخروج منها لأنه لا يقيم بمصالحهم فيها إلا النيل، فأصبحوا يوم عيد الصليب و قد أجراه اللّه ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة، و قطع تلك السنّة القبيحة عن أهل مصر ببركة سيدنا عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه.

و نظير ذلك أمر قرافة مصر و دفن المسلمين بها. فقد روينا بإسناد عن ابن عبد الحكم حدّثنا عبد اللّه بن صالح حدّثنا الليث بن سعد: سأل المقوقس عمرو ابن العاص أن يبيعه سفح المقطّم بسبعين ألف دينار، فعجب عمرو من ذلك و قال: اكتب فى ذلك الى أمير المؤمنين، فكتب بذلك الى عمر، فكتب اليه عمر: سله لم أعطاك به ما أعطاك، و هى لا تزرع و لا يستنبط بها ماء و لا ينتفع بها! فسأله، فقال: إنّا لنجد صفتها فى الكتب أنّ فيها غراس الجنة؛ فكتب بذلك الى عمر، فكتب اليه عمر: إنّا لا نعلم غراس الجنة إلّا للمؤمنين، فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين و لا تبعه بشىء. فكان أوّل من قبر فيها رجل من المعافر يقال له:

عامر [فقيل عمرت].

قلت: و القرافة سميت بطائفة من المعافر يقال لهم القرافة، نزلوا هناك.

*** و قال بعض علماء الهيئة: إن مصر واقعة من المعمورة فى قسم الإقليم الثانى و الإقليم الثالث، و معظمها فى الثالث.

و قال أبو الصلت: هى مسافة أربعين يوما طولا فى ثلاثين يوما عرضا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۷

و قال غيره: هى مسافة شهر طولا فى شهر عرضا. و طولها من الشجرتين اللتين ما بين رفح و العريش الى مدينة أسوان من صعيد مصر الأعلى؛ و عرضها من أيلة الى برقة، و يكتنفها جبلان متقاربان من مدينة أسوان المذكورة الى أن ينتهيا الى الفسطاط (يعنى الى مصر)، ثم يتّسع بعد ذلك ما بينهما و ينفرج قليلا، و يأخذ الجبل المقطّم منهما مشرّقا و الآخر مغرّبا على وراب متّسع من مصر الى ساحل البحر الرومى، و هناك تنقطع فى عرضها الذى هو مسافة ما بين أوغلها فى الجنوب و أوغلها فى الشمال.

و قال بعض الحكماء: ليس فى الدنيا نهر يصبّ فى بحر الروم و الصين و الهند غير النيل. و ليس فى الدنيا نهر يصبّ من الجنوب الى الشمال غير النيل. و ليس فى الدنيا نهر يزيد فى أشدّ ما يكون من الحرّ غير النيل. و ليس فى الدنيا نهر يزيد و ينقص على ترتيب فيهما غير النيل. و ليس فى الدنيا نهر يزيد اذا نقص مياه الدنيا غير النيل.

و بهذا النيل أشياء لم تكن فى غيره من الأنهار، من ذلك: السمكة الرّعّادة التى اذا وضع الشخص يده عليها اضطرب جسمه جميعه حتى يرفع يده عنها، و منها التّمساح و لم يكن فى غيره من المياه؛ و فى مصر أعاجيب كثيرة.

و قال الكندىّ فى حقّ مصر و أعمالها: جبلها مقدّس، و نيلها مبارك، و بها الطور حيث كلّم اللّه تعالى نبيّه موسى، و بها الوادى المقدّس، و بها ألقى موسى عصاه و بها فلق اللّه البحر لموسى، و بها ولد موسى و هارون عليهما السلام و يوشع بن نون و دانيال و أرميا و لقمان و عيسى بن مريم، ولدته أمه بأهناس، و بها النخلة التى ذكرها اللّه تعالى لمريم؛ و لما سار عيسى الى الشأم و أخذ على سفح المقطم ماشيا، عليه جبّة صوف مربوط الوسط بشريط و أمّه تمشى خلفه، فالتفت اليها و قال: يا أمّاه،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۸

هذه مقبرة أمّة محمد؛ و كان بمصر إبراهيم الخليل و إسماعيل و يعقوب و يوسف و اثنا عشر سبطا.

و من فضائلها: أنها فرضة الدنيا يحمل من خيرها الى سواحلها؛ و بها ملك يوسف عليه السلام؛ و بها مساجد إبراهيم و يعقوب و موسى و يوسف عليهم السلام؛ و بها البرابى العجيبة و الهرمان، و ليس على وجه الأرض بناء باليد حجرا على حجر أطول منهما.

و قال أبو الصّلت: طول كل عمود منهما ثلثمائة و سبعة عشر ذراعا، و لكل أربعة أسطحة ملسات متساويات الأضلاع، طول كل ضلع أربعمائة و سبعون ذراعا؛ و اختلف فيمن بناهما، فقيل: شدّاد بن عاد، و قيل: سويرد، و قيل: سويد، بناهما فى ستة أشهر و غشّاهما بالديباج الملوّن، و أودعهما الأموال و الذخائر و العلوم خوفا من طوفان يأتى.

و قال الأستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب: بناهما سويرد بن سلهوق بن سرياق بن ترميل دون بن قدرشان بن هو صال، أحد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون مدينة الأشمونين. و القبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلادهم لقوّة سحرهم. و هذا يؤيد قول من قال بعدم بناء شدّاد بن عاد لهما. قال: و سبب بناء الهرمين العظيمين اللذين بمصر أنه كان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة قد رأى سو يرد فى منامه كأنّ الأرض قد انقلبت بأهلها، و كأنّ الناس قد هربوا على وجوههم، و كأنّ الكواكب تتساقط و يصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة، فأغمه ذلك و لم يذكره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۹

لأحد، و علم أنه سيحدث فى العالم أمر عظيم؛ ثم رأى بعد مدّة مناما آخر أزعجه أكثر من الأوّل، فدخل الى هيكل الشمس و تضرّع و مرّغ وجهه على التراب و بكى، فلما أصبح جمع رؤساء الكهنة من جميع أهل مصر، و كانوا مائة و ثلاثين كاهنا، فخلا بهم و ذكر لهم ما رآه أوّلا و آخرا، فأوّلوه بأمر عظيم يحدث فى العالم؛ ثم حكى بعض الكهنة أيضا: أنه رأى مناما أعظم من هذا المنام فى معناه، ثم أخذوا الارتفاع و أخبروه بالطوفان و بعده بالنار التى تخرج من برج الأسد؛ فقال: انظروا، هل تلحق هذه الآفة بلادنا؟ فقالوا: نعم، فأمر ببناء الأهرام و جعل فى داخله الطّلّسمات و الأموال و أجساد ملوكهم، و أمر الكهنة أنّ يزبروا عليها جميع ما قالته الحكماء، فزبروا فيها و فى سقوفها و حيطانها جميع العلوم الماضية، و صوّروا فيها صور الكواكب و عليها الطّلّسمات، و جعل طول كل هرم مائة ذراع، بالذراع الملكى (و هو خمسمائة ذراع بذراعنا الآن). و لما فرغت كساها الديباج الملوّن و عمل لهم عيدا حضره أهل ملتهم؛ ثم عمل فى الهرم الغربىّ حجارة صوّان ملوّنة ملئت بالأموال الجمّة، و الآلات و التماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة، و آلات الحديد الفاخرة، و السلاح الذى لا يصدأ، و الزجاج الذى ينطوى و لا ينكسر، و أصناف العقاقير و السموم القاتلة؛ ثم عمل فى الهرم الشرقىّ أصناف القباب الفلكيّة و الكواكب، و ما عمله أجداده من أشياء يطول شرحها ا ه.

[و يقال: إنّ هرمس المثلث بالحكمة و هو الذى تسمّيه العبرانيون خنوخ و هو ادريس عليه السلام استدلّ من أحوال الكواكب على كون الطوفان، فأمر ببناء الأهرام و إيداعها الأموال و صحائف العلوم، و ما يخاف عليه الذهاب و الدّثور؛ و كل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۰

هرم منها ارتفاعه ثلثمائة ذراع و سبعة عشر ذراعا، يحيط به أربعة سطوح متساويات الأضلاع، كل ضلع منها أربعمائة ذراع و ستون ذراعا، و يرتفع الى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع فى مثلها. و يقال: إنه كان عليه حجر شبه المكبّة فرمته الرياح العواصف، و طول الحجر منها خمسة أذرع فى سمك ذراعين. و يقال: إن لهما أبوابا مقبيّة فى الأرض، و كل باب من حجر واحد يدور بلولب اذا أطبق

لم يعلم أنه باب، يدخل من كل باب منها الى سبعة بيوت، كل بيت على اسم كوكب من الكواكب السبعة، و كلها مقفلة بأقفال حديد؛ و حذاء كل بيت منها صنم من ذهب مجوّف إحدى يديه على فيه، و فى جبهته كتابة بالمسند اذا قرئت انفتح فوه، فيوجد فيه مفاتيح ذلك القفل فيفتح بها. و القبط يزعمون أنهما و الهرم الصغير قبور ملوكهم و أكابرهم.

و لما ولى المأمون الخلافة و ورد مصر أمر بفتح واحد منها ففتح بعد طويل، و اتفق لسعادته أنه وقع النّقب على مكان يسلك منه الى الغرض المطلوب و هو زلّاقة ضيّقة من الحجر الصوّان المانع الذى لا يعمل فيه الحديد بين حاجزين ملتصقين بالحائط، قد نقر فى الزلّاقة حفر يتمسّك السالك بتلك الحفر و يستعين بها على المشى فى الزلّاقة لئلا يزلق، و أسفل الزلّاقة بئر عظيمة بعيدة القعر؛ و يقال: إن أسفل البئر أبواب يدخل منها الى مواضع كثيرة و بيوت و مخادع و عجائب، و انتهت بهم الزلّاقة الى موضع مربع فى وسطه حوض من حجر مغطّى، فلما كشف عنه غطاؤه لم يوجد فيه إلا رمّة بالية، فأمر المأمون بالكفّ عما سواه. و هذا الموضع يدخله الناس الى وقتنا هذا. و يقال: إن المأمون أنفق على النقب جملة اختلف المؤرّخون فى كمّيتها.

فلما انتهى به النقب الى الموضع المربع المذكور وجد فيه جاما من زمرّد مغطّى، فكشف فوجد فيه ذلك المقدار الذى أنفقه من غير زيادة على ذلك- و استمر ذلك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۱

الجام فى ذخائر الخلفاء الى وقعة هولاكو ببغداد- فقال: الحمد للّه الذى ردّ علينا ما أنفقناه].

و قيل: إن الأمير أحمد بن طولون سأل بعض علماء الأقباط المعمّرين ممن رأى الرابع عشر من ولد ولده عن الأهرام؛ فقال: إنها قبور الملوك، كان الملك منهم اذا مات وضع فى حوض حجارة يسمّى الجرون، ثم يبنى عليه الهرم، ثم يقنطر عليه البنيان و القباب، ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذى ترونه و يجعل باب الهرم تحت الهرم، ثم يجعل له طريق فى الأرض بعقد أزجّ، فيكون طول الأزج تحت الأرض مائة ذراع أو أكثر، و لكل هرم من هذه الأهرام باب مدخله على ما وصفت؛ فقيل له: كيف بنيت هذه الأهرام المملّسة، و على أىّ شىء كانوا يصعدون و يبنون، و على أىّ شىء كانوا يضعون الآلات و يحملون الحجارة العظيمة التى لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحرّكوا الحجر الواحد إلا بجهد؟ فقال: كان القوم يبنون الهرم مدرّجا فإذا فرغوا منه نحتوه من فوق إلى أسفل، قلت: و هذا أصعب من الأوّل، قال:

فكانت هذه حيلتهم، و كانوا مع هذا لهم قدرة و صبر و طاعة لملوكهم ديانة؛ فقيل له:

ما بال هذه الكتابة التى على الأهرام و البرابى لا تقرأ؟ قال: ذهب الحكماء الذين كان هذا قلمهم، و تداول أرض مصر الأمم، فغلب على أهلها القلم الرومىّ كأشكال أحرف القبط و الروم؛ فالقبط تقرؤه على حسب تعارفها إياه و خلطها لأحرف الروم بأحرفها على حسب ما ولّدوا من الكتابة بين الرومىّ و القبطىّ الأوّل، فذهب عنهم كتابة آبائهم السالفة و صاروا لا يعرفونها، و هى هذه الكتابة التى على الأهرام و غيرها. انتهى أمر الهرم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۲

[و قد نظم عمارة اليمنىّ فيهما فقال:

خليلىّ ما تحت السماء بنيّة تماثل فى إتقانها هرمى مصر

بناء يخاف الدهر منه و كلّ ما على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

تنزّه طرفى فى بديع بنائها و لم يتنزّه فى المراد بها فكرى

و قال سعد الدين بن جبارة فى المعنى:

للّه أىّ غريبة و عجيبة فى صنعة الأهرام للألباب

أخفت عن الأسماع قصّة أهلها و نضت عن الإبداع كلّ نقاب

فكأنّما هى كالخيام مقامة من غير ما عمد و لا أطناب

و بالقرب من الأهرام صنم على صورة إنسان تسميه العامة «أبا الهول» لعظمه، و القبط يزعمون أنه طلّسم للرمل الذى هناك لئلا يغلب على أرض الجيزة].

و أما السحرة الذين كانوا بمصر فى زمان فرعون فكانوا، كما ذكر يزيد بن أبى حبيب، اثنى عشر ساحرا رؤساء، و تحت يد كل ساحر منهم عشرون عريفا، تحت يد كل عريف منهم ألف من السحرة؛ فكان جميع السحرة مائتى ألف و أربعين ألفا و مائتين و اثنين و خمسين إنسانا بالرؤساء و العرفاء.

و عن محمد بن المنكدر: كان السحرة ثمانين ألفا، فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أنّ ذلك من السماء و أنّ السحر لا يقوم أمر اللّه، فخرّ الرؤساء الاثنا عشر عند ذلك سجّدا، فاتّبعهم العرفاء و اتّبع العرفاء من بقى؛ قالوا: آمنا بربّ العالمين ربّ موسى و هارون، و كانوا من أصحاب موسى و لم يفتتن أحد منهم مع من افتتن من بنى إسرائيل فى عبادة العجل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۳

و أما ما بمصر من الأعاجيب و المبانى- فبها عمود مدينة عين شمس الذى تسمّيه العامّة «مسلة فرعون». و بها «صدع أبى قير»، و هو موضع فى الجبل يجتمع اليه فى يوم مخصوص فى السنة جميع جنس الطير، و بالجبل طاقة يدخل فيها كل طير يأتى اليه ثم يخرج من وقته حتى ينتهى الى آخر الطير فتقبض عليه و يموت فيها.

و بها «مجمع البحرين» و هو البرزخ، و هما بحر الروم و الصين، و الحاجز بينهما مسيرة ليلة واحدة ما بين القلزم و الفرما. و بها ما ليس فى غيرها، و هو حيوان السّمنقور و النّمس و لولاه أكلت الثعابين أهلها؛ و هو كقنافذ سجستان لأهلها. و بها «دهن البلسان»، و ليس ينبت عرقه إلا بمصر خاصة. و بها «معدن الذهب و الزمرد»، و ليس فى الدنيا معدن زمرد سواه. و بها «معدن النّفط و الشبّ و البرام و الرخام». و بها «الأفيون»، و هو عصارة الخشخاش؛ و قيل: بها سائر المعادن؛ و بها «الأبنوس». و بها «حجر السّنباذج» الذى يقطع به سائر الأحجار؛ و أشياء غير ذلك سكتنا عنها خوف الإطالة.

*** و أما مصر تلك الأيام فكان مبانيها و أماكنها فى غير مصر الآن. و موضع مصر قديما هى البقعة الآن الخراب عند حدرة ابن قميحة و الكيمان التى عند قبر القاضى بكار الى المشهد النّفيسى.

و أما قطائع ابن طولون فيأتى ذكرها فى ترجمته و بيان أماكنها. قال الشريف النّسابة الثقة محمد بن أسعد الجوّانىّ فى كتابه المسمى «بالنّقط لمعجم ما أشكل من الخطط»: سمعت الأمير تأييد الدولة تميم بن محمد المعروف بالصمصام يقول:

فى سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة حدّثنى القاضى أبو الحسن علىّ بن الحسين الخلعى عن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۴

القاضى القضاعى أبى عبد اللّه أنه قال: كان فى مصر من المساجد ستة و ثلاثون ألف مسجد، و ثمانية آلاف شارع مسلوك، و ألف و مائة و سبعون حماما؛ و أنّ أبا الحسن ابن حمزة الحسنىّ ذكر أنه عرض له دخول حمّام سالم الذى عند درب سالم فى أوّل القرافة، يعنى حمّام جنادة بن عيسى المعافرى الذى عند مصبغة الحفّارين المعروفة بفسقيّة ابن طولون- قلت: و فسقيّة ابن طولون هى عند المقبرة الكبيرة على يسرة المتوجّه الى القرافة بالقرب من قبر القاضى بكّارا ه- قال: و إنه ما وصل اليه إلا بعد عناء من الزحام، و إنه كانت قبالة الحمّام فى كل يوم جمعة خمسمائة درهم. قلت: و كانت الخمسمائة درهم يوم ذاك نحو اثنين و أربعين دينارا إلا ثلثا، لأن الدينار كان صرفه يوم ذاك اثنى عشر درهما. انتهى كلام الشريف.

قلت: و ذهبت تلك الأماكن بأجمعها عند خراب قطائع ابن طولون لمّا أخر بها محمد بن سليمان الكاتب، لا سيما لّما بنيت القاهرة فى سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة، على ما يأتى ذكر ذلك فى ترجمة جوهر القائد.

*** و أما ظاهر القاهرة من جهاتها الأربع فقد تجدّد ذلك كله فى الدولة التركية، و معظمه فى دولة ابن قلاوون محمد، على ما يأتى

بيان ذلك فى ترجمته، لأننا نذكر كل مكان تجدّد فى أيام سلطانه كما شرطناه فى أوّل هذا الكتاب. ا ه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۵

*** و أما محاسن مصر فكثيرة: من ذلك ما قاله الشيخ الإمام الفقيه أبو محمد الحسن ابن إبراهيم بن زولاق: إنّ من محاسن مصر اعتدال هوائها فى حرّها و بردها؛ و إنّ مزاج هوائها لا يقطع أحدا عن التصرّف كما يقطع حرّ بغداد أهلها عن التصرف فى معايشهم، و يخلو أكثر الطرقات بها نهارا، و كذلك بردها، و إنّ برد مصر ربيع و حرّها قيظ. و قدم رجل من بغداد الى مصر فقيل له: ما أقدمك؟ فقال: فررت من كثرة الصياح فى كل ليلة: «يا غافلين الصلاة» لاختفائهم من الحرّ و البرد، فإنّ حرّ بغداد و بردها يقطعان أهلها عن التصرّف حتى إنهم يكمنون فى بطن الأرض من شدّة الحرّ فى الصيف، و تطوف الحرّاس فى بعض المواضع نهارا لاختفاء الناس فى بطون الأرض من شدّة الحرّ. انتهى كلام ابن زولاق.

قلت: و أما برد الشمال و الروم فلا حاجة لذكره لعظم البرد و كثرة الثلوج و الأمطار و غير ذلك.

قال ابن زولاق أيضا: و من ذلك الأقوات و الميرة التى لا قوام لأحد فى بلد إلا بها، فإنّ مصر تمير أهلها و الساكنين بها و بأعمالها، و تمير الحرمين الشريفين و الوافدين اليها من الأقطار، و ما تجد بلدا إلا و تصل اليها ميرة مصر؛ و بغداد لا تمير أهلها فضلا عن غيرهم لأن طعامها و أقوات ساكنيها من الموصل و أعماله و الفرات و أعماله و ديار مضر و ربيعة.

و أما بغداد فانها تميز نفسها أربعة أشهر، و تميرها الموصل أربعة أشهر، و تميرها واسط أربعة أشهر؛ و كذلك البصرة أيضا لا تمير نفسها، و إنما تميرها واسط و الأهواز؛ و لما حلّ الغلاء ببغداد نزح عنها أهلها و أثّر فيها الى اليوم، و كان بمصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۶

غلاء فى سنة ثلاث و سبعين و مائتين، و غلاء فى سنة أربع عشرة و ثلاثمائة، و غلاء فى سنة عشرين و ثلاثمائة، و غلاء فى سنة ثلاث و أربعين و ثلاثمائة، و غلاء فى سنة ست و سبع و ثمان و خمسين و ثلثمائة، فما أثّر ذلك فيها.

قلت: هذا، و ما وصل القائل الى غلاء سنى المستنصر بالديار المصرية من سنة ست و خمسين الى سنة خمس و ستين و خمسمائة التى شبّهت بأيام يوسف عليه السلام، و لم يقع بمصر غلاء مثله قبله و لا بعده، و بعد ذلك تراجع أمر مصر فى مدّة يسيرة و عادت الى ما كانت عليه أوّلا. يأتى ذكر هذا الغلاء و غيره فى ترجمة الخليفة المعزّ العبيدى فى هذا الكتاب، إن شاء اللّه تعالى.

قلت: و هذا القياس الذى ذكرناه بين مصر و بغداد إنما كان تلك الأيام التى كان بها يومئذ عظماء خلفاء بنى العباس، و كانت مصر تلك الأيام يليها عامل من قبل أمير من أمراء الخلفاء؛ و أما يومنا هذا فلا تقاس مصر بالعراق جميعه بل تزيد محاسنها على جميع أقطار الأرض، و لو لا خشية الإطالة لبيّنا ذلك، و لكن فيما ذكرناه من محاسن مصر و ما اشتملت عليه من الطرائف كفاية عن الإطناب فيها.

*** و أما خراج مصر قديما فقيل: إن كيقاوس أحد ملوك القبط الأول جبى خراجها فجاء مائة ألف ألف و ثلاثين ألف دينار، و جباه عزيز مصر مائة ألف ألف دينار، و جباه عمرو بن العاص رضى اللّه عنه فى الإسلام اثنى عشر ألف ألف دينار، ثم رذل الى أن جباه أحمد بن طولون فى سنة ستين و مائتين أربعة آلاف ألف دينار و ثلثمائة ألف دينار مع ما يضاف اليه من ضياع الأمراء، ثم جباه جوهر القائد خادم المعزّ العبيدى ثلاثة آلاف ألف دينار و مائتى ألف دينار فى سنة ستين و ثلثمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج ۱؛ ص۴۷

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۷

و سبب نزول خراج مصر أن الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق فى حفر ترعها و إتقان جسورها، و إزالة ما هو شاغل للأرض عن الزراعة كالقصب و الحلفاء و القضاب و غير ذلك.

و حكى عبد اللّه بن لهيعة: أن المرتبين لذلك كانوا مائة ألف و عشرين ألف رجل: سبعون ألفا بصعيد مصر، و خمسون ألفا بالوجه البحرى.

و حكى ابن زولاق: أن أحمد بن المدبّر لّما ولى خراج مصر كشف أرضها فوجد غامرها أكثر من عامرها، فقال: و اللّه لو عمرها السلطان لوفت له بخراج الدنيا.

و قيل: إنها مسحت فى أيام هشام بن عبد الملك فكان ما يركبه الماء الغامر و العامر مائة ألف ألف فدان، و الفدان أربعمائة قصبة، و القصبة عشرة أذرع.

و قيل: إن أحمد بن المدبّر المذكور اعتبر ما يصلح للزراعة بمصر فوجده أربعة و عشرين ألف ألف فدان، و الباقى مستبحر و تلف من قلّة الزراعة، و اعتبر أيضا مدّة الحرث فوجدها ستين يوما؛ و الحرّاث يحرث خمسين فدانا، فكانت محتاجة الى أربعمائة ألف و ثمانين ألف حرّاث، ا ه.

قلت: هذا خلاف ما رئى من الجزائر فى الإسلام مثل جزيرة بنى نصر و جزيرة الذهب و غيرهما قبلى و بحرى؛ و أيضا خلاف إقليم البحيرة، و البحيرة كان أصلها كرما لامرأة المقوقس، و كانت تأخذ خراجها الخمر بفريضة عليهم، فكثر الخمر عليها فقالت: لا حاجة لى بالخمر، أعطونى دنانير، فلم تجدها معهم، فأرسلت على الكرم الماء فغرّقتها، فصارت بحيرة يصاد بها السمك حتى استخرجها بنو العباس،

فسدّوا جسورها و زرعوها و نمت و استمرت فى زيادة الى يومنا هذا، و بقى ذلك اسما عليها لا تعرف إلا بالبحيرة.

ذكر ما قيل فى سبب تسمية مصر بمصر

قيل: إنه كان اسمها فى الدهر الأوّل زجلة من المزاجلة، و قال قوم: سمّيت بمصريم بن مركائيل بن دواييل بن غرياب بن آدم، و هذا هو مصر الأوّل؛ و قيل:

بل سمّيت بمصر الثانى، و هو مصرام بن نقراوش الجبّار بن مصريم الأوّل المقدّم ذكره؛ و قيل: سمّيت بعد الطوفان بمصر الثالث، و هو مصر بن بيصر بن حام بن نوح، و هو اسم أعجمىّ لا ينصرف؛ و قيل: هو اسم عربىّ مشتقّ، و لكل قائل دليل؛ و قيل:

غير ذلك أقوال كثيرة يأتى ذكر بعضها.

قال المسعودى فى تاريخه: إن بنى آدم لما تحاسدوا و بغى عليهم بنو قابيل بن آدم ركب نقراوش الجبار ابن مصريم المقدّم ذكره فى نيّف و سبعين راكبا من بنى غرياب بن آدم، جبابرة كلهم يطلبون موضعا من الأرض ليقطنوا فيه، فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا الى النيل فأطالوا المشى عليه، فلما رأوا سعة هذا البلد أعجبهم، و قالوا: هذا بلد زرع و عمارة، فأقاموا فيه و استوطنوه و بنوا فيه الأبنية المحكمة و المصانع العجيبة، و بنى نقراوش بن مصريم [مصر و سماها باسم أبيه مصريم] ثم لمّا ملك قال لبنيه: إنى أريد أن أصنع مدينة، ثم أمرهم ببنيان مدينة فى موضع خيمته، فقطعوا الصخور من الجبال، و أثاروا معادن الرصاص، و بنوا دورا و زرعوا و عمروا الأرض، ثم أمرهم ببناء المدائن و القرى و أسكن كل ناحية من الأرض من

رأى، ثم حفروا النيل حتى أخرجوا ماءه اليهم، و لم يكن قبل ذلك معتدل الجرى، و إنما كان ينبطح و يتفرّق فى الأرض، فهندسوه و شقّوا منه أنهارا الى مواضع كثيرة من مدنهم التى بنوها، و شقّوا منه نهرا الى مدينتهم أمسوس يجرى فى وسطها، ثم سمّيت مصر بعد الطوفان بمصر بن بيصر بن حام بن نوح على ما نذكره هنا أيضا. و يقال: إنّ مصر هذا غرس الأشجار بيده فجاءت ثمارها عظيمة بحيث إنه كان يشقّ الأترجّة نصفين لنوح يحمل البعير نصفها، و كان القثّاء يومئذ فى طول أربعة عشر شبرا؛ و يقال: إنه أوّل من وضع السفن و إنّ سفينته كانت ثلثمائة ذراع فى عرض مائة ذراع. و يقال: إنّ مصرايم نكح امرأة من بنات الكهنة فولدت ولدا يقال له قبطيم، و نكح قبطيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة ولدت له أربعة نفر: قفطريم، و أشمون، و أتريب، وصا؛ فكثروا و عمروا الأرض و بورك

لهم فيها.

و قيل: إنه كان عدد من وصل معهم ثلاثون رجلا فبنوا مدينة سموها مافة و معين، (و مافة ثلاثون بلغتهم) و هى مدينة منف التى تسمّى الآن: «منوف العليا»، و كشف لهم أصحاب قليمون الكاهن عن كنوز مصر و علومهم و الطّلسمات و المعادن، و وصفوا لهم عمل الصّنعة و بنوا على عبر البحر مدنا: منها رقودة مكان الاسكندرية؛ و لمّا حضرت مصرايم الوفاة عهد الى ولده قبطيم، و كان قد قسّم أرض مصر بين بنيه، فجعل لقفطريم من قفط الى أسوان، و لأشمون من أشمون الى منف، و لأتريب الحوف كله، و لصا من ناحية صا البحيرة الى قرب برقة؛ و قال لأخيه فارق: لك من برقة الى المغرب، فهو صاحب إفريقية و أولاده الأفارق؛ و أمر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة فى موضعه، و أمرهم عند موته أن يحفروا له فى الأرض سربا و أن يفرشوه بالمرمر الأبيض و يجعلوا فيه جسده، و يدفنوا معه جميع ما فى خزائنه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۰

من الذهب و الجوهر، و يزبروا عليه أسماء اللّه المانعة من أخذه، فحفروا له سربا طوله مائة و خمسون ذراعا، و جعلوا فى وسطه مجلسا مصفّحا بصفائح الذهب، و جعلوا له أربعة أبواب على كل باب منها تمثال من ذهب، عليه مانع مرصّع بالجوهر، و هو جالس على كرسىّ من ذهب، قوائمه من زمرذ، و زبروا فى صدر كل تمثال آيات مانعة، و جعلوا جسده فى جرن مرمر مصفّح بالذهب، و كانت وفاة مصرايم المذكور بعد الطوفان بسبعمائة سنة، و مات و لم يعبد الأصنام، و جعلوا معه فى ذلك المجلس ألف قطعة من الزّبرجد المخروط، و ألف تمثال من الجوهر النفيس، و ألف برنيّة مملوءة من الدرّ الفاخر و العقاقير و الطّلسمات العجيبة و سبائك الذهب، و سقّفوا ذلك بالصخور و هالوا فوقها الرمال بين جبلين، و ولى ابنه قبطيم الملك.

*** و دخل مصر من الصحابة ممن تقدّم ذكرهم فى فتح مصر و غيرهم جماعة: الزبير ابن العوّام، و المقداد بن الأسود، و عبادة بن الصّامت، و أبو الدرداء، و فضالة ابن عبيد، و عمرو بن العاص، و عمرو بن علقمة، و شرحبيل بن حسنة، و سعد ابن أبى وقّاص، و عبد اللّه بن عمرو، و خارجة بن حذافة، و محمد بن مسلمة، و أبو رافع، و مسلمة بن مخلّد، و أبو أيوب، و نافع بن مالك، و معاوية بن حديج، و عمّار بن ياسر، و خالد بن الوليد، و غيرهم رضوان اللّه عليهم أجمعين.

و دخلها من الأنبياء صلوات اللّه عليهم أجمعين: يعقوب و أولاده، و هم:

يوسف، و يهوذا، و روبيل، و لاوى، و زبالون، و شمعون، و يسحر،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۱

و دنيا، و دانا، و ديفتابيل، و جاد، و بنيامين. و دخلها موسى و هرون؛ و بها ولد عيسى بن مريم.

و قد روى عن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه: أنه سأل كعب الأحبار عن طبائع البلدان و أخلاق سكانها، فقال: إنّ اللّه عز و جل لما خلق الأشياء جعل كل شىء لشىء؛ فقال العقل: أنا لاحق بالشأم، فقالت الفتنة: و أنا معك؛ فقال الخصب: أنا لاحق بمصر، فقال الذل: و أنا معك؛ و قال الشقاء: أنا لاحق بالبادية، فقالت الصحة: و أنا معك؛ و قال البخل: أنا لاحق بالمغرب، فقال سوء الخلق: و أنا معك.

و يقال: لمّا خلق اللّه الخلق خلق معهم عشرة أخلاق: الإيمان، و الحياء، و النجدة، و الفتنة، و الكبر، و النّفاق، و الغنى، و الفقر، و الذلّ، و الشقاء؛ فقال الإيمان: أنا لاحق باليمن، فقال الحياء: و أنا معك؛ و قالت النجدة: و أنا لاحقة بالشأم، فقالت الفتنة: و أنا معك، و قال الكبر: أنا لاحق بالعراق، فقال النفاق:

و أنا معك؛ و قال الغنى: أنا لاحق بمصر، فقال الذل: و أنا معك؛ و قال الفقر:

أنا لاحق بالبادية، فقال الشقاء: و أنا معك.

و قد روى عن ابن عباس رضى اللّه عنهما قال: المكر عشرة أجزاء: تسعة منها فى القبط، و واحد فى سائر الناس. ا ه.

*** و وصف ابن القرّيّة مصر فقال: عبيد لمن غلب، أكيس الناس صغارا و أجلّهم كبارا. و قال المسعودىّ فى تاريخه: قال بعض

الشعراء يصف مصر:

مصر و مصر شأنها عجيب و نيلها يجرى به الجنوب

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۲

قلت: و قد قيل فى مصر عدّة قصائد و مقطّعات ذكرنا منها نبذة فى تاريخنا «حوادث الدهور» عند وفاء النيل فى كل سنة: منها ما قاله الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبک الصّفدىّ:

لم لا أهيم بمصر و أرتضيها و أعشق

و ما ترى العين أحلى من مائها إن تملّق

و فى المعنى للشيخ زين الدين عمر بن الوردى رضى اللّه عنه:

ديار مصر هى الدنيا و ساكنها هم الأنام فقابلها بتقبيل

يا من يباهى ببغداد و دجلتها مصر مقدّمة و الشرح للنّيل

و أبدع منه ما قيل فى المعنى أيضا لابن سلّار:

لعمرک ما مصر بمصر و إنما هى الجنّة العليا لمن يتذكّر

و أولادها الولدان من نسل آدم و روضتها الفردوس و النّيل كوثر

و للقاضى شهاب الدين أحمد بن فضل اللّه العمرىّ فى هذا المعنى:

ما مثل مصر فى زمان ربيعها لصفاء ماء و اعتدال نسيم

أقسمت ما تحوى البلاد نظيرها لمّا نظرت الى جمال وسيم

و له أيضا رضى اللّه عنه و أبدع:

لمصر فضل باهر لعيشها الرّغد النضر

فى كلّ سفح يلتقى ماء الحياة و الخضر

[و للصّفىّ الحلّى فى القاهرة:

للّه قاهرة المعزّ فإنها بلد تخصّص بالمسرّة و الهنا

أو ما ترى فى كلّ قطر منية من جانبيها فهى مجتمع المنى

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۳

و لأبى الحسن علىّ بن بهاء الدين الموصلىّ الحنبلىّ فى المعنى:

بها ما تلذّ العين من حسن منظر و ما ترتضيه النفس من شهواتها

و تربتها تبر يلوح و عنبر يفوح و تلقى بعد بعد حياتها

زمرّدة خضراء قد زين قرطها بلؤلؤة بيضاء من زهراتها

و لابن الصائغ الحنفىّ فى المعنى و أجاد:

ارض بمصر فتلک أرض من كلّ فنّ بها فنون

و نيلها العذب ذاک بحر ما نظرت مثله العيون

و للشيخ برهان الدين القيراطىّ:

روت لنا مصر عن فواكهها أخبار صدق صحيحة الخبر

و كلّ ما صحّ من محاسنها أرويه من خوخها عن الزّهرى

و له أيضا:

جلا نيل مصر و هو شهد و من يذق حلاوته يوما من الناس يشهد

أيا بردى بالشأم إن ذبت حسرة و غيظا فلا تهلك أسى و تجلّد

و قال غيره فى المعنى:

النّيل قال و قوله إذ قال ملء مسامعى

فى غيظ من طلب العلا عمّ البلاد منافعى

و عيونهم بعد الوفا قلّعتها بأصابعى]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۵۴

و للشريف العقيلىّ فى المعنى رضى اللّه عنه:

أحنّ الى الفسطاط شوقا و إنّنى لأدعو لها ألّا يحلّ بها القطر

و هل فى الحيا من حاجة لجنابها و فى كلّ قطر من جوانبها نهر

تبدّت عروسا و المقطّم تاجها و من نيلها عقد كما انتظم الدرّ

[فائدة: اذا أردت أن تعلم كم تكون زيادة النيل فى السنة فاحسب يوم عيد ميكائيل، و هو ثانى عشر بؤونة، كم يكون فى الشهر العربىّ من يوم، وزد فوقه تسعين يوما و خذ سدس الجميع، تكون عدّة أذرع النيل فى تلك السنة ا ه].

و لو لا خشية الإطالة لذكرنا من هذا نبذا كثيرة؛ و من أراد الإكثار من ذلك فليراجع تاريخنا «حوادث الدهور فى مدى الأيام و الشهور» فإننى ذكرت من ذلك عدّة مقطّعات عند وفاء النيل فى كل سنة. و نعود الآن الى كلام المسعودى، قال:

و هى مصر، و اسمها كمعناها، و على اسمها سمّيت الامصار، و منها اشتق هذا الاسم عند علماء المصريين. ثم ذكر المسعودىّ زيادة النيل و نقصانه نحوا مما ذكرناه، الى أن قال: فإذا انتهت الزيادة الى ست عشرة ذراعا ففيه تمام الخراج، و فى سبع عشرة ذراعا كفايتها وريّ جميع أرضها، و إذا زاد على السبع عشرة و بلغ الثمان عشرة ذراعا و أغلقها استبحر من أرض مصر الربع، و فى ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرناه من وجه الاستبحار و غير ذلك، و إذا كانت الزيادة ثمان عشرة ذراعا كانت العاقبة فى انصرافه حدوث و باء بمصر، و أكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعا، و قد كان النيل بلغ فى زيادته تسع عشرة ذراعا سنة تسع و تسعين فى خلافة عمر بن عبد العزيز.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۵۵

قلت: و كلام المسعودىّ بهذا القول فى عصر الأربعمائة من الهجرة قبل أن تعلو الأراضى و يحتاج الى بلوغه إحدى و عشرين ذراعا و أكثر؛ و لو رأى عصرنا هذا لكان يرجع فيه عن مقالته و طلب الزيادة. ا ه.

قال: و مساحة الذراع الى أن يبلغ اثنى عشر ذراعا ثمان و عشرون أصبعا، و من اثنى عشر ذراعا إلى ما فوق يصير الذراع أربعا و عشرين أصبعا. قال: و أقل ما يبقى فى قاع المقياس من الماء ثلاث أذرع، و فى نيل تلك السنة يكون الماء قليلا.

قال: و الأذرع التى يستسقى عليها هى ذراعان، تسميان بمنكر و نكير، و هى ذراع ثلاثة عشر ذراعا و ذراع أربعة عشر ذراعا، فاذا انصرف الماء فى هذين الذراعين (أعنى ثلاثة عشر و أربعة عشر) و زيادة نصف ذراع من الخمسة عشر و استسقى الناس بمصر، كان الضرر شاملا لكل البلدان، و إذا تمّ خمس عشرة و دخل فى ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض البلاد و لا يستسقى فيه، و كان ذلك نقصا من خراج السلطان.

قلت: و نذكر أيضا من أخبار نيل مصر و ما كان بها من المقاييس فى الجاهلية و الإسلام عند ما نذكر بناء المتوكل لمقياس مصر المعهود الآن فى ترجمة يزيد بن عبد اللّه التركى لما ولى إمرة مصر فى شهر رجب سنة اثنتين و أربعين و مائتين هجرية بأوسع من هذا، فلينظر هناك، ا ه.

قال: و التّرع التى بغيضة مصر أربع أمهات، أسماؤها: ترعة ذنب التّمساح، و ترعة بلقينة، و خليج سردوس، و خليج ذات الساحل؛ و تفتح هذه التّرع اذا كان الماء زائدا فى عيد الصليب، و هو لأربع عشرة تخلو من توت، و هو أوّل أيلول.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۶

قال: و كان بمصر سبع خلجانات: فمنها خليج الإسكندرية، و خليج سخا، و خليج دمياط، و خليج منف، و خليج الفيّوم، و خليج سردوس، و خليج المنهى.

و كانت مصر فيما يذكر أهل الخبرة أكثر البلاد جنانا، و ذلك أن جنانها كانت متصلة بحافتى النيل من أوّله الى آخره الى حدّ أسوان الى رشيد، و كان الماء اذا بلغ فى زيادته تسع أذرع دخل خليج المنهى و خليج الفيوم و خليج سردوس و خليج سخا.

و كان الذى ولى حفر خليج سردوس لفرعون عدوّ اللّه هامان، فلما ابتدأ فى حفره أتاه أهل القرى يسألونه أن يجرى الخليج تحت قراهم و يعطون على ذلك ما أراد من المال، فكان يعمل ذلك حتى اجتمعت له أموال عظيمة، فحمل تلك الأموال الى فرعون، فسأله فرعون عنها، فأخبره الخبر، فقال فرعون: إنه ينبغى للسيّد أن يعطف على عبيده و يفيض عليهم معروفه و لا يرغب فيما فى أيديهم، و نحن أحقّ بمن يفعل هذا بعبيده، فاردد على أهل كل قرية ما أخذته منهم، ففعل هامان ذلك. و ليس فى خلجان مصر أكثر عطوفا و عراقيل من خليج سردوس. و أما خليج الفيوم و خليج المنهى فان الذى حفرهما يوسف بن يعقوب صلى اللّه عليهما و سلم. ا ه.

قلت: و الآن نأتى بما وعدنا بذكره من أخبار من ملك مصر قبل الإسلام، على أنه ليس فى شرطنا من هذا الكتاب، و إنما نذكره على سبيل الاختصار لتعلم بذلك أحوال مصر قديما و حديثا كما ذكرنا؛ هذا كله ليعلم الناظر فيه أمورها على سبيل الاستطراد الى أن نذكر ما صنّف هذا الكتاب بسببه و هم ملوك مصر، و أوّل من نذكر منهم عمرو بن العاص رضى اللّه عنه، ثم نسوق التاريخ من حينئذ على منواله دولا دولا، لا نخرج منه الى غيره إلّا ما مسّت الحاجة الى ذكره استطرادا، و اللّه الموفّق للصواب، و اليه المرجع و المآب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۷

***

[ذكر من ملك مصر قبل الاسلام]

فأمّا من ملك مصر بعد من نقدّم ذكره من أولادهم و غيرهم فقال المسعودى:

و كان بيصر بن حام بن نوح قد كبرت سنّه فأوصى الى الأكبر من ولده و هو مصر و أجمع الناس على أنه ملك من حدّ رفح من أرض فلسطين من بلاد الشأم، و قيل: من العريش، و قيل: من الموضع المعروف بالشجرة و هو آخر أرض مصر، و الفرق بينها و بين الشأم، و هو الموضع المشهور بين العريش و رفح الى بلاد أسوان من بلاد الصعيد طولا، و من أيلة و هى تخوم الحجاز الى برقة عرضا.

و كان لمصر أولاد أربعة و هم:

قبط، و أشمون، و أتريب، وصا. و قد تقدّم ذكر ذلك، غير أننا نذكره فى سياق كلام المسعودىّ أيضا، إذ لا يتم المراد إلّا بذكره، ليتناسق الأسلوب.

قال: و قسّم مصر بين ولده الأربعة الأرض أرباعا، و عهد الى الأكبر من ولده و هو قبط، و أقباط مصر يضافون فى النسب الى أبيهم قبط بن مصر، و أضيفت المواضع الى سكانها و عرفت بأسمائهم، و اختلطت الأنساب و كثر ولد قبط و هم الأقباط، فغلبوا على سائر الأرض، و دخل غيرهم فى أنسابهم. و لما هلك قبط بن مصر ملك بعده أشمون بن مصر؛ ثم ملك بعده صا بن مصر؛ ثم ملك بعده أتريب بن مصر؛ ثم ملك بعده ماليق بن دارس؛ ثم ملك بعده حرايا بن ماليق؛ ثم ملك بعده كلكى بن حرايا، و أقام فى الملك نحوا من مائة سنة؛ ثم ملك بعده أخ له يقال له:

ماليا بن حرايا؛ ثم ملك بعده لوطس بن ماليا نحوا من سبعين سنة؛ ثم ملكت بعده ابنة له يقال لها: حوريا بنت لوطس بن ماليا نحوا

من ثلاثين سنة؛ ثم ملكت بعدها امرأة أخرى يقال لها: ماموم. ثم كثر ولد بيصر بن حام بن نوح بأرض مصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۸

و تشعّبوا و ملّكوا النساء، فطمعت فيهم ملوك الأرض، فسار إليهم من الشأم ملك من العماليق يقال له: الوليد بن درمع، فكانت له بها حروب حتى غلب على الملك و انقادوا اليه و استقام له الأمر حتى هلك؛ ثم ملك بعده الريّان بن الوليد العملاقىّ، و هو فرعون يوسف عليه السلام؛ ثم ملك بعده دارم بن الريّان العملاقى؛ ثم ملك بعده كامس بن معدان العملاقىّ؛ ثم ملك بعده الوليد بن مصعب، و هو فرعون موسى عليه السلام، و قد اختلف فيه، فمن الناس من يقول: إنه من العماليق، و منهم من رأى أنه من لخم من بلاد الشأم، و منهم من رأى أنه من الأقباط من ولد مصر بن بيصر، و كان يعرف بظلما؛ و هلك فرعون غرقا حين خرج فى طلب بنى إسرائيل، و لمّا غرق فرعون و من كان معه من الجنود خشى من بقى بأرض مصر من الذرارى و النساء و الصبيان و العبيد أن يغزوهم ملوك الشأم و المغرب، فملّكوا عليهم امرأة ذات رأى و حزم يقال لها: دلوكة، فبنت على ديار مصر حائطا يحيط بجميع أرضها و البلاد، و جعلت عليه المحارس و الأجراس و الرجال متّصلة أصواتهم بقرب بعضهم من بعض، و أثر هذا الحائط باق الى هذا اليوم، و هو يعرف بحائط العجوز؛ و قيل:

إنما بنته خوفا على ولدها، فإنه كان كثير الصيد فخافت عليه سباع البر و البحر و اغتيال من جاوز أرضهم من الملوك، فحوّطت الحائط من التماسيح و غيرها، و قد قيل فى ذلك غير هذا أيضا. فملكتهم دلوكة المذكورة ثلاثين سنة و اتخذت بمصر البرابى و الصّور، و أحكمت آلات السحر، و جعلت فى البرابى صور من يرد من كل ناحية و دوابّهم إبلا كانت أم خيلا، و صوّرت فيها أيضا من يرد فى البحر من المراكب من بحر المغرب و الشأم، و جمعت فى هذه البرابى العظيمة المشيّدة البنيان أسرار الطبيعة و خواصّ الأحجار و النبات و الحيوان، و جعلت ذلك فى أوقات حركات فلكية و اتصالها بالمؤثّرات العلويّة، فكانوا إذا ورد اليهم جيش من نحو

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۹

الحجاز و اليمن عوّرت تلك الصّور التى فى البرابى من الإبل و غيرها، فيتعوّر ما فى ذلك الجيش و ينقطع عنهم ناسه و حيوانه، و اذا كان الجيش من نحو الشأم فعلت تلك الصور أيضا ما فعلت كما وصفنا، و كذلك من أتاهم فى المراكب؛ فهابتهم الأمم و الملوك و منعوا ناحيتهم من عدوّهم، فاتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز الى عدّة أقطار، ثم عرفت بمجىء الطوفان ثانية، فخافت على هذه الصور و العلوم أن تذهب فبنت عدّة براب، و جعلت فيها علومها من الصّور و التماثيل و الكتابة، و جعلت بنيانها نوعين:

طينا و حجرا، و فرزت ما يبنى بالطين مما يبنى بالحجر، و قالت: إن كان هذا الطوفان نارا استحجر ما بنينا بالطين و بقيت هذه العلوم، و إن كان الطوفان الوارد ماء ذهب ما بنينا بالطين و بقى ما بنينا بالحجارة، و إن كان الطوفان سيفا بقى كلا النوعين.

و لما ماتت دلوكة العجوز المذكورة ملك مصر بعدها دركوس بن بلطيوس؛ ثم ملك بعده بورس بن دركوس؛ ثم ملك بعده لعس بن نورس نحوا من خمسين سنة؛ ثم ملك بعده دنيا بن نورس نحوا من عشرين سنة؛ ثم ملك بعده نلوطس عشر سنين؛ ثم ملك بعده مما كيل بن بلوطس، ثم ملك بعده يلونة بن مماكيل و كانت له حروب و مسير فى الأرض، و هو فرعون الأعرج الذى غزا بنى إسرائيل و خرّب بيت المقدس؛ ثم ملك بعده مرينوس و كانت له أيضا حروب بالمغرب، ثم ملك بعده نقاس بن مرينوس ثمانين سنة، ثم ملك بعده قويس بن نقاس عشر سنين؛ ثم ملك بعده كاميل، و كانت له أيضا حروب مع ملوك المغرب و غزاه البخت نصّر مرزبان المغرب من قبل ملك فارس، فخرّب أرضه و قتل رجاله و سار البخت نصّر الى نحو المغرب. و لما زال أمر البخت نصر و من كان معه من جنود فارس ملكت الروم مصر و غلبت عليها، فتنصر أهلها، فلم يزالوا على ذلك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۰

إلى أن ملك كسرى أنو شروان، فغلبت جيوشه على الشأم و سارت نحو مصر فملكوها، و غلبوا على أهلها نحوا من عشرين سنة، فكانت بين الروم و فارس حروب كثيرة، و كان أهل مصر يؤدّون خراجين عن بلادهم: خراجا لفارس، و خراجا للروم؛ ثم انجلت

فارس عن مصر و الشأم [لأمر حدث فى دار مملكتهم فغلبت الروم على مصر و الشأم] و أشهروا النصرانية فشمل ذلك من فى الشأم و مصر الى أن أتى اللّه بالإسلام، و كان من أمر المقوقس صاحب مصر مع النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم من الهدايا ما كان إلى أن افتتحها عمرو بن العاص بمن كان معه من الصحابة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، حسبما ذكرناه فى أوّل ذلك الكتاب.

و كان المقوقس ملك مصر و صاحب القبط نزيل الإسكندرية فى بعض فصول السنة، و فى بعضها مدينة منف، و فى بعضها قصر الشمع، و قصر الشمع فى وسط مدينة الفسطاط. و المقصود من ذكر ذلك أنّ الذين ملكوا مصر باتفاق كثير من أهل التاريخ على اختلاف بينهم، من الفراعنة و غيرهم: اثنان و ثلاثون فرعونا؛ و من ملوك بابل ممن ملك مصر: خمسة؛ و من العماليق و هم الذين قدموا اليها من الشأم: أربعة؛ و من الروم: سبعة؛ و من اليونانيين: عشرة؛ و ذلك قبل ظهور المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، و ملكها أناس من ملوك الفرس من الأكاسرة، فكانت مدّة من ملك مصر من بنى نوح و الفراعنة و العماليق و الروم و اليونانيين ألف سنة و ثلثمائة سنة.

قلت: و هذا الذى ذكرناه على سبيل الاستطراد، و شرط كتابنا هذا ألّا نذكر فيه إلا من ملك مصر فى الإسلام، و من ذكرناه من هؤلاء زيادة ليست بمنكرة لتحصيل الفائدة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۱

قال المسعودى: و سألت جماعة من أقباط مصر بالصعيد و غيره من أهل الخبرة عن تفسير اسم فرعون فلم يخبرونى عن معنى ذلك و لا تحصّل لى فى لغتهم، فيمكن- و اللّه أعلم- أن هذا الاسم كان سمة لملوك تلك الأعصار، و أنّ تلك اللغة تغيّرت كتغيّر الفهلويّة، و هى الفارسية الأولى الى الفارسية الثانية، و كاليونانية الى الرومية، و تغيّر الحميريّة و غير ذلك من اللغات. انتهى كلام المسعودى.

قلت: و ليس بمستبعد هذه المقالة لأن لسان العرب و هو أشرف الألسن و به نزل القرآن الكريم قد تغير الآن غالبه، و صارت العامّة و غيرها تتكلم بكلام لو سمعه بعض أعراب ذلك الزمان لما فهموه لتغيّر ألفاظه، و كذلك اللغة التركية، فإن لسان المغل الآن لا يعرفه جند زماننا هذا و لا يتحدّثون به، و لو سمعوه لما فهموه، و أشياء كثيرة من هذا. ا ه.

و نشرع الآن بذكر ما نحن بصدده، و من لأجله صنّف هذا الكتاب، و هم ملوك مصر و القاهرة، و نبدأ بترجمة عمرو بن العاص رضى اللّه عنه، لأنها فتحت على يديه، و هو أوّل من وليها من المسلمين.

ذكر ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤىّ بن غالب، أبو عبد اللّه، و قيل: أبو محمد القرشىّ السّهمىّ الصحابىّ؛ أسلم يوم الهدنة و هاجر، و استعمله رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على جيش غزوة ذات السلاسل، و فيه أبو بكر و عمر، لخبرته بمكيدة الحرب، ثم ولى الإمرة فى غزوة الشأم لأبى بكر و عمر، ثم افتتح مصر حسبما تقدّم ذكره و وليها لعمر أوّلا، ثم وليها لمعاوية ابن أبى سفيان ثانيا على ما يأتى ذكره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۲

و حكى ابن سعد فى كتاب الطبقات: أنه أسلم بعد الحديبية هو و خالد بن الوليد و عثمان بن طلحة.

قال الحافظ أبو عبد اللّه شمس الدين محمد الذهبىّ فى تاريخ الاسلام: و له عدّة أحاديث، روى عنه ابناه عبد اللّه و محمد، و أبو عثمان النهدى، و قبيصة بن ذؤيب، و على بن رباح، و عبد الرحمن بن شماسة، و آخرون؛ و قدم دمشق رسولا من أبى بكر الى هرقل، و له بدمشق دار عند سقيفة كردوس، و دار عند باب الجابية تعرف ببنى حجيجة، و دار عند عين الحمار، و أمه عنزيّة، و كان قصيرا يخضب بالسواد.

حدّثنا ابن لهيعة عن مشرح عن عقبة بن عامر قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم: «أسلم الناس و آمن عمرو بن العاص» رواه

الترمذىّ. و قال ابن أبى مليكة قال طلحة بن عبيد اللّه: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول:

«عمرو بن العاص من صالحى قريش» أخرجه الترمذىّ و فيه انقطاع. و قال حمّاد ابن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال: قال النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم: «ابنا العاص مؤمنان هشام و عمرو». و قال ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أخبرنى سويد بن قيس عن قيس بن شفىّ: أنّ عمرو بن العاص قال:

يا رسول اللّه، أبايعك على أن يغفر لى ما تقدّم من ذنبى؟ قال: «إن الإسلام و الهجرة يجبّان ما كان قبلهما» قال: فو اللّه ما ملأت عينى منه و لا راجعته بما أريد حتى لحق باللّه، حياء منه.

و قال الحسن البصرىّ: قال رجل لعمرو بن العاص: أ رأيت رجلا مات رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و هو يحبّه، أليس رجلا صالحا؟ قال: بلى، قال:

قد مات رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و هو يحبّك، و قد استعملك؛ قال: بلى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۶۳

فو اللّه ما أدرى أ حبّا كان لى منه أو استعانة بى، و لكن سأحدّثك برجلين مات و هو يحبّهما: عبد اللّه بن مسعود، و عمّار بن ياسر؛ فقال الرجل: ذاك قتيلكم يوم صفّين، قال: قد و اللّه فعلنا.

و روى أنّ عمرا لما توفى النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم كان على عمان، فأتاه كتاب أبى بكر بذلك. قال ضمرة عن الليث بن سعد: إنّ عمر رضى اللّه عنه نظر الى عمرو ابن العاص يمشى، فقال: ما ينبغى لأبى عبد اللّه أن يمشى على الأرض إلا أميرا.

قال الذهبىّ بعد كلام ساقه: ثم إنّ عمرا قال لمعاوية- يعنى فى أيام وقعة صفّين-: يا معاوية، أحرقت كبدى بقصصك، أ ترى أنّا خالفنا عليّا لفضل منا عليه! لا و اللّه، إن هى إلا الدنيا نتكالب عليها، و ايم اللّه لتقطعنّ لى قطعة من دنياك، أو لأنابذنّك، قال: فأعطاه مصر، يعطى أهلها عطاءهم و ما بقى فله.

و يروى أنّ عليا كتب الى عمرو يتألّفه، فلما أتاه الكتاب أقرأه معاوية، و قال:

قد ترى، فإمّا أن ترضينى، و إمّا أن ألحق به! قال: فما تريد؟ قال: مصر، فجعلها له.

و عن يزيد بن أبى حبيب و غيره؛ أنّ الأمر لمّا صار لمعاوية استكثر طعمة مصر لعمرو، و رأى عمرو أنّ الأمر كلّه قد صلح به و بتدبيره و عنائه، و ظن أنّ معاوية سيزيده الشأم مع مصر فلم يفعل معاوية، فتنكّر له عمرو فاختلفا و تغالظا، فدخل بينهما معاوية بن حديج فأصلح بينهما، و كتب بينهما كتابا: إن لعمرو ولاية مصر سبع سنين و أشهد عليهما شهودا، ثم مضى عمرو اليها سنة تسع و ثلاثين (أعنى فى ولايته الثانية)، فما مكث نحو ثلاث سنين حتى مات.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۶۴

قال: و كان عمرو من أفراد الدهر دهاء و جلادة و حزما و رأيا و فصاحة. ذكر محمد بن سلّام الجمحىّ: أنّ عمر بن الخطاب كان اذا رأى رجلا يتلجلج فى كلامه يقول: خالق هذا و خالق عمرو بن العاص واحد.

و قال مجالد عن الشعبىّ عن قبيصة عن جابر قال: صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت أقرأ لكتاب اللّه منه، و لا أفقه فى دين اللّه منه، و لا أحسن مداراة منه؛ و صحبت طلحة بن عبيد اللّه فما رأيت رجلا أعطى للجزيل منه من غير مسئلة؛ و صحبت معاوية فما رأيت رجلا أحلم منه؛ و صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا أبين، أو قال أنصع، ظرفا منه، و لا أكرم جليسا، و لا أشبه سريرة بعلانية منه؛ و صحبت المغيرة بن شعبة فلو أنّ مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج من أبوابها كلها. و قال موسى بن علىّ بن رباح حدّثنا أبى حدّثنا أبو قيس مولى عمرو بن العاص: أنّ عمرا كان يسرد الصوم، و قلّما كان يصيب من العشاء أوّل الليل، أكثر ما كان يأكل فى السّحر. و قال عمرو بن دينار: وقع بين المغيرة بن شعبة و بين عمرو بن العاص كلام فسبه المغيرة، فقال عمرو: يا آل هصيص، أ يسبّنى ابن شعبة! فقال عبد اللّه ابنه: إنّا للّه! دعوت بدعوى القبائل و قد نهى عنها! فأعتق عمرو ثلاثين رقبة. انتهى كلام

الذهبىّ باختصار.

قلت: و لما ولى عمرو بن العاص مصر و دخلها سكن الفسطاط. و لسبب تسمية مصر بالفسطاط أقول كثيرة، منها: أن عمرا لما أراد التوجه لفتح الاسكندرية أمر بنزع فسطاطه (أعنى خيمته) فإذا فيه يمامة قد فرخت، فقال عمرو: لقد تحرّم منا بمتحرّم، فأمر به فأقرّ كما هو، و أوصى به صاحب القصر، فلما قفل المسلمون

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۶۵

من الاسكندرية قالوا: أين ننزل؟ قالوا: الفسطاط- يعنون فسطاط عمرو الذى خلّفه بمصر مضروبا لأجل اليمامة فغلب عليه ذلك- و كان موضع الفسطاط المذكور موضع الدار التى تعرف اليوم بدار الحصار عند دار عمرو الصغيرة بمصر.

و قال الشريف محمد بن سعد الجوّانىّ: كان فسطاط عمرو عند درب حمّام شمول بخط الجامع، ا ه.

و لما رجع عمرو من الإسكندرية فى سنة إحدى و عشرين أو غيرها نزل موضع فسطاطه و تنافست القبائل بعضها مع بعض فى المواضع، فولّى عمرو بن العاص معاوية بن حديج التّجيبىّ، و شريك بن سمىّ الغطيفىّ، و عمرو بن قحزم الخولانى، و حيويل بن ناشرة المعافرىّ على الخطط، و كانوا هم الذين نزّلوا الناس و فصلوا بين القبائل. و ذلك فى سنة إحدى و عشرين من الهجرة، و استمرّ عمرو على عمله بمصر، و شرع فى بناء جامعه بمصر الى أن عزله عثمان عن ولاية مصر فى سنة خمس و عشرين بعبد اللّه بن سعد بن أبى سرح بعد أن انتقض صلح أهل الإسكندرية و غزاة عمرو فى السنة المذكورة.

و سبب ذلك أنّ ملك الروم بعث اليهم منويل الخصىّ فى مراكب من البحر، فطمعوا فى النصرة و نقضوا دينهم، فغزاهم عمرو فى ربيع الأوّل سنة خمس و عشرين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۶۶

فافتتح الأرض عنوة و المدينة صلحا، ثم استأذن عمرا عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح فى غزوة إفريقيّة، فأذن له عمرو بن العاص؛ و بعد قليل عزله عثمان فى هذه السنة بعبد اللّه بن أبى سرح المذكور- و عبد اللّه بن أبى سرح أخو عثمان لأمّه- و قيل:

إن ذلك كان فى سنة سبع و عشرين، و الذى قلنا الأقوى؛ و هذه ولاية عمرو بن العاص على مصر الأولى. و تأتى بقية ترجمته و وفاته فى ولايته الثانية، إن شاء اللّه تعالى.

و سبب عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر أنه قدم على عثمان لما تخلّف و كان قدم على عمر مرّتين استخلف فى إحداهما زكريا بن جهم العبدرىّ، و فى الثانية ابنه عبد اللّه، فلما قدم عمرو على عثمان سأله عزل عبد اللّه بن سعد ابن أبى سرح عن صعيد مصر، و كان عمر قد ولّاه صعيد مصر، فامتنع عثمان من ذلك و عزله عن مصر و عقد لعبد اللّه بن سعد بن أبى سرح على مصر كلها مضافة للصعيد و غيره، فكانت ولاية عمرو بن العاص على مصر فى المرّة الأولى أربع سنين و أشهرا.

[ذكر بناء جامع عمرو بن العاص بمصر رضى اللّه عنه

كان خانا و الذى حاز موضعه قيسبة بن كلثوم التّجيبىّ أبو عبد اللّه أحد بنى سوم، فلما رجعوا من الإسكندرية سأل عمرو قيسبة المذكور فى منزله هذا يجعله مسجدا؛ فقال له قيسبة: فإنى أتصدّق به على المسلمين، فسلّمه اليهم؛ و اختطّ مع قومه بنى سوم فى [تجيب] و بنى الجامع فى سنة إحدى و عشرين، و كان طوله

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۶۷

خمسين ذراعا فى عرض ثلاثين؛ و يقال: إنه وقف على إقامة قبلته ثمانون رجلا من الصحابة، منهم: الزبير بن العوّام، و المقداد بن الأسود، و عبادة بن الصامت، و أبو الدّرداء، و أبو ذرّ الغفارىّ، و أبو بصرة الغفارىّ، و محمية بن جزء الزّبيدى، و نبيه ابن صواب و غيرهم، و كانت القبلة مشرّقة جدّا، و إن قرّة بن شريك لمّا هدم المسجد المذكور و بناه فى زمان الوليد بن عبد الملك بن مروان

تيامن بها قليلا.

و ذكر الليث بن سعد و عبد اللّه بن لهيعة: [أنهما] كانا يتيامنان إذا صلّيا فى المسجد الجامع، و لم يكن للمسجد الذى بناه عمرو محراب مجوّف، و إنما قرّة بن شريك المذكور جعل المحراب المجوّف.

و أوّل من أحدث ذلك عمر بن عبد العزيز، و هو يومئذ عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة ليالى أسّس مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لما هدم و زاد فيه. و كان لمسجد عمرو بابان يقابلان دار عمرو بن العاص، و بابان فى بحريّه، و بابان فى غربيّه؛ و كان الخارج من زقاق القناديل يجد ركن الجامع الشرقىّ محاذيا لركن دار عمرو الغربىّ، و كان طوله من القبلة الى البحرىّ مثل طول دار عمرو، و سقفه مطأطأ جدّا و لا صحن له؛ و كان الناس يصطفون بفنائه؛ و كان بينه و بين دار عمرو سبعة أذرع؛ و كان الطريق محيطا به من جميع جوانبه، و كان عمرو قد اتخذ منبرا فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه يعزم عليه فى كسره و يقول:

أما بحسبك أن تقوم قائما و المسلمون تحت عقبيك! فكسره عمرو.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۸

و أوّل من صلّى عليه من الموتى به فى داخله أبو الحسين سعيد بن عثمان صاحب الشّرطة فى النصف من صفر، و كانت وفاته فجأة فأخرج و صلّى عليه خلف المقصورة و كبر عليه خمسا، و لم يعلم أحد قبله صلّى عليه بالجامع و أنكر الناس ذلك.

و أوّل من زاد فى الجامع المذكور مسلمة بن مخلّد الأنصارى أمير مصر فى أيام معاوية سنة ثلاث و خمسين، فزاد فيه من بحريّه و جعله رحبة فى البحرىّ و بيّضه و زخرفه، و لم يغير البناء القديم و لا أحدث فى قبليّه و لا غربيّه شيئا.

و ذكر أنه زاد فيه من شرقيّه حتى ضاق الطريق بينه و بين دار عمرو بن العاص و فرشه بالحضر و كان مفروشا قبل ذلك بالحصباء.

و قيل: إن مسلمة نقض ما كان عمرو بناه و زاد فيه من شرقيّه و جعل له صوامع، و بنى فيه أربع صوامع فى أركانه الأربعة، و أمر ببناء المنار فى جميع المساجد، و أمر مسلمة أن يكتب اسمه على المنائر، و أمر مؤذّنى المسجد الجامع أن يؤذّنوا للفجر اذا مضى نصف الليل، فإذا فرغوا من أذانهم أذّن كل مؤذّن فى الفسطاط فى وقت واحد، فكان لأذانهم دوىّ شديد، و أمر ألّا يضرب بناقوس عند وقت الأذان، أعنى الفجر.

ثم إنّ عبد العزيز بن مروان هدمه سنة تسع و سبعين، و هو أمير مصر من قبل أخيه عبد الملك بن مروان، و زاد فيه من ناحية الغرب و أدخل فيه الرحبة التى كانت فى بحريّه و لم يجد فى شرقيّه موضعا يوسّعه به.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۹

و ذكر الكندىّ فى كتاب الأمراء: أنه زاد فيه من جوانبه كلّها، و يقال: إنّ عبد العزيز المذكور لما أكمل بناء المسجد المذكور خرج من دار الذهب عند طلوع الفجر فدخل المسجد فرأى فى أهله خفّة فأمر بأخذ الأبواب على من فيه، ثم دعاهم رجلا رجلا، يقول للرجل: أ لك زوجة؟ فيقول: لا، فيقول: زوّجوه؛ أ لك خادم؟ فيقول: لا، فيقول: أخدموه؛ أحججت؟ فيقول: لا، [فيقول]: أحجّوه؛ أعليك دين؟ فيقول: نعم، فيقول: اقضوا دينه، فأقام المسجد بعد ذلك دهرا عامرا ثم الى اليوم.

و أمر عبد العزيز المذكور برفع سقف الجامع و كان مطأطأ فى سنة تسع و ثمانين، ثم إنّ قرّة بن شريك العبسىّ بن قيس عيلان هدمه فى مستهلّ سنة اثنتين و تسعين بأمر الوليد بن عبد الملك بن مروان، و قرّة أمير على مصر من قبله، و ابتدأ فى بنائه فى شعبان من السنة المذكورة، و جعل على بنائه يحيى بن حنظلة مولى بنى عامر ابن لؤىّ، و كانوا يجمّعون الجمعة فى قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه فى رمضان سنة ثلاث و تسعين و نصب المنبر الجديد فى سنة أربع و تسعين و نزع المنبر الذى كان فى المسجد؛ و ذكر أنّ عمرو بن العاص كان جعله فيه.

قلت: و لعله كان وضعه بعد وفاة عمر بن الخطاب، فإنه كان منعه حسبما ذكرناه؛ و قيل: هو منبر عبد العزيز بن مروان.

و ذكر أنه حمل اليه من بعض كنائس مصر. و ذكر أنّ زكريا بن مرقى ملك النوبة أهداه الى عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح و بعث

معه نجارا يسمّى «بقطر» حتى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۰

ركّبه، و لم يزل هذا المنبر فى الجامع الى أن زاد قرّة بن شريك المذكور فى الجامع، فنصب منبرا سواه، و لم يكن إذ ذاك يخطب فى القرى إلّا على العصىّ إلى أن ولى [عبد الملك بن مروان] بن موسى بن نصير اللّخمىّ مصر من قبل مروان بن محمد فأمر باتّخاذ المنابر فى القرى، و ذلك فى ستة اثنتين و ثلاثين و مائة، و لا يعرف منبر أقدم من منبر قرّة بن شريك بعد منبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فلم يزل كذلك الى أن قلع و كسر أيام العزيز بالله نزار العبيدىّ بنظر الوزير ابن كلّس فى يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الأوّل سنة تسع و سبعين و ثلثمائة و جعل مكانه منبر مذهب، ثم أخرج هذا المنبر الى الاسكندرية و جعل بجامع عمرو بن العاص الذى بها، ثم أنزل المنبر الكبير الى الجامع المذكور فى أيام الحاكم بأمر اللّه العبيدى فى شهر ربيع الأوّل سنة خمس و أربعمائة، و صرف بنو عبد السميع عن الخطابة و جعلت خطابته لجعفر بن الحسن بن خداع الحسينىّ، و جعل الى أخيه الخطابة فى الجامع الأزهر، و صرف بنو عبد السميع من جميع المنابر؛ ثم وجد بعد ذلك المنبر الجديد الذى نصب بالجامع قد لطّخ بالقذر فوكّل به من يحفظه و عمل له غشاء من أدم مذهب، و خطب عليه ابن خداع و هو مغشّى؛ و كانت زيادة قرّة بن شريك من القبلىّ و الشرقىّ و أخذ بعض دار عمرو بن العاص و ابنه عبد اللّه فأدخله فى المسجد و أخذ منهما الطريق التى بين المسجد و بينهما، و عوّض أولاد عمرو ما هو فى أيديهم من الرباع التى فى زقاق مليح فى النحاسين و قشرة، و أمر قرّة بعمل المحراب المجوّف، و هو المحراب المعروف بمحراب عمرو؛ [لأنه فى سمت محراب] المسجد القديم الذى بناه عمرو، و كانت قبلة المسجد القديم عند العمد المذهبة فى صفّ التوابيت، و هى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۱

أربعة عمد: اثنان فى مقابلة اثنين؛ و كان قرّة قد أذهب رءوسها، و لم يكن فى المسجد عمد مذهبة غيرها، و كانت قديما [حلقة أهل المدينة] ثم زوّق أكثر العمد و طوّق فى أيام الإخشيد سنة أربع و عشرين و ثلثمائة، و لم يكن للمسجد أيام قرّة غير هذا المحراب.

فأما المحراب الأوسط فيعرف بمحراب عمر بن مروان أخى عبد الملك بن مروان الخليفة، و لعله أحدثه فى الجدار بعد قرّة؛ و ذكر قوم أنّ قرّة عمل هذين المحرابين، و صار للجامع أربعة أبواب فى شرقيّه، آخرها باب إسرائيل، و هو باب النحاسين؛ و فى غربيّه أربعة أبواب شارعة فى زقاق يعرف بزقاق البلاط؛ و فى بحريه ثلاثة أبواب. انتهى ما أوردناه من أمر جامع عمرو بن العاص المذكور رضى اللّه عنه.

*** و أما بناء عمرو بن العاص لبيت المال بالفسطاط- فالأصح أنما بناه أسامة بن زيد التّنوخىّ متولى الخراج بمصر فى سنة سبع و تسعين فى خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان، و أمير مصر يوم ذاك عبد الملك بن رفاعة الآتى ذكره فى موضعه إن شاء اللّه تعالى. و قد خرجنا عن المقصود لطلب الفائدة و نعود الى ذكر عمرو بن العاص رضى اللّه عنه.

قيل: إنه رئى و هو على بغلة هرمة، و هو إذ ذاك أمير مصر، فقيل له: أ تركب هذه و أنت أمير مصر؟ فقال: لا ملل عندى لدابّتى ما حملتنى، و لا لأمرأتى ما أحسنت عشرتى، و لا لصديقى ما حفظ سرى؛ إنّ الملل من كواذب الأخلاق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۲

و عن عمرو قيل له: صف الأمصار، قال: أهل الشام أطوع الناس للمخلوق و أعصاه للخالق؛ و أهل مصر أكيسهم صغارا و أحمقهم كبارا؛ و أهل الحجاز أسرع الناس الى الفتنة و أعجزهم عنها؛ و أهل العراق أطلبهم للعلم و أبعدهم منه.

قال مجالد عن الشّعبىّ قال: دهاة العرب أربعة: معاوية، و عمرو، و المغيرة ابن شعبة، و زياد بن أبيه؛ فأما معاوية فللأناة و الحلم، و أما عمرو فللمعضلات، و أما المغيرة فللمبادرة، و أما زياد بن أبيه فللصغير و الكبير.

و قال أبو عمران بن عبد البرّ: كان عمرو من فرسان قريش و أبطالهم فى الجاهلية، مذكورا فيهم بذلك، و كان شاعرا محسنا حفظ عنه

فيه الكثير فى مشاهد شتّى، و له يخاطب عمارة بن الوليد بن شعبة عند النجاشىّ:

اذا المرء لم يترك طعاما يحبّه و لم ينه قلبا غاويا حيث يمّما

قضى وطرا منه و غادر سنّة اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

و قال الذهبىّ فى التذهيب: روى أحمد بن حنبل عن أبى عبد اللّه البصرىّ عن أبى مليكة قال قال عمرو بن العاص: إنى لأذكر الليلة التى ولد فيها عمر. قلت:

ما قال هذا إلا لأنه أسنّ من عمر فلعل بينهما نحو خمسين سنة. انتهى كلام الذهبىّ باختصار.

و قال ابن عبد الحكم فى تاريخه: خطبة عمرو. حدّثنا عبد الرحمن حدّثنا سعيد ابن ميسرة عن إسحاق بن الفرات عن ابن لهيعة عن الأسود بن مالك الحميرىّ عن بحير بن ذاخر المعافرىّ قال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۳

رحت أنا و والدى الى صلاة الجمعة [تهجيرا] و ذلك آخر الشتاء بعد حميم النصارى بأيام يسيرة، فأطلنا الركوع، إذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس، فذعرت؛ فقلت: يا أبت، من هؤلاء؟ قال: يا بنىّ، هؤلاء الشّرط، فأقام المؤذّنون الصلاة، فقام عمرو بن العاص على المنبر، فرأيت رجلا ربعة قصد القامة، وافر الهامة، أدعج أبلج، عليه ثياب موشيّة كأنّ به العقيان يأتلق، عليه حلّة و عمامة و جبّة، فحمد اللّه و أثنى عليه حمدا موجزا و صلّى على النبى صلى اللّه عليه و سلم و وعظ الناس و أمرهم و نهاهم، فسمعته يحضّ على الزكاة و صلة الأرحام و يأمر بالاقتصاد و ينهى عن الفضول و كثرة العيال و قال فى ذلك: يا معشر الناس، إياكم و خلالا أربعة، فإنها تدعو الى النّصب بعد الراحة، و الى الضّيق بعد السّعة، و الى المذلّة بعد العزّة. إياكم و كثرة العيال، و إخفاض الحال، و تضييع المال، و القيل بعد القال، فى غير درك و لا نوال؛ ثم إنه لا بدّ من فراغ يؤول اليه المرء فى توديع جسمه و التدبير لشأنه، و تخليته بين نفسه و بين شهواتها، و من صار الى ذلك فليأخذ بالقصد و النصيب الأقل، و لا يضيع المرء فى فراغه نصيب العلم من نفسه، فيحور من الخير عاطلا، و عن حلال اللّه و حرامه غافلا.

يا معشر الناس، إنه قد تدلّت الجوزاء، و ذكت الشّعرى، و أقلعت السماء، و ارتفع الوباء، و قلّ الندى، و طاب المرعى، و وضعت الحوامل، و درجت السخائل، و على الراعى بحسن رعيّته حسن النظر، فحىّ لكم على بركة اللّه الى ريفكم فنالوا من خيره و لبنه و خرافه و صيده؛ و أربعوا خيلكم و أسمنوها و صونوها و أكرموها، فإنها جنّتكم من عدوّكم و بها مغانمكم و أنفالكم، و استوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا؛ و إياكم و المسوّمات و المعسولات فإنهنّ يفسدن الدّين و يقصّرن الهمم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۴

حدّثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: «إنّ اللّه سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإنّ لكم منهم صهرا و ذمّة»؛ فكفّوا أيديكم و عفّوا فروجكم و غضّوا أبصاركم، و لا أعلمنّ ما أتى رجل قد أسمن جسمه و أهزل فرسه؛ و اعلموا أنى معترض الخيل كاعتراض الرجال، فمن أهزل فرسه من غير علّة حططته من فريضته قدر ذلك؛ و اعلموا أنكم فى رباط الى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم و تشوّق قلوبهم اليكم و الى داركم معدن الزرع و المال و الخير الواسع و البركة النامية.

و حدّثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: «اذا فتح اللّه عليكم مصر فاتّخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض» فقال له أبو بكر: و لم يا رسول اللّه؟ قال: «لأنهم و أزواجهم فى رباط الى يوم القيامة».

فاحمدوا اللّه معشر الناس على ما أولاكم، فتمتّعوا فى ريفكم ما طاب لكم، فإذا يبس العود و سخن العمود و كثر الذباب و حمض اللبن و صوّح البقل و انقطع الورد من الشجر، فحىّ الى فسطاطكم على بركة اللّه؛ و لا يقدمنّ أحد منكم ذو عيال على عياله إلا و معه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته؛ أقول قولى هذا و أستحفظ اللّه عليكم.

قال: فحفظت ذلك عنه، فقال والدى بعد انصرافنا الى المنزل- لما حكيت له خطبته- إنه يا بنىّ يحدو الناس اذا انصرفوا اليه على

الرّباط كما حداهم على الريف و الدّعة].

*** السنة الأولى من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر و هى سنة عشرين من الهجرة- فيها كانت غزوة تستر؛ و فيها توفى بلال بن رباح الحبشىّ مولى أبى بكر الصديق، و حمامة أمّه، و كان من السابقين الأوّلين و ممن عذّب فى الإسلام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۷۵

و شهد بدرا و كان مؤذّن النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم؛ مات بدمشق بالطاعون فى هذه السنة، و قيل فى التى قبلها و دفن بدمشق بالباب الصغير، و له بضع و ستون سنة رضى اللّه عنه؛ و فيها توفّيت زينب بنت جحش بن رباب الأسدىّ- أسد خزيمة- أمّ المؤمنين، تزوّجها النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم سنة ثلاث و قيل سنة خمس و قيل سنة أربع و هو الأصح؛ و فيها توفى البراء بن مالك الأنصارىّ أخو أنس بن مالك الأنصارىّ النّجّارىّ، كان أحد الأبطال الأفراد فى الصحابة رضى اللّه عنهم؛ و فيها توفى عياض بن غنم أبو سعد من المهاجرين الأوّلين، شهد بدرا و غيرها رضى اللّه عنه؛ و فيها توفى سعيد ابن عامر بن حذيم الجمحىّ، كان من أشراف بنى جمح، له صحبة و رواية، قال الذهبىّ:

روى عنه عبد الرحمن بن سابط؛ و فيها توفى أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمّ النبى صلى اللّه عليه و سلم، و كان رضيع النّبىّ و شبيهه؛ و فيها توفى هرقل عظيم الروم و قام ابنه قسطنطين مكانه.

أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم أربعة أذرع و تسعة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و إحدى و عشرون إصبعا.

*** السنة الثانية من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر و هى سنة إحدى و عشرين من الهجرة- فيها فتحت الإسكندرية فى مستهلّها على يد عمرو بن العاص بعد أمور و حروب، و فى آخرها افتتح عمرو بن العاص برقة و صالحهم على ثلاثة عشر ألف دينار؛ و فيها اشتكى أهل الكوفة سعد بن أبى وقّاص الى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، فصرفه عمر و ولّى عليهم عمّار بن ياسر على الصلاة، و ولّى عبد اللّه بن مسعود على بيت المال، و ولّى عثمان بن حنيف على مساحة أرض السواد؛ و فيها كان فتح نهاوند، و استشهد أمير الجيش الذى توجّه اليها، و هو النعمان بن مقرّن المزنىّ، و استشهد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۷۶

أيضا يومئذ طليحة بن خويلد بن نوفل و فتحت تستر؛ و فيها صالح أبو هاشم بن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس على أنطاكية و ملطيّة و غيرهما؛ و فيها توفّى خالد بن الوليد ابن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم القرشىّ المخزومىّ أبو سليمان سيف اللّه، كذا لقّبه النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و أمّه لبابة أخت ميمونة بنت الحارث أمّ المؤمنين و دفن بحمص، و قبره مشهور يقصد للزيارة؛ و فيها توفّى العلاء بن الحضرمىّ، و اسم الحضرمىّ عبد اللّه بن عبّاد بن أكبر بن ربيعة بن مقنع بن حضرموت حليف بنى أمية، و الى أخيه تنسب بئر ميمونة التى بأعلى مكة احتفرها فى الجاهلية؛ و فيها توفّى الجارود العبدىّ سيّد عبد القيس، و كنيته أبو عتّاب، و قيل أبو المنذر، و قيل اسمه بشر و لقّب جارودا لأنه أغار على بكر بن وائل فأصابهم و جرّدهم، أسلم سنة عشر من الهجرة و فرح النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم بإسلامه.

أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم خمسة أذرع و إصبعان، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و خمسة أصابع.

*** السنة الثالثة من ولاية عمرو الأولى على مصر و هى سنة اثنتين و عشرين من الهجرة- فيها افتتح عمرو بن العاص طرابلس الغرب، و قيل فى التى بعدها؛ و فيها غزا حذيفة مدينة الدّينور فافتتحها عنوة، و قد كانت فتحت قبل لسعد ثم انتقضت؛ و فيها أيضا غزا حذيفة ما سبذان فافتتحها عنوة، و قيل كان افتتحها سعد ثم نقضوا؛ و قال طارق بن شهاب: غزا أهل البصرة ماه، فأمدّهم أهل الكوفة و عليهم عمّار بن ياسر فأرادوا أن يشركوا فى الغنائم فأبى أهل البصرة، ثم كتب اليهم عمر: الغنيمة لمن شهد الوقعة؛ و فيها فتحت همذان قاله ابن جرير و غيره؛ و فيها فتحت الرّىّ و ما بعدها، ثم فتحت أذربيجان فى قول الواقدىّ و أبى معشر، و قال سيف: كانت فى سنة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۷۷

ثمانى عشرة، و كان بين أهل هذه البلاد و المسلمين حروب كثيرة حتى فتح اللّه عليهم؛ و فيها توفى أبىّ بن كعب، فى قول الواقدىّ و ابن نمير و الدّيلمى و اليزيدىّ، و قيل فى سنة تسع عشرة.

أمر النيل فى هذه السنة الماء القديم، أعنى القاعدة، ستة أذرع و اثنا عشر إصبعا، مبلغ الزيادة فيها ستة عشر ذراعا و ثمانية عشر إصبعا.

*** السنة الرابعة من ولاية عمرو الأولى على مصر، و هى سنة ثلاث و عشرين من الهجرة- فيها فتح كرمان، و كان أميرها سهل بن عدىّ؛ و فيها فتحت سجستان و كان أمير الجيش عاصم بن عمر؛ و فيها فتحت مكران، و كان أمير الجيش لفتحها الحكم بن عثمان و هى من بلاد الجبل؛ و فيها- ذكر سيف عن مشايخه-: أنّ سارية ابن زنيم قصد فسا و دارابجرد و اجتمع له جموع من الفرس و الأكراد عظيمة و دهم المسلمين منهم أمر عظيم، و رأى عمر بن الخطاب فى تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم و عددهم فى وقت من نهار و أنهم فى صحراء، و هناك جبل إن استندوا اليه لم يؤتوا إلا من جهة واحدة، فنادى عمر من الغداة للصلاة جماعة حتى اذا كانت الساعة التى كان رأى أنهم اجتمعوا فيها خرج الى الناس، فصعد المنبر فخطب الناس و أخبرهم بما رأى ثم قال: يا سارية، الجبل الجبل، ثم قال: إنّ للّه جنودا و لعلّ بعضها أن يبلّغهم؛ قال: ففعلوا ما قال عمر، فنصرهم اللّه على عدوّهم و فتحوا البلد؛ و قيل فى رواية أخرى: إنما كان عمر فى خطبة الجمعة؛ و فيها حجّ عمر بن الخطاب بأزواج النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم و هى آخر حجّة حجّها؛ و فيها غزا معاوية بن أبى سفيان الصائفة حتى بلغ عمّوريّة؛ و فيها توفى قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر ابن سواد بن كعب و اسمه ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس أبو عمرو

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۸

الأنصارى الظّفرىّ أخو أبى سعيد الخدرىّ لأمّه و قتادة الأكبر، شهد قتادة وقعة بدر، و أصيبت عينه و وقعت على خدّه فى يوم أحد فأتى النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم فغمز حدقته و ردّها الى موضعها فكانت أصحّ عينيه؛ و فيها توفى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدىّ بن كعب ابن لؤىّ أبو حفص القرشىّ العدوىّ الفاروق، استشهد فى يوم الأربعاء لثمان بقين من ذى الحجة و قيل لأربع، و سنّه يوم مات نيّفت على ستين سنة، و قيل غير ذلك على أقوال كثيرة، ضربه أبو لؤلؤة و اسمه فيروز عبد المغيرة بن شعبة بخنجر فى خاصرته و هو فى صلاة الصبح فمات بعد ثلاثة أيام، و تولى الخلافة بعده عثمان بن عفان رضى اللّه عنهما، و كانت خلافته عشر سنين و نصف لأنه ولى بعد وفاة أبى بكر الصدّيق فى ثامن جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

قلت: و يضيق هذا المحل عن ذكر شىء من بعض مناقبه و ما ورد فى حقه من الأحاديث، و قد ذكرنا ذلك فى غير هذا المكان.

أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم ثلاثة أذرع و ثمانية عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و اثنا عشر إصبعا.

*** السنة الخامسة من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر و هى سنة أربع و عشرين من الهجرة- فيها سار منويل الخصىّ الى الإسكندرية فسأل أهل مصر عثمان إرسال عمرو بن العاص لقتال منويل المذكور، فجاء اليها عمرو و حارب حتى افتتحها الفتح الثانى فى هذه السنة، و قيل: بل كان ذلك فى سنة خمس و عشرين و هو الأصح؛ و فيها حج بالناس عثمان بن عفان رضى اللّه عنه؛ و فيها- فى قول سيف- عزل عثمان سعدا عن الكوفة و ولّى الوليد بن عقبة بن أبى معيط

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۹

مكانه، فكان هذا مما نقم على عثمان، و كنيته أبو وهب، و هو أخو عثمان لأمه، و له صحبة و رواية، روى عنه أبو موسى الهمذانىّ و الشّعبىّ؛ و فيها فتح معاوية بن أبى سفيان الحصون و ولد له ابنه يزيد؛ و فيها توفى سراقة بن مالك بن جعشم أبو سفيان المدلجىّ.

أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم ذراعان و أربعة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و ستة أصابع.

ذكر ولاية ابن أبى سرح على مصر

هو عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح و اسمه الحسام (و سرح بالسين و الحاء المهملتين) و الحسام بن الحارث بن حبيب (بالحاء المهملة مصغرا) بن جذيمة ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤىّ، أبو يحيى العامرىّ عامر قريش، ولى إمرة مصر بعد عزل عمرو بن العاص فى سنة خمس و عشرين، كما تقدّم ذكره، من قبل عثمان بن عفان، و جاءه الكتاب بولايته و هو بالفيوم، فجعل لأهل الجواب جعلا فقدموا به مصر، و سكن الفسطاط و مكث أميرا على مصر مدّة ولاية عثمان بن عفان كلها و هو أخو عثمان لأمه؛ قاله ابن كثير، قال: و هو الذى شفع له يوم الفتح حين كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أهدر دمه، يأتى ذكر ذلك مفصّلا فى آخر ترجمته من كلام ابن حجر بعد أن نذكر نبذة من أموره.

و لمّا ولى مصر أحسن السيرة فى الرعية، و كان جوادا كريما، ثم أمره عثمان أن يغزو إفريقيّة، فإذا افتتحها كان له خمس الخمس من الغنيمة نفلا، فسار عبد اللّه بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۸۰

أبى سرح المذكور الى إفريقيّة فى عشرة آلاف و غزاها حتى افتتح سهلها و جبلها و قتل خلقا كثيرا من أهلها، ثم اجتمعوا على الطاعة و الإسلام و حسن إسلامهم، و أخذ عبد اللّه بن أبى سرح المذكور خمس الخمس من الغنيمة و بعث بأربعة أخماسه الى عثمان، و قسّم أربعة أخماس الغنيمة فى الجيش فأصاب الفارس ثلاثة آلاف دينار و الراجل ألف دينار.

قال الواقدىّ: و صالحه بطريقها على ألفى ألف دينار و خمسمائة ألف دينار و عشرين ألف دينار، فأطلقها عثمان كلها فى يوم واحد فى آل الحكم، و يقال: فى آل مروان؛ ثم غزا عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح المذكور إفريقيّة ثانية فى سنة ثلاث و ثلاثين حين نقض أهلها العهد حتى أقرّهم على الإسلام و الجزية؛ و استشهد معه فى هذه المرّة بإفريقيّة جماعة منهم: معبد بن العبّاس بن عبد المطلب و غيره.

ثم غزا فى سنة أربع و ثلاثين غزوة ذات الصوارى فى البحر من ناحية الإسكندرية، فلقيه قسطنطين بن هرقل فى ألف مركب، و قيل فى سبعمائة، و المسلمون فى مائتى مركب، و تقاتلا فانتصر الأمير عبد اللّه هذا و هزم الروم؛ و إنما سمّيت غزوة ذات الصوارى لكثرة صوارى المراكب و اجتماعها. و عاد الى مصر فبلغه فى سنة خمس و ثلاثين خبر من ثار على عثمان رضى اللّه عنه، و دخل منهم طائفة الى مصر بأمر عثمان، فإنه كان أخرج منهم جماعة الى البصرة و الشام و مصر، فلما قدم من قدم منهم الى مصر وافقهم جماعة من المصريين على خلاف عثمان كرها فى ابن أبى سرح هذا لكونه ولى بعد عمرو بن العاص، و أيضا لاشتغاله عنهم بقتال أهل المغرب و فتح بلاد البربر و أندلس و إفريقيّة و غيرها، و نشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلّبون الناس على حرب عثمان و حرب عبد اللّه بن أبى سرح المذكور،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۸۱

و اجتمعوا و استنفروا من مصر فى ستمائة راكب يذهبون الى المدينة فى صفة معتمرين فى شهر رجب لينكروا على عثمان و ساروا الى المدينة تحت أربع رايات، و أمر الجميع الى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى و عبد الرحمن التّجيبى، و أقبل معهم محمد بن أبى بكر الصدّيق، و أقام بمصر محمد بن حذيفة يؤلّب الناس و يدافع عن هؤلاء، فكتب ابن أبى سرح الى عثمان يعلمه بقدوم هؤلاء القوم منكرين عليه فى صفة معتمرين، فوقع لهم مع عثمان رضى اللّه عنه أمور يطول شرحها الى أن سألوا عثمان عزل عبد اللّه ابن أبى سرح هذا عن ولاية مصر و يولّى عليهم محمد بن أبى بكر الصدّيق، فأجابهم الى ذلك، فلما رجعوا وجدوا فى الطريق بريدىّا يسير فأخذوه و فتّشوه، فاذا معه فى إداوة كتاب كتبه مروان بن الحكم كاتب عثمان و ابن عمّه، و الكتاب على لسان عثمان، فيه الأمر بقتل طائفة منهم و صلب آخرين و قطع أيدى آخرين منهم و أرجلهم؛ و كان على الكتاب طبع خاتم عثمان، و البريد أحد غلمان عثمان على جمله، فلما رجعوا جاءوا بالكتاب الى المدينة و داروا به على الناس، فكلّم الناس عثمان فى أمر الكتاب؛ فقال عثمان ما معناه: إنه دلّس عليه الكتاب ثم قال: و اللّه لا كتبته و لا أمليته و لا دريت بشىء من ذلك و الخاتم قد يزوّر على الخاتم، فصدّقه الصادقون و كذّبه

الکاذبون فی ذلک؛ و استمرّ عبد اللّه بن أبی سرح علی عمله علی کره من المصریین الی أن خرج من مصر متوجّها الی عثمان بعد أن استخلف علیها عقبة بن عامر الجهنیّ و قتل عثمان رضی اللّه عنه و استخلف علیّ رضی اللّه عنه، فعزل عبد اللّه بن أبی سرح هذا عن مصر و ولّاها لقیس بن سعد بن عبادة رضی اللّه عنهما؛ ثم استولی علی مصر جماعة من قبل علیّ بن أبی طالب و قاتلوا عقبة بن عامر علی ما سیأتی ذکره بعد أن نذکر من توفّی فی أیام ولایة عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح هذا علی مصر کما هو عادة کتابنا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۸۲

هذا، و کان عزل عبد اللّه بن أبی سرح عن مصر فی سنة ست و ثلاثین بعد أن حکمها نحوا من عشر سنین.

و أمّا عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح صاحب الترجمة فلم أقف له علی خبر بعد ذلک، غیر أنّ بعض المؤرّخین ذکروا أنه توفّی بفلسطین فی سنة ست و ثلاثین المذکورة، و یقال غیر ذلک أقوال کثیرة؛ منها:

قال الحافظ شهاب الدین بن حجر العسقلانی فی الإصابة: روی الحاکم من طریق السّدّی عن مصعب بن سعد عن أبیه قال: لمّا کان یوم فتح مکة أمّن النّبیّ صلی اللّه علیه و سلم الناس کلّهم إلا أربعة نفر و امرأتین: عکرمة و ابن خطل و مقیس بن صبابة و ابن أبی سرح، و ذکر الحدیث، قال: فأمّا عبد اللّه فاختبأ عند عثمان فجاء به عثمان حتی أوقفه علی النّبیّ صلی اللّه علیه و سلم و هو یبایع الناس، فقال:

یا رسول اللّه، بایع عبد اللّه، فبایعه بعد ثلاث، ثم أقبل علی أصحابه فقال: «أما کان فیکم رجل رشید یقوم الی هذا حیث رآنی کففت یدی عن مبایعته فیقتله».

و من طریق یزید النحویّ عن عکرمة عن ابن عباس قال: کان عبد اللّه بن سعد ابن أبی سرح یکتب للنبیّ صلی اللّه علیه و سلم، فزیّن له الشیطان فلحق بالکفّار، فأمر به رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أن یقتل (یعنی یوم الفتح) فاستجار بعثمان، فأجاره النّبیّ صلی اللّه علیه و سلم. أخرجه أبو داود.

و روی ابن سعد من طریق ابن المسیّب قال: کان رجل من الأنصار نذر إن رأی ابن أبی سرح أن یقتله، فذکر نحوا من حدیث مصعب بن سعد عن أبیه.

و روی الدار قطنیّ من حدیث سعید بن یربوع المخزومیّ نحو ذلک؛ و من طریق الحکم بن عبد اللّه عن قتادة بن أنس بمعناه؛ و أوردها ابن عساکر من حدیث

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۸۳

عثمان بن عفان أیضا؛ و أفاد سبط ابن الجوزیّ فی «مرآة الزمان»: أنّ الأنصاریّ الذی قال: فهلّا أو مأت الینا، هو عبّاد بن بشر، ثم قال: و قیل: إنّ الذی قال هو عمر.

و قال ابن یونس: شهد فتح مصر و اختطّ بها، و کان صاحب المیمنة فی الحرب مع عمرو بن العاص فی فتح مصر، و له مواقف محمودة فی الفتوح، و أمّره عثمان علی مصر، و لمّا وقعت الفتنة سکن عسقلان و لم یبایع لأحد، و مات بها سنة ست و ثلاثین، و قیل: کان قد سار من مصر الی عثمان و استخلف السائب بن هشام بن عمرو فبلغه قتله، فرجع فتغلّب علی مصر محمد بن أبی حذیفة فمنعه من دخولها، فمضی الی عسقلان، و قیل الی الرملة، و قیل بل شهد صفّین، و عاش الی سنة سبع و خمسین ذکره ابن مندة.

و قال البغویّ: له عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم حدیث واحد و خرجه، و وقع لنا بعلوّ فی المعرفة لابن مندة. انتهی کلام ابن حجر باختصار، و تأتی بقیة ترجمة ابن أبی سرح هذا فی حوادث سنیه.

*** السنة الأولی من ولایة عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح علی مصر و هی سنة خمس و عشرین من الهجرة- فیها فی قول سیف عزل عثمان سعدا عن الکوفة؛ و فیها سار الجیش من الکوفة و علیهم سلیمان بن ربیعة الی برذعة، فقتل و سبی؛ و فیها حجّ بالناس عثمان بن عفان رضی اللّه عنه.

أمر النيل فی هذه السنة، الماء القديم ستة أذرع و اثنا عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و خمسة أصابع.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۸۴

*** السنة الثانية من ولاية عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح علی مصر و هی سنة ست و عشرين من الهجرة- فيها فتحت سابور و كان أمير الجيش عثمان بن أبی العاص الثقفیّ، صالحهم علی ثلاثة آلاف ألف و ثلثمائة ألف؛ و فيها زاد عثمان ابن عفان رضی اللّه عنه فی المسجد الحرام و وسّعه و اشتری الزيادة من قوم و أبی آخرون، فهدم عليهم و وضع الأثمان فی بيت المال، فصاحوا بعثمان، فأمر بهم الی الحبس و قال: ما جرأكم علیّ إلا حلمی، و قد فعل هذا عمر فلم تصيحوا عليه؛ و فيها حجّ عثمان بن عفان بالناس.

أمر النيل فی هذه السنة، الماء القديم خمسة أذرع و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و أربعة إصابع، و قيل خمسة عشر إصبعا.

*** السنة الثالثة من ولاية ابن أبی سرح علی مصر و هی سنة سبع و عشرين- فيها توفی عبد اللّه بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول، و كنيته أبو يحيی، و قيل: أبو الحارث، صحابیّ شهد بدرا؛ و فيها فتحت الأندلس، و كان أمير الجيش عبد اللّه بن الحصين و عبد اللّه بن عبد القيس، أتياها من قبل البحر، كتب اليهما عثمان رضی اللّه عنه يقول: إن القسطنطينيّة إنما تفتح من قبل البحر، و أنتم اذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح قسطنطينية فی الأجر آخر الزمان و السلام. قال ابن جرير: قال بعضهم و فی هذه السنة غزا معاوية قبرس. و قال الواقدیّ: كان ذلک فی سنة ثمان و عشرين. و قال أبو معشر: غزاها معلوية

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۸۵

سنة ثلاث و ثلاثين و اللّه أعلم. و قال الواقدیّ: فی هذه السنة فتحت اصطخر ثانيا علی يدی عثمان بن أبی العاص. و قال الذهبیّ: فيها غزا معاوية قبرس و كان معه عبادة بن الصامت و زوجة عبادة أم حرام بنت ملحان الأنصارية فاستشهدت، كان النّبیّ صلی اللّه عليه و سلم يغشاها و يقيل عندها و بشّرها بالشهادة؛ و فيها صالح عثمان بن أبی العاص أهل أرّجان علی ألفی ألف و مائتی ألف، و صالح أهل دارابجرد علی ألف ألف و ثمانين ألفا؛ و فيها غزا أمير مصر ابن أبی سرح صاحب الترجمة إفريقية حسبما تقدّم، و كان معه عبد اللّه بن عمر بن الخطاب و عبد اللّه بن عمرو ابن العاص و عبد اللّه بن الزبير بن العوّام، و كان المسلمون فی عشرين ألفا، و كان العدوّ (يعنی جرجير) فی مائتی ألف مقاتل، و فتح اللّه و غنم المسلمون شيئا كثيرا؛ و فيها حجّ بالناس عثمان رضی اللّه عنه.

أمر النيل فی هذه السنة، الماء القديم أربعة أذرع و ثلاثة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و خمسة عشر إصبعا.

*** السنة الرابعة من ولاية ابن أبی سرح علی مصر و هی سنة ثمان و عشرين- فيها فتحت قبرس علی يد معاوية، قاله الذهبیّ فی قول، و كان عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه منع المسلمين من الغزو فی البحر شفقة عليهم، فلما ولی عثمان استأذنه معاوية فأذن له ففتح اللّه علی يده؛ و فيها غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم، قاله الواقدیّ، و فيها غزا الوليد بن عقبة أذربيجان. فصالحهم مثل صلح حذيفة؛ و فيها حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضی اللّه عنه.

أمر النيل فی هذه السنة، الماء القديم ثلاثة عشر ذراعا و ثمانية عشر إصبعا، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۸۶

*** السنة الخامسة من ولاية ابن أبی سرح علی مصر و هی سنة تسع و عشرين- فيها افتتح عبد اللّه بن عامر اصطخر، فی قول، عنوة فقتل و سبی، و كان علی مقدّمته عبد اللّه بن معمر بن عثمان التّيمیّ و كلاهما صحابیّ؛ و فيها عزل عثمان أبا موسی الأشعریّ عن البصرة بعد عمالة ست سنين، و قيل ثلاث، و ولّی عليها عبد اللّه بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، و هو ابن خال عثمان؛ و جمع له بين جند أبی موسی و جند عثمان بن أبی العاص، و له من العمر خمس و عشرون سنة فأقام بها ست سنين؛ و فيها وسّع عثمان بن عفّان مسجد النّبیّ صلی اللّه عليه و سلم و بناه بالقصّة (و هی الكلس) كان يؤتی به من نخلة، و الحجارة المنقوشة و جعل عمده حجارة مرصّعة و سقفه بالساج، و جعل طوله ستين و مائة ذراع و عرضه خمسين و مائة ذراع، و جعل أبوابه ستة علی ما

كانت عليه فى زمن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه؛ و فيها حجّ بالناس عثمان بن عفان رضى اللّه عنه و ضرب له بمنى فسطاط، فكان أوّل فسطاط ضربه عثمان بمنى، و أتمّ الصلاة عامه هذا، فأنكر ذلك عليه غير واحد من الصحابة كعلىّ و عبد الرحمن بن عوف و عبد اللّه بن مسعود؛ و فيها نقضت أذربيجان فغزاهم سعيد بن العاص حتى افتتحها ثانيا؛ و فيها فتحت أصبهان؛ و فيها عزل عثمان الوليد بن عقبة بن أبى معيط عن الكوفة و ولّاها سعيد بن العاص.

أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم خمسة أذرع و ستة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و ثمانية عشر إصبعا.

*** السنة السادسة من ولاية ابن أبى سرح على مصر و هى سنة ثلاثين بعد الهجرة- فيها افتتح عبد اللّه بن عامر مدينة هور من أرض فارس و غنم منها شيئا كثيرا،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۸۷

ثم افتتح عبد اللّه المذكور أيضا بلادا كثيرة من أرض خراسان، ثم افتتح نيسابور صلحا، و يقال عنوة، ثم صالح أهل سرخس على مائة و خمسين ألفا، و صالح اهل مرو على ألفى ألف و مائتى ألف، و لما فتح عبد اللّه بن عامر هذه البلاد الواسعة كثر الخراج على عثمان و أتاه المال من كل وجه حتى اتخذ الخزائن و زاد الأرزاق؛ و فيها نقض أهل خراسان و تجمّعوا، فنهض لقتالهم الأحنف بن قيس و قاتلهم حتى هزمهم، و كانت وقعة مشهورة؛ و فيها توفّى الطّفيل بن الحارث بن عبد المطلب المطلبىّ، و هو أخو عبيدة بن الحارث و الحصين بن الحارث، و كان ممن شهد بدرا مع النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم؛ و فيها توفّى أبىّ بن كعب فى قول الواقدىّ، و قد تقدّم، و هذا أثبت الأقوال فى موته؛ و فيها توفّى حاطب بن أبى بلتعة اللخمىّ حليف بنى أسد بن عبد العزى، و هو صحابىّ شهد بدرا رضى اللّه عنه؛ و فيها توفى عبد اللّه بن كعب بن عمرو المازنى الأنصارىّ البدرىّ أيضا، كنيته أبو الحارث و قيل أبو يحيى، شهد بدرا و كان على الخمس يوم بدر رضى اللّه عنه؛ و فيها توفى عياض بن زهير بن أبى شدّاد بن ربيعة بن هلال أبو سعد القرشىّ، كان أيضا ممن شهد بدرا و المشاهد بعدها، هكذا قال ابن سعد و فرق بينه و بين ابن أخيه عياض ابن غنم بن زهير الفهرىّ أمير الشام المتوفى سنة عشرين؛ و فيها توفّى معمر بن أبى سرح، و اسمه ربيعة بن هلال القرشىّ الفهرىّ أبو سعيد، و قيل اسمه عمرو، و هو أيضا ممن شهد بدرا؛ و فيها توفى مسعود بن ربيعة، و قيل ابن الربيع أبو عمير القارىّ، و القارة حلفاء بنى زهرة، و هو أيضا ممن شهد بدرا و غيرها رضى اللّه عنه.

أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم أربعة أذرع و ستة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا و إحدى و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۸۸

*** السنة السابعة من ولاية ابن أبى سرح على مصر و هى سنة إحدى و ثلاثين من الهجرة- فيها توفّى أبو سفيان صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف الأموىّ القرشىّ، أسلم أبو سفيان يوم الفتح و شهد حنينا و أعطاه النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم من الغنائم مائة من الإبل و أربعين أوقية، و قد فقئت عينه يوم الطائف، ثم شهد غزوة اليرموك، و فيها توفّى أبو الدرداء، و اسمه عويمر بن يزيد، و قيل عبد اللّه بن قيس بن ثعلبة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدىّ بن كعب بن الخزرج الأنصارىّ الصحابىّ المشهور رضى اللّه عنه؛ و فيها توفّى نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعىّ، كنيته أبو سلمة له صحبة و رواية رضى اللّه عنه؛ و فيها توفّى كسرى ملك فارس و هو يزدجرد بن شهريار، و سبب هلاكه أنه هرب من كرمان الى مرو فلم يتم له ذلك، فخرج أيضا هاربا إلى أن نزل برجل ينقر الأرحاء فأوى اليه، فقتله الرجل و أخذ ما عليه من الجواهر.

أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم ذراعان و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و اثنا عشر إصبعا.

*** السنة الثامنة من ولاية ابن أبى سرح على مصر و هى سنة اثنتين و ثلاثين- فيها سار عبد اللّه بن عامر من البصرة الى المشرق فافتتح بها بلادا كثيرة: الطالقان و جرجان و بلخ و طخارستان، و كان على مقدّمته الأحنف بن قيس، و قيل بل جهّز عبد اللّه بن عامر الأحنف و أقام هو بالبصرة يمدّه بالمال و الرجال؛ و فيها غزا عبد الرحمن بن ربيعة بلنجر، و كان صاحبها نازلا قريبا من باب الأبواب و

بعث يطلب من سعيد بن العاص المدد فأمدّه بحبيب بن مسلمة الفهرىّ فأبطأ حبيب على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۸۹

عبد الرحمن فسار عبد الرحمن نحو بلنجر المذكورة و حصرها؛ و فيها توفى أبو ذرّ الغفارىّ، و اسمه جندب بن جنادة بن كعيب بن صعير بن الوقعة بن حرام بن سفيان بن عبيد ابن حرام، كان من أحد السابقين الأوّلين و كان خامسا فى الإسلام رضى اللّه عنه:

و فيها توفى العباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو الفضل، عمّ النبى صلى اللّه عليه و سلم، و ولد قبل النبى صلى اللّه عليه و سلم بسنتين أو بثلاث، أسلم بعد وقعة بدر رضى اللّه عنه، و قد استسقى به عمر بن الخطاب فى أيام خلافته فى بعض السنين؛ و فيها توفى عبد اللّه بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فأر بن مخزوم بن صاهلة ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر، أبو عبد الرحمن الهذلىّ حليف بنى زهرة، أسلم قبل عمر، و كان سبب إسلامه مرور النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم به و قصته مشهورة، و هو أحد كبار الصحابة رضى اللّه عنه، و هو من السابقين الأوّلين و شهد بدرا و المشاهد كلها؛ و فيها توفى عبد الرحمن بن عوف ابن الحارث بن زهرة بن كلاب، أبو محمد القرشىّ الزّهرىّ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، و أحد الثمانية الذين سبقوا للإسلام، و أحد الستة أصحاب الشّورى بعد موت عمر لأجل الخلافة؛ و فيها توفى أبو الدرداء عويمر و قد تقدّم ذكره، و الصحيح أنه توفى فى هذه السنة؛ و فيها توفى الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس، عمّ عثمان ابن عفان رضى اللّه عنه، و أبو مروان بن الحكم، نفاه النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم الى الطائف فدام به الى أن استقدمه عثمان فى خلافته، و سمى الحكم هذا طريد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و لعينه؛ و فيها توفى سلمان الفارسىّ، و كنيته أبو عبد اللّه، و يقال له سليمان الخير، أصله من اصطخر، و قيل من أهل أصبهان، من قرية يقال لها جىّ، و هو من الطبقة الثانية من الصحابة رضوان اللّه عليهم أجمعين، كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۰

من المهاجرين، شهد بدرا و أحدا؛ و فيها توفى سنان بن أبى سنان بن محصن الأسدىّ من الطبقة الأولى من الصحابة، كان من المهاجرين، شهد بدرا و أحدا و المشاهد كلّها مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم؛ و فيها توفى عبد اللّه بن حذافة بن قيس بن عدىّ ابن سعد بن سهم، كنيته أبو حذافة، كان ممّن هاجر الهجرتين و شهد بدرا و أحدا و الخندق و المشاهد كلّها، و هو رسول النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم الى كسرى؛ و فيها توفّى كعب الأحبار بن نافع الحميرىّ من مسلمى أهل الكتاب، كنيته أبو اسحاق، أسلم على يد أبى بكر الصدّيق، و قيل على يد عمر رضى اللّه عنهما، و هو من الطبقة الأولى من التابعين؛ و فيها توفى أبو مسلم الجبلىّ (بالجيم) و هو من جبل صيدا بساحل دمشق، أدرك رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أسلم على يد أبى بكر الصدّيق رضى اللّه عنه، و قيل بعد ذلك، و هو من الطبقة الأولى من التابعين؛ و فيها توفى معيقيب بن أبى فاطمة الدّوسىّ الأزدىّ، حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف، أسلم بمكة قديما و هاجر الى الحبشة و شهد خيبر رضى اللّه عنه.

أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم خمسة أذرع و ثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و تسعة أصابع.

*** السنة التاسعة من ولاية ابن أبى سرح على مصر و هى سنة ثلاث و ثلاثين- فيها نفى عثمان رضى اللّه عنه جماعة من أهل الكوفة الى الشام كانوا يعيبون عليه و يطعنون فيه و يسبّون سعيد بن العاص و الى الكوفة، فكتب سعيد الى عثمان بذلك، فكتب اليه عثمان يسيّرهم الى الشام، فسيّرهم و فيهم عروة بن الجعد البارقى و مالك بن الحارث الأشتر النّخعىّ و جندب بن زهير و عمرو بن الحمق و ابن أبى زياد و غيرهم؛ و فيها غزا معاوية بن أبى سفيان بلاد الروم و وصل الى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۱

حصن المرأة من أعمال ملطيّة و افتتحه؛ و فيها غزا عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح إفريقيّة و كانوا نقضوا كما تقدّم فى ترجمته؛ و فيها بعث عبد اللّه بن عامر الأحنف ابن قيس الى خراسان و كانوا أيضا قد نقضوا العهد فقاتلهم و ظفر بهم و لحقه عبد اللّه ابن عامر فهدم مدينتها؛ و فيها توفى المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة الكندىّ، و كنيته أبو معبد، و يقال له ابن الأسود لأنه كان حالف

الأسود بن عبد يغوث فى الجاهلية فتبناه، و إنما قيل له الكندى لأن أباه كان حالف كندة، و هو فى الصحابة من الطبقة الأولى، كان من المهاجرين الأوّلين، شهد بدرا و أحدا و المشاهد كلّها، و كان يقال له فارس الإسلام رضى اللّه عنه.

أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم ذراعان و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و اثنا عشر إصبعا.

*** السنة العاشرة من ولاية ابن أبى سرح على مصر و هى سنة أربع و ثلاثين- فيها غزا أمير مصر صاحب الترجمة غزوة ذات الصّوارى و انتصر على الروم حسبما تقدم ذكره؛ و فيها سارت ركائب المنحرفين عن عثمان و كان جمهورهم من أهل الكوفة؛ و فيها توفى إياس بن أبى البكير الكنانى حليف بنى عدىّ، كان من المهاجرين، شهد بدرا هو و إخوته: خالد و عاقل و عامر، و لم يشهد بدرا إخوة أربعة سواهم، و قد شهد إياس هذا فتح مصر رضى اللّه عنه؛ و فيها توفى عبادة ابن الصامت فى قول، و قد تقدّم ذكره و هو أحد النّقباء ليلة العقبة و من كبار الصحابة؛ و فيها توفى مسطح بن أثاثة بن عبد المطلب بن عبد مناف المطّلبىّ المذكور فى حديث الإفك، شهد بدرا و المشاهد بعدها، و كان فقيرا ينفق عليه أبو بكر الصدّيق رضى اللّه عنه؛ و فيها توفى أبو عبس بن جبر بن عمرو الأنصارىّ الأوسى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۹۲

و اسمه على الأصحّ عبد الرحمن، و كان اسمه فى الجاهلية عبد العزّى فغيّره رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و هو من الذين قتلوا كعب بن الأشرف اليهودىّ و شهد بدرا و غيرها؛ و فيها توفى أبو طلحة الأنصارىّ، و اسمه زيد بن سهل بن الأسود، أحد بنى مالك بن النجار، كان من النّقباء ليلة العقبة، شهد بدرا و المشاهد بعدها.

أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم ستة أذرع و تسعة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و ستة أصابع.

*** السنة الحادية عشرة من ولاية عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح على مصر و هى سنة خمس و ثلاثين- فيها عزل عبد اللّه بن أبى سرح عن مصر فى قول؛ و فيها كانت غزوة ذى خشب و أمير المسلمين فيها معاوية بن أبى سفيان؛ و فيها كان خروج أمير مصر عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح من مصر متوجّها الى عثمان، و استخلف على مصر عقبة بن عامر الجهنىّ، و قيل السائب بن هشام العامرىّ، و جعل على خراجها سليم بن عتر التّجيبىّ، و كان ذلك فى رجب من سنة خمس و ثلاثين و سار الى عثمان فاستمرّ أمر مصر مستقيما الى شوّال من السنة؛ و فيها خرج محمد ابن [أبى] حذيفة بن عتبة بن ربيعة على عقبة بن عامر خليفة عبد اللّه بن أبى سرح على مصر، و ملك مصر على ما سيأتى ذكره؛ و فيها كانت مقتلة عثمان بن عفان رضى اللّه عنه فى ذى الحجة منها و قصته مشهورة، و قد استوعب ذلك جماعة من المؤرخين فى عدّة كراريس لا سبيل الى تلخيصها فى هذا المحل، غير أننا نذكر نسبته و مدّة خلافته لا غير، فنقول:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۹۳

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أميّة بن عبد شمس أمير المؤمنين، أبو عمزو، و قيل أبو عبد اللّه القرشىّ الأموىّ؛ و أمه أروى، هو أحد السابقين الأوّلين و ذو النورين و صاحب الهجرتين و زوج الابنتين، مولده قبل عام الفيل بستة أعوام، و قيل بعده بستة أعوام، و خلّفه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى غزوة بدر لمرض زوجته رقيّة بنت النبى صلى اللّه عليه و سلم فتوفّيت بعد بدر بليال، و ضرب له النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم بسهم من بدر و آجره، ثم زوّجه بالبنت الأخرى أمّ كلثوم.

قال الذهبىّ: روى عطيّة عن أبى سعيد قال: رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم رافعا يديه يدعو لعثمان، و عن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان الى النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم بألف دينار فى ثوبه حين جهّز جيش العسرة، فصبّها فى حجر النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم فجعل يقلّبها بيده و يقول: «ما ضرّ عثمان بعد اليوم ما عمل» رواه أحمد فى مسنده، و فضائله كثيرة يضيق هذا المحل عن ذكر شىء منها.

قلت: بويع عثمان بالخلافة لما مات عمر فى ذى الحجة سنة أربع و عشرين من الهجرة، فدام فى الخلافة حتى قتل فى هذه السنة رضى

اللّه عنه، و تولّى الخلافة من بعده علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه؛ و فيها توفى كعب الأحبار، و كان أسلم فى خلافة أبى بكر الصدّيق، و كان من أوعية العلم؛ و فيها توفى عبادة بن الصامت الأنصارىّ الصحابىّ المشهور أحد النقباء مات بالرّملة.

أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم ثلاثة أذرع و أربعة و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و إصبعان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۴

ذكر استيلاء محمد بن [أبى] حذيفة على مصر

هو محمد بن [أبى] حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وثب على مصر و ملكها من غير ولاية من خليفة، فلذلك لم يعدّه المؤرّخون من أمراء مصر، و كان من خبره أنّه جمع جمعا و ركب بهم على عقبة بن عامر الجهنىّ خليفة عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح و قاتله و هزمه و أخرجه من الفسطاط، ثم دعا الناس لخلع عثمان من الخلافة و صار يعدّد أفعاله بكل شىء يقدر عليه، فاعتزله شيعة عثمان و قاتلوه و هم: معاوية بن حديج و خارجة بن حذافة السّهمىّ و بسر بن أبى أرطاة و مسلمة بن مخلّد فى جمع كثير من الناس، و بعثوا الى عثمان بذلك، و بينا أن يأتى الخبر من عثمان قويت شوكة محمد هذا، ثم حضر من عند عثمان سعد بن أبى وقّاص ليصلح أمرهم و يتألف الناس، فخرج اليه جماعة من أعوان محمد بن أبى حذيفة المذكور و كلموه و خاشنوه، ثم قلبوا عليه فسطاطه و شجّوه و نهبوه، فركب من وقته و عاد راجعا و دعا عليهم لما فعلوه به، ثم عاد الى مصر عبد اللّه بن أبى سرح راجعا فمنعه أن يدخل الى مصر و قاتلوه، فكر راجعا الى عسقلان ثم قتل فى هذه الأيام بفلسطين، و قيل بالرّملة حسبما ذكرناه فى آخر ترجمته فى هذا الكتاب، ثم أراد محمد ابن أبى حذيفة أن يبعث جيشا الى عثمان فجهّز اليه ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن ابن عديس البلوىّ، و بينما هم فى ذلك إذ قدم عليهم الخبر بقتل عثمان رضى اللّه عنه فى ذى الحجة من السنة، فلمّا وصل الخبر بذلك ثار شيعة عثمان بمصر و عقدوا لمعاوية ابن حديج و بايعوه على الطلب بدم عثمان و ساروا الى الصعيد، فبعث اليهم محمد ابن أبى حذيفة جماعة كثيرة فتقاتلا فهزمت جيش محمد و افترقا، و توجّه معاوية بأصحابه الى جهة برقة فأقام بها مدّة ثم عاد الى الإسكندرية، فبعث اليه محمد ابن أبى حذيفة بجيش آخر فاقتتلوا بخربتا أوّل شهر رمضان من سنة ست و ثلاثين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۵

فانهزم جيش محمد أيضا، و أقامت شيعة عثمان بخربتا الى أن قدم معاوية بن أبى سفيان من الشأم الى مصر، فخرج اليه محمد بن أبى حذيفة بأصحابه و منعوه من الدخول الى الفسطاط، ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا و يتركا الحرب، فاستخلف محمد ابن أبى حذيفة على مصر الحكم بن الصّلت و خرج فى الرهن هو و ابن عديس و عدّة من قتلة عثمان، فلما وصلوا الى معاوية قبض عليهم و حبسهم و سار الى دمشق فهربوا من السجن، فتتبعهم أمير فلسطين حتى ظفر بهم و قتلهم فى ذى الحجة سنة ست و ثلاثين، فلما بلغ الخبر أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه بمصاب محمد بن جذيفة ولّى على مصر قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى رضى اللّه عنه.

ذكر ولاية قيس بن سعد بن عبادة على مصر

هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصارى الخزرجىّ المدنىّ؛ قال الذهبىّ: كان من النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم بمنزلة، و له عدّة أحاديث، روى عنه عبد الرحمن بن أبى ليلى و عروة بن الزبير و الشعبىّ و ميمون بن أبى شبيب و غريب ابن حميد الهمدانىّ و جماعة، و كان ضخما جسما طويلا جدّا سيدا مطاعا كثير المال جوادا كريما يعدّ من دهاة العرب. قال عمرو بن دينار: كان ضخما جسيما صغير الرأس ليست له لحية، و اذا ركب الحمار خطّت رجلاه الأرض؛ روى عنه أنه قال:

لو لا أنى سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: «المكر و الخديعة فى النار» لكنت من أمكر هذه الأمة. و قال الزهرىّ: أخبرنا ثعلبة بن أبى مالك أنّ قيس ابن سعد كان صاحب لواء رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. و قال جويرية بن أسماء:

كان قيس يستدين و يطعمهم، فقال أبو بكر و عمر: إن تركنا هذا الفتى أهلك مال

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۶

أبيه، فمشيا فى الناس فصلى النّبيّ صلى اللّه عليه و سلم يوما فقام سعد بن عبادة خلفه، فقال: من يعذرنى من ابن أبى قحافة و ابن الخطاب يبخلان علىّ ابنى ا ه.

و قال موسى بن عقبة: وقفت على قيس عجوز فقالت: أشكو اليك قلة الجرذان، فقال: ما أحسن هذه الكناية! املئوا بيتها خبزا و لحما و سمنا و تمرا. و قال أبو تميلة يحيى بن واضح: أخبرنا أبو عثمان من ولد الحارث بن الصِّمّة قال: بعث قيصر الى معاوية: ابعث إلىّ سراويل أطول رجل من العرب، فقال لقيس بن سعد: ما أظنّ إلا قد احتجنا الى سراويلك، فقام و تنحى و جاء بها فألقاها، فقال:

ألا ذهبت الى منزلك ثم بعثت بها! فقال:

أردت بها أن يعلم الناس أنها سراويل قيس و الوفود شهود

و ألا يقولوا غاب قيس و هذه سراويل عادىّ نمته ثمود

و انى من الحىّ اليمانى لسيّد و ما الناس إلا سيّد و مسود

فكدهم بمثلى إن مثلى عليهم شديد و خلقى فى الرجال مديد

فأمر معاوية أطول رجل فى الجيش فوضعها على أنفه، قال: فوقفت بالأرض ا ه.

و لما ولاه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب على مصر لما ولى الخلافة بعد قتل عثمان و بعثه الى مصر فوصل اليها فى مستهل شهر ربيع الأوّل سنة سبع و ثلاثين فدخلها قيس و مهد أمورها و استمال الخارجية بخربتا من شيعة عثمان و ردّ عليهم أرزاقهم، و قدموا عليه بمصر فأكرمهم و أنعم عليهم، و كان عنده رأى و معرفة و دهاء، فعظم على معاوية بن أبى سفيان و عمرو بن العاص ولايته لمصر فإنه كان من حزب على بن أبى طالب رضى اللّه عنه، و اجتهدا كثيرا ليخرجاه منها فلم يقدرا على ذلك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۷

حتى عمل معاوية على قيس من قبل علىّ بن أبى طالب و أشاع أن قيسا من شيعته و من حزبه، و أنه يبعث اليه بالكتب و النصيحة سرّا، و لا زال يظهر ذلك حتى بلغ عليا، و ساعده فى ذلك محمد بن أبى بكر الصدّيق لحبه مصر أو لإمرتها و عبد اللّه بن جعفر، فما زالا بعلىّ حتى كتب لقيس بن سعد يأمره بالقدوم عليه، و عزله عن مصر، فكانت ولايته على مصر من يوم دخلها الى أن صرف عنها أربعة أشهر و خمسة أيام و كان عزله فى خامس رجب من سنة سبع و ثلاثين، و ولّى عليها الأشتر النخعىّ.

و روينا عن أبى المظفر شمس الدين يوسف بن قزأ و غلى كما أخبرنا أبو الحسن علىّ بن صدقة الشافعىّ أخبرنا القاضى الإمام تاج الدين أحمد الفرغانىّ الحنفىّ أخبرنا حيدرة بن المحيا العباسىّ حدّثنا صالح بن الصباغ أخبرنا أبو المؤيد محمود قال حدّثنا الحافظ شمس الدين يوسف بن قزأوغلى إجازة بكتابه «مرآة الزمان» قال: خرج قيس ابن سعد بن عبادة من عند علىّ حتى دخل مصر فى سبعة نفر و صعد المنبر و قعد عليه و قرأ كتاب علىّ على الناس، و فيه: «من عبد اللّه علىّ بن أبى طالب أمير المؤمنين الى من بلغه كتابى هذا من المسلمين و المؤمنين سلام عليكم، أما بعد، فإنى أحمد اليكم اللّه الذى لا إله إلا هو، و أصلى على رسوله صلى اللّه عليه و سلم، و ذكر الأنبياء و أنّ اللّه توفى رسوله و استخلف بعده خليفتين صالحين عملا بالكتاب و السنة و أحسنا السيرة ثم توفاهما اللّه تعالى على ما كانا عليه، ثم ولى بعدهما وال أحدث أحداثا فوجدت عليه الأمة مقالا [فقالوا ثم] نقموا عليه و غيّروه، ثم جاءونى و بايعونى، و للّه علىّ العمل بكتابه و سنة رسوله و النصح للرعية ما بقيت و اللّه المستعان، و بعثت اليكم بقيس بن سعد بن عبادة أميرا، فوازروه و عاشروه و أعينوه على الحق، و قد أمرته بالإحسان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۸

الى محسنكم و الشدّة على مريبكم و الرفق بعوامّكم و خواصّكم، و هو ممّن أرضى هديه و أرجو صلاحه و نصيحته، و أسأل اللّه لنا و

لكم عملا صالحا و ثوابا جزيلا و رحمة واسعة و السلام عليكم. و كتبه عبد اللّه بن أبى طالب فى رابع صفر سنة ست و ثلاثين» ثم قال قيس: أيها الناس قد جاء الحق و زهق الباطل، و بايعنا خير من نعلم بعد نبينا صلى اللّه عليه و سلم فقوموا فبايعوا على كتاب اللّه و سنة رسوله صلى اللّه عليه و سلم فإن نحن لم نعمل بذلك فلا بيعة لنا عليكم، فقام الناس و بايعوا و استقامت مصر، و بعث عليها عمّاله إلا قرية من قرى مصر يقال لها: «خربتا» فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان، و بها رجل من كنانة من بنى مدلج يقال له: يزيد بن الحارث بن مدلج، فأرسلوه الى قيس بن سعد: إنا لا نقاتلك فابعث عمّالك فالأرض أرضك، و لكن أقرّنا على حالنا حتى ننظر ما يصير اليه أمر الناس. و وثب مسلمة بن مخلّد الأنصارىّ فنعى عثمان و دعا الى الطلب بدمه، فأرسل اليه قيس بن سعد: ويحك! علىّ تثب! فو اللّه ما أحبّ أن لى ملك مصر الى الشأم و أنى قتلتك فبعث اليه مسلمة يقول:

إنى كافّ عنك ما دمت و الى مصر، و كان قيس بن سعد له رأى و حزم، فبعث الى الذين بخربتا: إنى لا أكرهكم على البيعة و أكفّ عنكم، فهادنهم و هادن مسلمة ابن مخلّد و أقام قيس يجبى الخراج و لا ينازعه أحد من الناس، و خرج أمير المؤمنين الى وقعة الجمل و رجع الى الكوفة و قيس مكانه، فكان قيس أثقل خلق اللّه على معاوية بن أبى سفيان لفربه من الشأم مخافة أن يقفل عليه علىّ بن أبى طالب من العراق و يقبل اليه قيس بأهل مصر فيقع معاوية بينهما فأخذ يخدعه.

فكتب معاوية الى قيس:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۹

«من معاوية بن أبى سفيان الى قيس بن سعد بن عبادة: سلام عليك، أما بعد، فإنكم إن كنتم نقمتم على عثمان فى أمور رأيتموها أو ضربة سوط ضربها أو شتمة شتمها أو فى سير سيّره أو فى استعماله الفىء فقد علمتم أنّ دمه لم يكن حلالا لكم، فقد ركبتم عظيما من الأمر و جئتم شيئا إدّا، فتب الى اللّه يا قيس بن سعد، فإنك ممن أعان على قتل عثمان، إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغنى شيئا؛ و أما صاحبك فقد تيقنا أنه الذى أغرى به و حملهم على قتله حتى قتلوه، و أنه لم يسلم من دمه عظم قومك، فإن استطعت أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل، فإن بايعتنا على هذا الأمر فلك سلطان العراقين، و لمن شئت من أهلك سلطان الحجاز ما دام لى سلطان، و سلنى غير هذا مما تحب، فإنك لا تسألنى شيئا إلا أوتيته، و اكتب إلىّ برأيك فيما كتبت به إليك و السلام».

فلما جاءه كتاب معاوية أحبّ قيس أن يدافعه و لا يبدى له أمره و لا يتعجل حربه؛ فكتب اليه:

«أما بعد، فقد بلغنى كتابك و فهمت ما ذكرت فيه، فأما ما ذكرت من أمر عثمان فذلك أمر لم أقار به و لم أتنطف به؛ و أما قولك: إن صاحبى أغرى الناس بعثمان فهذا أمر لم أطلع عليه، و ذكرت أن معظم عشيرتى لم يسلموا من دم عثمان، فأوّل الناس فيه قياما عشيرتى و لهم أسوة غيرهم؛ و أما ما ذكرت من مبايعتى إياك و ما عرضت علىّ فلى فيه نظر و فكرة و ليس هذا مما يسارع اليه، و أنا كافّ عنك و لن يبدو لك من قبلى شىء مما تكره و السلام».

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۰

فلما قرأ كتابه معاوية لم يره إلا مباعدا مفارقا فلم يأمن مكره و مكيدته، فكتب اليه ثانيا:

«أما بعد، فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدّك سلما، و لم أرك مباعدا فأعدّك حربا، و ليس مثلى من يخدع و بيده أعنة الخيل و معه أعداد الرجال و السلام».

فلما قرأ قيس كتابه و رأى أنه لا يقبل منه المدافعة و المماطلة أظهر له ما فى نفسه، و كتب اليه:

«أما بعد، فالعجب من اغترارك بى يا معاوية و طمعك فىّ تسومنى الخروج عن طاعة أولى الناس بالإمرة، و أقربهم بالخلافة، و أقولهم بالحق، و أهداهم سبيلا، و أقربهم الى رسوله وسيلة، و أوفرهم فضيلة، و تأمرنى بالدخول فى طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر، و أقولهم بالزور و أضلهم سبيلا و أبعدهم من اللّه و رسوله [وسيلة] ولد ضالين مضلين طاغوت من طواغيت إبليس، و أما قولك: معك أعنة الخيل و أعداد الرجال لتشتغلنّ بنفسك حتى العدم.

و قال هشام: و لما رأى معاوية أن قيس بن سعد لا يلين له كاده من قبل عليّ؛ و كذا روى عبد اللّه بن أحمد بن حنبل باسناده ا ه.

و قال هشام بن محمد: عن أبى مخنف وجه آخر فى حديث قيس بن سعد و معاوية، قال: لما أيس معاوية من قيس بن سعد شقّ عليه لما يعرف من حزمه و بأسه، فأظهر للناس أن قيسا قد بايعه، و اختلق معاوية كتابا فقرأه على أهل الشأم و فيه:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۱

أمّا بعد، لمّا نظرت أنه لا يسعنى مظاهرة قوم قتلوا إمامهم محرما مسلما برّا تقيا مستغفرا و إنى معكم على قتله بما أحببتم من الأموال و الرجال متى شئتم عجلت اليكم.

قال: فشاع فى أهل الشأم أن قيسا قد بايع معاوية و بلغ عليا ذلك فأكبره و أعظمه، فقال له عبد اللّه بن جعفر: دع ما يريبك الى ما لا يريبك، اعزل قيسا عن مصر، فقال عليّ: و اللّه ما أصدّق هذا على قيس، ثم عزله و ولّى الأشتر، و قيل محمد بن أبى بكر الصدّيق فى قول ابن سيرين، فلما عزله عرف قيس أن عليّا قد خدع و توجه اليه و صار معه؛ قال عروة: و كان قيس بن سعد مع عليّ فى مقدّمته و معه خمسة آلاف قد حلقوا رءوسهم بعد موت عليّ، فلما دخل الجيش فى بيعة معاوية أبى قيس أن يدخل، و قال لأصحابه: ما شئتم، إن شئتم جالدت بكم أبدا حتى يموت الأعجل، و إن شئتم أخذت لكم أمانا، قالوا: خذ لنا ففعل؛ فلما ارتحل نحو المدينة جعل ينحر كلّ يوم جزورا. قال الواقدىّ و غيره: إنه توفى فى آخر خلافة معاوية رضى اللّه عنهم أجمعين.

السنة التى حكم فى بعضها قيس بن سعد بن عبادة على مصر و هى سنة ست و ثلاثين- فيها كانت وقعة الجمل بين عليّ رضى اللّه عنه و بين عائشة أمّ المؤمنين رضى اللّه عنها و معها طلحة بن عبيد اللّه و الزبير بن العوّام و غيرهما، و كانت فيها مقتلة عظيمة قتل فيها عدّة من الصحابة و غيرهم؛ قال البلاذرىّ: التقوا بمكان يقال له «الخريبة» فى جمادى الأولى سنة ست و ثلاثين ا ه.

قلت: و ممن قتل فى هذه الوقعة طلحة بن عبيد اللّه بن عثمان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرّة التيمىّ، أحد السابقين الأوّلين، و أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، و أحد الستة أهل الشورى بعد موت عمر بن الخطاب قتله مروان بن الحكم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۲

فى منصرفه من وقعة الجمل بساعة، و كان مروان مع عائشة أيضا غير أنه لما رأى انصرافه رمى عليه بسهم قتله، و قال لأبان بن عثمان بن عفان: قد كفيتك بعض قتلى أبيك- يعنى أنه كان مواريا على عثمان فى أوّل الأمر- و فيها قتل الزبير بن العوّام ابن خالد بن أسد بن عبد العزّى بن قصىّ بن كلاب أبو عبد اللّه القرشىّ الأسدىّ المكّى حوارىّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و ابن عمته صفية، و أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، و أحد الستة أهل الشورى، شهد بدرا و أحدا و المشاهد كلها، أسلم و هو ابن ست عشرة سنة و هو من السابقين، قتله عمير بن جرموز بعد انصرافه من وقعة الجمل بساعة؛ و فيها توفّى حذيفة بن اليمان و اسم اليمان حسيل (و يقال حسيل بالتصغير) بن جابر بن أسيد، و قيل ابن عمرو، أبو عبد اللّه العبسى حليف الأنصار، صاحب سرّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم؛ و فيها توفى سلمان الفارسىّ رضى اللّه عنه فى قول و قد تقدّم ذكره.

أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم سبعة أذرع و ثمانية عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و إصبعان.

ذكر ولاية الأشتر النّخعىّ على مصر

و فى ولاية الأشتر هذا على مصر قبل محمد بن أبى بكر الصدّيق اختلاف كثير، حكى جماعة كثيرة من المؤرّخين و ذكروا ما يدل على أنّ ولاية محمد بن أبى بكر كانت هى السابقة بعد عزل قيس بن سعد بن عبادة، و جماعة قدّموا ولاية الأشتر هذا، و لكل منهما استدلال قوىّ، و الذين قدّموا الأشتر هم الأكثر، و قد رأيت فى عدّة كتب ولاية الأشتر هى المقدّمة فقدّمته لذلك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۳

و الأشتر اسمه مالك بن الحارث، قال أبو المظفّر فى مرآة الزمان: قال علماء السيرة كابن إسحاق و هشام و الواقدىّ قالوا: لما اختلّ أمر

مصر على محمد بن أبى بكر الصدّيق و بلغ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب قال: ما لمصر إلا أحد الرجلين، صاحبنا الذى عزلناه عنها- يعنى قيس بن سعد بن عبادة- أو مالك ابن الحارث- يعنى الأشتر هذا.

قلت: و هذا مما يدل على أنّ ولاية محمد بن أبى بكر الصدّيق كانت هى السابقة، اللهم إلا إن كان لما اختل أمر مصر على محمد عزله علىّ رضى اللّه عنه بالأشتر، ثم استمرّ محمد ثانيا بعد موت الأشتر على عمله حتى وقع من أمره ما سنذكره، و هذا هو أقرب للجمع بين الأقوال لأن الأشتر توفّى قبل دخوله الى مصر و اللّه أعلم؛ و كان علىّ رضى اللّه عنه حين انصرف من صفّين ردّ الأشتر الى عمله على الجزيرة و كان عاملا عليها، فكتب إليه و هو يومئذ بنصيبين: سلام عليك يا مالك، فإنك ممن استظهرتك على إقامة الدين؛ و كنت قد ولّيت محمد بن أبى بكر مصر فخرجت عليه خوارج، و هو غلام حدث السنّ غرّ ليس بذى تجربة للحرب و لا مجرّب للأشياء، فاقدم علىّ لننظر فى ذلك كما ينبغى و استخلف على عملك أهل الثقة و النّصفة من أصحابك و السلام. فأقبل مالك- أعنى الأشتر- على علىّ رضى اللّه عنه فأخبره بحديث محمد و ما جرى عليه، و قال: ليس لها غيرك، فاخرج رحمك اللّه فإنى إن لم أوصك اكتفيت برأيك فاستعن بالله على ما أهمّك، و اخلط الشدّة باللين و ارفق ما كان الرفق أبلغ. فخرج الأشتر من عند علىّ و أتى رحله و تهيّأ للخروج الى مصر، و كتب عيون معاوية إليه بولاية الأشتر على مصر فشقّ عليه و عظم ذلك لديه، و كان قد طمع فى مصر و علم أن الأشتر متى قدمها كان أشدّ عليه، فكتب معاوية الى الخانسيار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۴

(رجل من أهل الخراج، و قيل كان دهقان القلزم) يقول: إن الأشتر واصل الى مصر قد وليها، فإن أنت كفيتنى إيّاه لم آخذ منك خراجا ما بقيت، فأقبل لهلاكه بكل ما تقدر عليه؛ فخرج الخانسيار حتى قدم القلزم فأقام به، و خرج الأشتر من العراق يريد مصر حتى قدم الى القلزم فاستقبله الخانسيار فقال له: انزل فإنى رجل من أهل الخراج و قد أحضرت ما عندى، فنزل الأشتر فأتاه بطعام و علف و سقاه شربة من عسل جعل فيها سما، فلما شربه مات، و بعث الخانسيار [من] أخبر بموته معاوية، فلما بلغ معاوية و عمرو بن العاص موت الأشتر قال عمرو بن العاص:

إن للّه جنودا من عسل.

و قال ابن الكلبىّ عن أبيه: لما سار الأشتر الى مصر أخذ فى طريق الحجاز فقدم المدينة، فجاءه مولى لعثمان بن عفان يقال له نافع، و أظهر له الودّ و قال له:

أنا مولى عمر بن الخطاب، فأدناه الأشتر و قرّبه و وثق به و ولّاه أمره، فلم يزل معه الى عين شمس (أعنى المدينة الخراب خارج مصر بالقرب من المطرية) و فيها ذلك العمود المذكور فى أوّل أحوال مصر من هذا الكتاب، فلما وصل الى عين شمس تلقّاه أهل مصر بالهدايا؟؟؟ و سقاه نافع المذكور العسل فمات منه.

و قال ابن سعد: إنه سمّ بالعرش؛ و قال الصورىّ: صوابه بالقلزم؛ و قال أبو اليقظان: كان الأشتر قد ثقل على أمير المؤمنين علىّ أمره، و كان متجرّيا عليه مع شدّة محبته له.

و حكى عن عبد اللّه بن جعفر قال: كان علىّ قد غضب على الأشتر و قلاه و استثقله، فكلّمنى أن أكلّمه فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ولّه مصر فإن ظفروا به استرحت منه فولّاه، و كانت عائشة رضى اللّه عنها قد دعت عليه فقالت: اللهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۵

ارمه بسهم من سهامك؛ و اختلفوا فى وفاة الأشتر، فقال ابن يونس: مات مسموما سنة سبع و ثلاثين، و قال هشام: سنة ثمان و ثلاثين فى رجب؛ و كان الأشتر شجاعا مقداما، و قصته مع عبد اللّه بن الزبير مشهورة، و قول ابن الزبير بسببه:

اقتلانى و مالكا و اقتلا مالكا معى

حتى صار هذا البيت مثلا.

و شرح ذلك: أن مالك بن الحارث (أعنى الأشتر النّخعىّ) كان من الشجعان الأبطال المشهورين، و كان من أصحاب علىّ و كان معه فى يوم وقعة الجمل، فتماسك فى الوقعة هو و عبد اللّه بن الزبير بن العوام، و كان عبد اللّه أيضا من الشجعان المشهورين، و كان عبد اللّه بن الزبير من حزب أبيه، و خالته عائشة أمّ المؤمنين رضى اللّه عنهم، و كانوا يحاربون عليّا رضى اللّه عنه فلما تماسكا صار كل واحد منهما اذا قوى على الآخر جعله تحته و ركب صدره، و فعلا ذلك مرارا و ابن الزبير يقوّل:

اقتلانى و مالكا و اقتلا مالكا معى

يريد قتل الأشتر بهذا القول و المساعدة عليه حتى افترقا من غير أن يقتل أحدهما الآخر؛ و قال عبد اللّه بن الزبير المذكور: لقيت الأشتر النّخعىّ يوم الجمل فما ضربته ضربة إلّا ضربنى ستا أو سبعا، ثم أخذ رجلى و ألقانى فى الخندق و قال: و اللّه لو لا قرابتك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ما اجتمع منك عضو الى عضو أبدا.

و قال ابن قيس: دخلت مع عبد اللّه بن الزبير الحمام و اذا فى رأسه ضربة لو صبّ فيها قارورة لاستقرّ، فقال: أ تدرى من ضربنى هذه الضربة؟ قلت:

لا، قال: ابن عمّك الأشتر النخعىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۶

و قال أبو بكر بن أبى شيبة: أعطت عائشة رضى اللّه عنها لمن بشّرها بسلامة ابن أختها عبد اللّه بن الزبير لما لاقى الأشتر عشرة آلاف درهم. و قيل: إن الأشتر دخل بعد ذلك على عائشة رضى اللّه عنها، فقالت له: يا أشتر، أنت الذى أردت قتل ابن أختى يوم الوقعة، فأنشد:

أعائش لو لا أنّنى كنت طاويا ثلاثا لألفيت ابن أختك هالكا

غداة ينادى و الرماح تنوشه بآخر صوت اقتلانى و مالكا

فنجّاه منّى أكله و سنانه و خلوة جوف لم يكن متمالكا

ذكر ولاية محمد بن أبى بكر الصدّيق رضى اللّه عنه على مصر

هو محمد بن أبى بكر الصدّيق، و اسم أبى بكر عبد اللّه بن أبى قحافة، و اسم أبى قحافة عثمان؛ أسلم أبو قحافة يوم الفتح فأتى به ابنه أبو بكر الصدّيق الى النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم يقوده لكبر سنّه، فقال النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم: «لم لا تركت الشيخ حتّى نأتيه» إجلالا لأبى بكر رضى اللّه عنه. ا ه.

و أبو قحافة المذكور ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤىّ القرشىّ التيمىّ، و كنية محمد هذا (أعنى صاحب الترجمة) أبو القاسم، و أمه أسماء بنت عميس الخثعميّة، و مولده سنة حجة الوداع بذى الحليفة فى عقب ذى القعدة، فأراد أبو بكر أن يردّ أسماء الى المدينة، فسأل النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم فقال: «مرها أن تغتسل و تهلّ» و كان محمد هذا فى حجر علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه لمّا تزوّج أمّه أسماء بعد وفاة أبى بكر الصدّيق فتولّى تربيته، و لما سار علىّ الى وقعة الجمل كان محمد هذا معه على الرجّالة، ثم شهد معه وقعة صفّين،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۷

ثم ولّاه مصر فتوجّه إليها و دخلها فى النصف من شهر رمضان سنة سبع و ثلاثين، فتلقّاه قيس بن سعد المعزول عن ولاية مصر، و قال له: يا أبا القاسم، إنّك قد جئت من عند أمير لا رأى له، و ليس عزله إيّاى بمانعى أن أنصح لك و له، و أنا من أمركم هذا على بصيرة، و إنّى أدلّك على الذى كنت أكيد به معاوية و عمرا و أهل خربتا فكايدهم به، فإنّك إن كايدتهم بغيره تهلك، و وصف له المكايدة التى يكايدهم بها فاستغشه محمد بن أبى بكر و خالفه فى كلّ شىء أمره به، ثم كتب إليه علىّ يشجّعه و يقوّى عزمه، ففتك

محمد فى المصريين و هدم دور شيعة عثمان بن عفّان و نهب دورهم و أموالهم و هتك ذراريّهم، فنصبوا له الحرب و حاربوه، ثم صالحهم على أن يسيّرهم الى معاوية، فلحقوا بمعاوية فى الشام، و كان أهل الشام لما انصرفوا من وقعة صفّين ينتظرون ما يأتى به الحكمان؛ فلما اختلف الناس بالعراق على علىّ رضى اللّه عنه طمع معاوية فى مصر، و كان أهل خربتا عثمانية و من كان من الشيعة كان أكثر منهم، فكان معاوية يهاب مصر لأجل الشيعة و قصد معاوية أن يستعين بأخذ مصر على حرب علىّ رضى اللّه عنه قال: فاستشار معاوية أصحابه عمرو بن العاص و حبيب بن مسلمة و بسر بن أبى أرطاة و الضحاك بن قيس و عبد الرحمن ابن خالد و أبا الأعور عمرو بن سفيان السّلمىّ و غيرهم (و هؤلاء المذكورين كانوا خواصّه) فجمع المذكورين و قال: هل تدرون ما أدعوكم إليه؟ قالوا: لا يعلم الغيب إلّا اللّه، فقال له عمرو بن العاص: نعم، أهمّك أمر مصر و خراجها الكثير و عدد أهلها فتدعونا لنشير عليك فيها فاعزم و انهض، فى افتتاحها عزّك و عزّ أصحابك و كبت عدوّك، فقال له: يا بن العاص، إنّما أهمّك الذى كان بيننا (يعنى أنّه كان أعطاه مصر لمّا صالحه على قتال علىّ) و قال معاوية للقوم: ما ترون؟ قالوا:

ما نرى إلّا رأى عمرو، قال: فكيف أصنع؟ فقال عمرو: ابعث جيشا كثيفا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۸

عليهم رجل حازم صارم تثق إليه فيأتى الى مصر، فإنه سيأتيه من كان من أهلها على رأينا فنظاهره على من كان بها من أعدائنا، قال معاوية: أو غير ذلك؟ قال:

و ما هو؟ قال: نكاتب من بها من شيعتنا نأمرهم على أمرهم و نمنّيهم قدومنا عليهم فتقوى قلوبهم و نعلم صديقنا من عدوّنا، و إنّك يا بن العاص بورك لك فى العجلة، قال عمرو: فاعمل برأيك فو اللّه ما أرى أمرك إلا صائرا للحرب، قال: فكتب إليهم معاوية كتابا يثنى عليهم و يقول: هنيئا لكم بطلب دم الخليفة المظلوم و جهادكم أهل البغى، و قال فى آخره: فاثبتوا فإنّ الجيش واصل إليكم و السلام. و بعث بالكتاب مع مولى يقال له سبيع فقدم مصر، و أميرها محمد بن أبى بكر الصدّيق، فدفع الكتاب الى مسلمة بن مخلّد الأنصارىّ و الى معاوية بن حديج، فكتبا جوابه:

أما بعد، فعجل علينا بخيلك و رجلك، فإنّ عدوّنا قد أصبحوا لنا هائبين، فإن أتانا المدد من قبلك يفتح اللّه علينا، و ذكرا كلاما طويلا؛ و كان مسلمة و معاوية ابن حديج يقيمان بخربتا فى عشرة آلاف، و قد باينوا محمد بن أبى بكر و لم يحسن محمد تدبيرهم كما كان يفعله معهم قيس بن سعد بن عبادة أيام ولايته على مصر، فلذلك انتقضت على محمد الأمور و زالت دولته؛ و لما وقف معاوية على جوابهما و كان يومئذ بفلسطين جهّز عمرو بن العاص فى ستة آلاف و خرج معه معاوية يودّعه و أوصاه بما يفعل، و قال له: عليك بتقوى اللّه و الرفق فإنه يمن و العجلة من الشيطان، و أن تقبل ممن أقبل و تعفو عمن أدبر، فإن قبل فهذه نعمة، و إن أبى فإن السطوة بعد المعذرة أقطع من الحجة، و ادع الناس الى الصلح و الجماعة؛ فسار عمرو حتى وصل الى مصر و اجتمعت العثمانية عليه، فكتب عمرو الى محمد بن أبى بكر صاحب مصر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۹

أما بعد، فنحّ عنّى بدمك فإنى لا أحب أن يصيبك منى قلامة ظفر، و الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك [و هم مسلموك] فاخرج منها إنى لك من الناصحين؛ و معه كتّاب معاوية يقول: يا محمد، إنّ [غبّ] البغى و الظلم عظيم الوبال، و سفك الدماء الحرام من النّقمة فى الدنيا و الآخرة، و إنا لا نعلم أحدا كان على عثمان أشدّ منك، فسعيت عليه مع الساعين و سفكت دمه مع السافكين، ثم أنت تظن أنى نائم عنك و ناس سيئاتك، و كلام طويل من هذا النمط حتى قال: و لن يسلمك اللّه من القصاص أينما كنت و السلام. فطوى محمد الكتابين و بعث بهما الى علىّ بن أبى طالب و فى ضمنهما يستنجده و يطلب منه المدد و الرجال، فردّ عليه الجواب من عند علىّ بن أبى طالب بالوصية و الشدّة، و لم يمدّه بأحد.

ثم كتب محمد الى معاوية و عمرو كتابا خشّن لهما فيه فى القول، ثم قام محمد فى الناس خطيبا فقال:

أما بعد، فإن القوم الذين ينتهكون الحرمة و يشبّون نار الفتنة قد نصبوا لكم العداوة و ساروا اليكم بجيوشهم، فمن أراد الجنة فليخرج اليهم فليجاهدهم فى اللّه، انتدبوا مع كنانة بن بشر؛ فانتدب مع كنانة نحوا من ألفى رجل، ثم خرج محمد بن أبى بكر فى ألفى رجل، و استقبل عمرو بن العاص كنانة و هو على مقدّمة محمد، و كنانة يسرّح لعمرو الكتائب، فلما رأى عمرو ذلك بعث الى معاوية بن حديج السّكونىّ.

و فى رواية لما رأى عمرو كنانة سرّح اليه الكتائب من أهل الشام كتيبة بعد كتيبة و كنانة يهزمها فاستنجد عمرو بمعاوية بن حديج السّكونى فسار فى أصحابه و أهل الشام فأحاطوا بكنانة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۰

فلما رأى كنانة ذلك ترجّل عن فرسه و ترجل أصحابه، و قرأ وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلًا إلى قوله وَ سَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ فقاتل حتّى قتل بعد أن قتل من أهل الشام مقتلة عظيمة، فلما رأى أصحاب محمد ذلك تفرّقوا عنه فنزل محمد عن فرسه و مشى حتى انتهى الى خربة فأوى إليها، و جاء عمرو بن العاص و دخل الفسطاط؛ و خرج معاوية بن حديج فى طلب محمد بن أبى بكر، فسأل قوما من العلوج و كانوا على الطريق فقال: هل رأيتم رجلا من صفته كذا و كذا؟ فقال واحد منهم: قد دخل تلك الخربة، فدخلوها فاذا برجل جالس، فقال معاوية بن حديج: هو و ربّ الكعبة، فدخلوها و استخرجوه و قد كاد يموت عطشا، فأقبلوا به على الفسطاط و وثب أخوه عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق إلى عمرو بن العاص و كان فى جنده، فقال: أ يقتل أخى صبرا؟ فأرسل عمرو إلى معاوية بن حديج يأمره أن يأتيه بمحمد بن أبى بكر كرامة لأخيه عبد الرحمن ابن أبى بكر، فقال معاوية: أ يقتل كنانة بن بشر و أخلّى أنا محمدا هيهات هيهات! فقال محمد: اسقونى ماء، فقال معاوية بن حديج: لا سقانى اللّه إن سقيتك قطرة، إنكم منعتم عثمان الماء، ثم قتلتموه صائما فتلقّاه اللّه بالرحيق المختوم، و اللّه لأقتلنّك يا بن أبى بكر فليسقك اللّه من الجحيم؛ فقال محمد لمعاوية: يا بن اليهودية النساجة ليس ذلك إليك، أما و اللّه لو كان سيفى بيدى ما بلغتم بى هذا؛ فقال له معاوية:

أ تدرى ما أصنع بك؟ أدخلك فى جوف حمار، ثم أحرقه عليك بالنار؛ قال محمد:

إن فعلتم ذلك لطالما فعلتموه بأولياء اللّه تعالى؛ ثم طال الكلام بينهما حتى أخذ معاوية محمدا ثم ألقاه فى جيفة حمار ميت ثم حرقه بالنار؛ و قيل: إنه قطع رأسه و أرسله إلى معاوية بن أبى سفيان بدمشق و طيف به، و هو أوّل رأس طيف به

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۱

فى الإسلام. و لما بلغ عائشة رضى اللّه عنها قتل أخيها محمد بن أبى بكر هذا وجدت عليه وجدا عظيما و أخذت أولاده و عياله و تولت تربيتهم.

و قال أبو مخنف بإسناده: و لما بلغ علىّ بن أبى طالب مقتل محمد بن أبى بكر و ما كان من الأمر بمصر و تملّك عمرو لها و اجتماع الناس عليه و على معاوية قام فى الناس خطيبا فحثّهم على الجهاد و الصبر و السير إلى أعدائهم من الشاميين و المصريين، و واعدهم الجرعة بين الكوفة و الحيرة.

فلما كان من الغد خرج يمشى إليها حتى نزلها فلم يخرج إليه أحد من الجيش، فلما كان العشىّ بعث إلى أشراف الناس فدخلوا عليه و هو حزين كئيب فقام فيهم خطيبا فقال:

الحمد للّه على ما قضى من أمر و قدّر من فعل، و ابتلانى بكم و بمن لا يطيع اذا أمرت و لا يجيب اذا دعوت، أو ليس عجيبا أنّ معاوية يدعو الجفاة الطّغام فيتّبعونه بغير عطاء و يجيبونه فى السنة المرّتين و الثلاث إلى أىّ وجه شاء! و أنا أدعوكم و أنتم أولو النّهى و بقية الناس على معاوية و طائفة من العطاء فتتفرّقون عنّى و تعصوننى و تختلفون علىّ! فقام مالك بن كعب الأرحبىّ فندب الناس الى امتثال أمر علىّ و السمع و الطاعة له، فانتدب ألفان فأمّر عليهم مالك بن كعب هذا فسار بهم خمسا؛ ثم قدم علىّ على جماعة ممن كان مع محمد بن أبى بكر الصدّيق بمصر، فأخبروه كيف وقع الأمر و كيف قتل محمد بن أبى بكر و كيف استقرّ أمر عمرو فيها، فبعث الى

مالك بن كعب فردّه من الطريق، و ذلك لأنه خشى عليهم من أهل الشام قبل وصولهم الى مصر، و استقرّ أمر العراقين على خلاف علىّ فيما يأمرهم به و ينهاهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۲

عنه و الخروج عليه و التنقد على أحكامه و أقواله و أفعاله لجهلهم و قلّة عقلهم و جفائهم و غلظتهم و فجور كثير منهم، فكتب علىّ عند ذلك الى ابن عباس رضى اللّه عنه و هو نائبه على البصرة يشكو اليه ما يلقاه من الناس من المخالفة و المعاندة، فردّ عليه ابن عباس يسلّيه فى ذلك و يعزّيه فى محمد بن أبى بكر و يحثّه على تلاقى الناس و الصبر على مسيئهم، فإن ثواب الجنة خير من الدنيا، ثم ركب ابن عباس الى الكوفة الى علىّ و استخلف على البصرة زيادا؛ و قد خرجنا عن المقصود.

*** السنة التى حكم فيها محمد بن أبى بكر الصديق و غيره على مصر و هى سنة سبع و ثلاثين من الهجرة- فيها كانت وقعة صفّين بين علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه و بين معاوية بن أبى سفيان؛ و فيها قتل عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة المدلجىّ العبسىّ أبو اليقظان، كان من نجباء الصحابة و شهد بدرا و المشاهد كلّها و قتل فى صفّين، و كان من أصحاب علىّ رضى اللّه عنه؛ و فيها توفى خبّاب بن الأرتّ بن جندلة بن سعد بن خزيمة التّيمىّ مولى أمّ سباع بنت أنمار، كنيته أبو عبد اللّه، كان من المهاجرين الأوّلين، شهد بدرا و المشاهد بعدها و روى عنه أحاديث؛ و فيها أيضا قتل بصفّين من أصحاب علىّ رضى اللّه عنه أويس بن عامر المرادىّ القرنىّ الزاهد سيد التابعين، كنيته أبو عمرو، أسلم فى خلافة عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه؛ و فيها قتل فى وقعة صفّين من أصحاب علىّ رضى اللّه عنه هاشم بن عتبة بن أبى وقّاص الزهرىّ؛ و فيها توفى عبيد اللّه بن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنهما؛ و فيها قتل كريب بن صبّاح الحميرىّ، أحد الأبطال من أصحاب معاوية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۳

أمر اليل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و ثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و ثلاثة أصابع.

ذكر ولاية عمرو بن العاص ثانيا على مصر

قد تقدّم الكلام فى أوّل ولايته على نسبه و صحبته للنبىّ صلى اللّه عليه و سلم ثم أخذه مصر ثانيا فى ترجمة محمد بن أبى بكر الصدّيق و كيفية قتاله و كيف ملك مصر منه. و ولاية عمرو بن العاص هذا فى هذه المرّة من قبل معاوية بن أبى سفيان، و كان دخوله الى مصر فى شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان و ثلاثين، و جمع اليه معاوية الصلاة و الخراج فى ولايته هذه. و سبب انتماء عمرو الى معاوية أن عمرا كان لما عزله عثمان بن عفّان عن مصر بعبد اللّه بن سعد بن أبى سرح المقدّم ذكره توجّه عمرو و أقام بمكة منكفّا عن الناس حتى كانت وقعة الجمل.

قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبى قال جويرية بن أسماء حدّثنى عبد الوهاب ابن يحيى بن عبد اللّه بن الزبير حدّثنا أشياخنا أن الفتنة وقعت و ما رجل من قريش له نباهة أعمى فيها من عمرو بن العاص، و ما زال مقيما بمكة ليس فى شىء مما فيه الناس حتى كانت وقعة الجمل، فلما فرغت بعث الى ولديه عبد اللّه و محمد فقال: إنى قد رأيت رأيا و لستما باللذين تردّانى عن رأيى و لكن أشيرا علىّ، إنى رأيت العرب صاروا عنزين يضطربان، و أنا طارح نفسى بين جزّارى مكة و لست أرضى بهذه المنزلة، فإلى أىّ الفريقين أعمد؟ قال له ابنه عبد اللّه: إن كنت لا بدّ فاعلا- فإلى علىّ؛ قال: إنى إن أتيت عليا قال: إنما أنت رجل من المسلمين، و إن أتيت معاوية يخلطنى بنفسه و يشركنى فى أمره، فأتى معاوية

و عن عروة و غيره قال: دعا عمرو ابنيه، فأشار عليه عبد اللّه أن يلزم بيته لأنه أسلم له؛ فقال محمد: أنت شريف من أشراف العرب و ناب من أنيابها، لا أرى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۴

أن تتخلّف؛ فقال عمرو لابنه عبد اللّه: أما أنت فأشرت علىّ بما هو خير لى فى آخرتى؛ و أما أنت يا محمد فأشرت علىّ بما هو أنبه لذكرى، ارتحلا؛ فارتحلوا الى الشام غدوة و عشيّة حتى أتوا الشام. فقال: يأهل الشام، إنكم على خير و الى خير، تطلبون بدم عثمان، خليفة قتل مظلوما؛ فمن عاش منكم فإلى خير، و من مات فإلى خير. فما زال مع معاوية حتى وقع من أمره ما حكيناه فى أوّل ترجمته و غيرها.

و دخل مصر و وليها بعد محمد بن أبى بكر الصديق و مهّد أمورها، ثم خرج منها وافدا على معاوية بالشام و استخلف على مصر ولده عبد اللّه بن عمرو، و قيل خارجة بن حذافة، و حضر أمر الحكمين، ثم رجع الى مصر على ولايته، و دام بها الى أن كانت قصّة الخوارج الذين خرجوا لقتل علىّ و معاوية و عمرو هذا، فخرج عبد الرحمن بن ملجم لقتل علىّ رضى اللّه عنه، و قيس الى معاوية، و يزيد الى عمرو بن العاص، و سار الثلاثة كل واحد الى جهة من هو متوجّه لقتله، و تواعد الجميع أن يثب كلّ واحد على صاحبه فى سابع عشر شهر رمضان؛ فأما عبد الرحمن فإنه وثب على علىّ ابن أبى طالب رضى اللّه عنه و قتله حسبما نذكره فى ترجمته؛ و [أما] قيس فوثب على معاوية و ضربه فلم تؤثّر فيه الضربة غير أنه جرح؛ و أما يزيد فإنه توجّه الى عمرو هذا فعرضت لعمرو علّة تلك الليلة منعته من الصلاة فصلّى خارجة بالناس، فوثب عليه يزيد يظنّه عمرا و قتله، و أخذ يزيد و أدخل على عمرو فقال يزيد: أما و اللّه ما أردت غيرك؛ فقال عمرو: و لكنّ اللّه أراد خارجة؛ فصار مثلا: «أردت عمرا و أراد اللّه خارجة». و أقام عمرو بعد ذلك مدّة سنين حتى مات بها فيما نذكره إن شاء اللّه تعالى فى آخر هذه الترجمة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۵

قيل: إنه لما حضر عمرو بن العاص الوفاة بكى؛ فقال له ابنه: أتبكى جزعا من الموت؟ فقال: لا و اللّه؛ و جعل ابنه يذكّره بصحبته رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و فتوحه الشام؛ قال عمرو: تركت أفضل من ذلك: شهادة أن لا إله إلا اللّه، إنى كنت على ثلاثة أطباق ليس منها طبقة إلّا عرفت نفسى فيها: كنت أوّل شىء كافرا و كنت أشدّ الناس على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فلومتّ حينئذ لوجبت لى النار؛ فلمّا بايعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كنت أشدّ الناس منه حياء ما ملأت عينى منه، فلو متّ حينئذ لقال الناس: هنيئا لعمرو أسلم على خير و مات على خير أحواله، ثم تلبّست بعد ذلك بأشياء فلا أدرى أعلى أم لى، فاذا أنا متّ فلا يبكى علىّ و لا تتبعونى نارا، و شدّوا علىّ إزارى فإنى مخاصم، فاذا أوليتمونى فاقعدوا عندى قدر نحر جزور و تقطيعها أستأنس بكم حتى أعلم ما أراجع به رسل ربّى. قال الذهبى: أخرجه أبو عوانة فى مسنده. و فى رواية: أنه بعدها حوّل وجهه الى الجدار و هو يقول: اللهم أمرتنا فعصينا، و نهيتنا فما انتهينا، و لا يسعنا إلّا عفوك. و فى رواية: أنه وضع يده على موضع الغلّ من عنقه و رفع رأسه الى السماء و قال: اللهم لا قوىّ فأنتصر، و لا برىء فأعتذر، و لا مستكبر بل مستغفر، لا إله إلا أنت؛ فلم يزل يردّدها حتى مات رضى اللّه عنه.

و قال الزهرىّ عن حميد بن عبد الرحمن عن عبد اللّه بن عمرو أن أباه قال:

اللهم أمرت بأمور و نهيت عن أمور، فتركنا كثيرا مما أمرت و وقعنا فى كثير مما نهيت، اللهم لا إله إلا أنت؛ ثم أخذ بإبهامه فلم يزل يهلّل حتى توفّى.

قال الذهبىّ، و أيّده الطحاوى، حدّثنا المزنىّ سمعت الشافعىّ رضى اللّه عنه يقول:

دخل ابن عباس على عمرو بن العاص و هو مريض فقال: كيف أصبحت؟ قال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۶

أصبحت و قد أصلحت من دنياى قليلا، و أفسدت من دينى كثيرا، فلو كان ما أصلحت هو ما أفسدت لفزت، و لو كان ينفعنى أن أطلب طلبت، و لو كان ينجينى أن أهرب لهربت، فعظنى بموعظة أنتفع بها يا بن أخى؛ فقال: هيهات يا أبا عبد اللّه! فقال: اللهم إنّ ابن عباس يقنطنى من رحمتك فخذ منى حتى ترضى.

و كانت وفاة عمرو المذكور فى ليلة عيد الفطر سنة ثلاث و أربعين فصلّى عليه ابنه و دفنه ثم صلّى بالناس صلاة العيد. قاله أبو فراس

مولى عبد اللّه بن عمرو. و قال الليث بن سعد و الهيثم بن عدىّ و الواقدىّ و ابن بكير: و سنه نحو مائة سنة. و قال أحمد العجلىّ و غيره: تسع و تسعون سنة. و قال ابن نمير: توفّى سنة اثنتين و أربعين.

قلت: و الأوّل هو المتواتر. و كان عمرو رضى اللّه عنه من أدهى العرب و أحسنهم رأيا و تدبيرا. قيل: إنه اجتمع مع معاوية بن أبى سفيان مرّة فقال له معاوية:

من الناس؟ فقال: أنا و أنت و المغيرة بن شعبة و زياد؛ قال معاوية: كيف ذلك؟ قال عمرو: أما أنت فللتأنّى؛ و أما أنا فللبديهة؛ و أما المغيرة فللمعضلات؛ و أما زياد فللصغير و الكبير؛ قال معاوية: أما ذانك فقد غابا فهات بديهتك يا عمرو؛ قال: و تريد ذلك؟ قال نعم؛ قال: فأخرج من عندك، فأخرجهم معاوية؛ فقال عمرو: يا أمير المؤمنين أسارّك، فأدنى معاوية رأسه منه؛ فقال عمرو: هذا من ذاك، من معنا فى البيت حتى أسارّك! و لما مات عمرو ولى مصر عتبة بن أبى سفيان من قبل أخيه معاوية

*** السنة الأولى من ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر و هى سنة ثمان و ثلاثين من الهجرة- فيها توجّه عبد اللّه بن الحضرمىّ من قبل معاوية الى البصرة ليأخذها، و كان بها زياد بن أبيه و وقع بينهما أمور. و فيها سارت الخوارج لقتال علىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۷

رضى اللّه عنه، و كان كبيرهم عبد اللّه بن وهب، فهزمهم علىّ و قتل أكثرهم و قتل ابن وهب المذكور، و قتل من أصحاب علىّ رضى اللّه عنه اثنا عشر رجلا، و كانت الوقعة فى شعبان من هذه السنة. و فيها توفّى صهيب بن سنان بن مالك الرومىّ، سبته الروم فجلب الى مكة فاشتراه عبد اللّه بن جدعان التّيمىّ، و قيل: بل هرب من الروم فقدم مكة و حالف ابن جدعان، و كان صهيب من السابقين الأوّلين شهد بدرا و المشاهد كلّها، روى عنه أولاده حبيب و زياد و حمزة؛ و سعيد بن المسيّب و عبد الرحمن بن أبى ليلى و كعب الأحبار، و كنيته أبو يحيى، توفى بالمدينة فى شوّال. و نشأ صهيب بالروم فبقيت فيه عجمة. و فيها توفّى سهل بن حنيف بن واهب الأنصارىّ كان من أهل مسجد قباء، و كنيته أبو سهل و قيل أبو عبد اللّه، و هو من الطبقة الأولى من الأنصار آخى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بينه و بين علىّ بن أبى طالب، و هو ممن شهد بدرا و أحدا و الخندق. و فيها توفّيت أسماء بنت عميس بن معد بن تميم بن الحارث بن كعب بن مالك، أسلمت قبل دخول رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم دار الأرقم بمكّة و بايعت و هاجرت الى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب، و ولد هناك عبد اللّه بن جعفر، ثم تزوّجها بعد جعفر أبو بكر الصدّيق، فاستولدها محمدا أمير مصر المقدّم ذكره، ثم تزوّجها بعد أبى بكر علىّ بن أبى طالب، فولدت منه يحيى و عوفا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و خمسة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و تسعة أصابع. و فى كتاب درر التيجان: تسعة عشر إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۸

*** السنة الثانية من ولاية عمرو الثانية على مصر و هى سنة تسع و ثلاثين- فيها أيضا كانت وقعة الخوارج مع علىّ بن أبى طالب بحروراء و بالنّخيلة، قاتلهم علىّ فكسرهم و قتل رءوسهم، و سجد للّه شكرا لمّا أتى بمخدج اليد مقتولا، و كان رءوس الخوارج زيد بن حفص الطائىّ و شريح بن أوفى العبسىّ و كانا على المجنّبتين، و كان رأسهم عبد اللّه بن وهب الراسبىّ، و قد تقدّم ذكرها فى السنة الماضية، و الأصح أنها فى هذه السنة؛ و كان على رجّالتهم حرقوص بن زهير. و فيها بعث معاوية يزيد ابن شجرة الرّهاىّ ليقيم الحجّ، فنازعه قثم بن عباس و مانعه، و كان من جهة علىّ، فتوسّط بينهما أبو سعيد الخدرىّ و غيره، فاصطلحا على أن يقيم الموسم شيبة بن عثمان العبدرىّ حاجب الكعبة. و فيها أيضا بعث معاوية ابن عوف فى ستة آلاف فارس و أمره أن يأتى هيت و الأنبار و المدائن، و كان بهيت أشرس بن حسّان البلوىّ من جهة على و قد تفرّق عنه أصحابه و لم يبق معه سوى ثلاثين رجلا، فخرج اليهم و قاتلهم و قتل ابن أشرس و أصحابه. و فيها أرسل معاوية الضحّاك بن قيس فى ثلاثة آلاف و أمره بالغارة على من هو فى طاعة علىّ من الأعراب. و فيها توفى سعد بن عابد و يعرف بسعد القرظ مولى عمّار بن ياسر (و القرظ: ورق السّلم كان يجلبه و يبيعه للدباغ

فسمّى به) و كان سعد يؤذّن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بقباء ثم أذّن على عهد أبى بكر و عمر، و هو من الصحابة و له رواية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۱۹

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و إصبعان، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و خمسة أصابع.

*** السنة الثالثة من ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر و هى سنة أربعين- فيها بعث معاوية بسر بن أبى أرطاة فى ثلاثة آلاف من المقاتلة الى الحجاز، فقدم المدينة و عامل علىّ متوليها و هو أبو أيّوب الأنصارىّ فنفر منها أبو أيّوب. و فيها قتل أمير المؤمنين أبو الحسن علىّ بن أبى طالب، و اسم أبى طالب عبد مناف بن عبد المطّلب، و اسم عبد المطلب شيبة الجمد بن هاشم بن عبد مناف القرشىّ الهاشمىّ، و أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية، و هى بنت عمّ أبى طالب كانت من المهاجرات، توفّيت فى حياة النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة، و هو أحد السابقين الأوّلين و أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة؛ و أمّا ما ورد فى حقّه من الأحاديث و ما وقع له فى الغزوات فيضيق هذا المحلّ عن ذكر شىء منها، و فى شهرته رضى اللّه عنه ما يغنى عن الإطناب فى ذكره؛ قتله عبد الرحمن بن ملجم، جلس له مقابل السّدّة التى يخرج منها علىّ الى الصلاة، فلما أن خرج علىّ الى صلاة الصبح شدّ عليه عبد الرحمن المذكور فضربه بسكّين كانت معه أو بسيف فى جبهته و فى رأسه فحمل من وقته و قبض على عبد الرحمن المذكور، فقال علىّ: أطعموه و اسقوه فإن عشت فأنا ولىّ دمى، إن شئت قتلت و إن شئت عفوت؛ و إن متّ فاقتلوه قتلتى و لا تعتدوا إنّ اللّه لا يحبّ المعتدين. و كان عبد الرحمن قد سمّ سيفه، فتمّ علىّ رضى اللّه عنه جريحا يوم الجمعة و السبت و توفّى ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقين من شهر رمضان من السنة، و تولّى الخلافة من بعده ابنه الحسن بن علىّ رضى اللّه عنهما، و كانت خلافة علىّ رضى اللّه عنه أربع سنين و تسعة أشهر. و لما دفن علىّ أحضر عبد الرحمن بن ملجم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۲۰

فاجتمع الناس و جاءوا بالنّفط و البوارىّ، فقال محمد بن الحنفية و الحسن و الحسين ولدا علىّ و عبد اللّه بن جعفر ابن أخيه: دعونا نشتف منه، فقطّع عبد اللّه يديه و رجليه فلم يجزع و لم يتكلم و كحّل عينيه، و جعل يقول: إنّك لتكحل عينى عمك هذا، و عيناه تسيلان على خدّيه، ثم أمر به فعولج على قطع لسانه، فجزع، فقيل له فى ذلك؛ فقال:

ما لذاك أجزع و لكن أكره أن أبقى فى الدنيا لا أذكر اللّه! فقطعوا لسانه، ثم أخرجوه فى قوصرة؛ و كان- قبحه اللّه و لعنه- أسمر حسن الوجه أفلج فى جبهته أثر السجود. و قال جعفر بن محمد عن أبيه قال: صلّى الحسن على علىّ رضى اللّه عنه و دفن بالكوفة عند قصر الإمارة و عمّى قبره لئلا تنبشه الخوارج. و قال شريك و غيره: نقله الحسن الى المدينة. و ذكر المبرّد عن محمد بن حبيب، قال: أوّل من حوّل من قبر الى قبر علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه. و فيها توفّى لبيد بن ربيعة بن كلاب بن مالك بن جعفر بن كلاب الصحابىّ العامرىّ الشاعر المشهور، كنيته أبو عقيل، ذكره ابن سعد فى الطبقة الرابعة من القبائل الذين أسلموا بعد الفتح، و وفد على النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم سنة تسع من الهجرة و أسلم. و فيها توفّى تميم بن أوس ابن خارجة أبو رقيّة اللّخمىّ الدارىّ الصحابىّ المشهور، و اختلف فى نسبه الى الدار ابن هانئ أحد بنى لخم. أسلم تميم سنة تسع، رضى اللّه عنه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانية أذرع و ستة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و سبعة عشر إصبعا؛ و فى كتاب درر التيجان: و ستة أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۲۱

*** السنة الرابعة من ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر و هى سنة إحدى و أربعين، و تسمّى هذه السنة عام الجماعة لاجتماع الأمّة فيه على خليفة واحد و هو معاوية بن أبى سفيان- فيها (أعنى فى سنة إحدى و أربعين) بايع الحسن بن علىّ رضى اللّه عنه بالخلافة معاوية و خلع نفسه. و سببه: أنه لما ولى الخلافة بعد وفاة والده علىّ رضى اللّه عنه أحبّه الناس حبّا شديدا زائدا و اجتمعوا

على طاعته، و استمرّ فى الخلافة أشهرا، فلمّا رأى الأمر مآله للقتال مع معاوية و ألحّ عليه أهل العراق حتّى خرج فى جموعه الى نحو الشام و خرج معاوية أيضا بجيوشه فى طلب الحسن رضى اللّه عنه، ثم أرسل معاوية الى الحسن يطلب الصلح. قال خليفة: فاجتمعا بمسكن؛ و هى بأرض السواد من ناحية الأنبار، فاصطلحا فى ربيع الآخر و سلّم الحسن الأمر الى معاوية، لا من جزع بل شفقة على المسلمين، فإن الذى كان اجتمع للحسن من العساكر أكثر مما كان اجتمع لأبيه و لكن ترك ذلك خوفا من سفك الدماء.

و لما وقع ذلك دخل على الحسن سفيان أحد أصحابه و قال: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين؛ فقال الحسن: لا تقل ذلك، إنى كرهت أن أقتلكم فى طلب الملك. قال الحافظ الذهبىّ قال أبو بكرة: رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على المنبر و الحسن ابن علىّ الى جنبه و هو يقول: «إنّ ابنى هذا سيّد و لعلّ اللّه أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». أخرجه البخارىّ. و فيها توفّى صفوان بن أميّة بن خلف الجمحىّ، شهد حنينا مع النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم ثم أسلم بعدها، و أعار النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم سلاحا كثيرا. و فيها توفّيت حفصة أمّ المؤمنين رضى اللّه عنها بنت عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۲

أمر النيل فى هذه- السنة الماء القديم ثمانية أذرع و ستة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و سبعة أصابع.

*** السنة الخامسة من ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر و هى سنة اثنتين و أربعين- فيها بعث معاوية المغيرة بن شعبة الى زياد بن أبيه فخدعه و أنزله من قلعته. و فيها ولّى معاوية مروان بن الحكم المدينة فاستقضى مروان عبد اللّه بن الحارث بن نوفل. و فيها تحرّكت الخوارج الذين بقوا من يوم النّهروان. و فيها توفّى حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن سفيان ابن حارث أبو عبد الرحمن و قيل أبو مسلمة، ذكره ابن سعد فى الطبقة الخامسة من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. و فيها توفّى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة بن عبد الدار بن قصىّ الجمحىّ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الثالثة من المهاجرين ممن أسلم فى هدنة الحديبية.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و ثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و خمسة أصابع. و فى درر التيجان: أربعة أذرع و ثلاثة أصابع.

ذكر ولاية عتبة بن أبى سفيان على مصر

هو عتبة بن أبى سفيان- و اسم أبى سفيان صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس- أخو معاوية بن أبى سفيان لأبيه. ولّاه أخوه معاوية إمارة مصر بعد وفاة عمرو بن العاص رضى اللّه عنه فى شوّال سنة ثلاث و أربعين. و دخل عتبة مصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۳

فى ذى القعدة منها. و كان عتبة هذا شهد مع عثمان بن عفّان يوم الدار. قال الحافظ ابن عساكر فى تاريخه: قدم على أخيه معاوية بدمشق، و كان له بها فى درب الحمّالين دار، و ولى المدينة و الطائف و الموسم لأخيه معاوية غير مرّة، و شهد وقعة الجمل مع عائشة رضى اللّه عنها ثم انهزم، فعيره عبد الرحمن بن الحكم:

لعمرى و الأمور لها دواع لقد أبعدت يا عتب الفرارا

و قال ابن عساكر عن الهيثم بن عدىّ قال: ذكر ابن عباس عتبة بن أبى سفيان فى العور، ذهبت عينه يوم الجمل مع عائشة. و قال أبو بكر الخطيب: حجّ عتبة ابن أبى سفيان بالناس سنة إحدى و أربعين و سنة اثنتين و أربعين. و قال الأصمعىّ:

الخطباء من بنى أمية: عتبة بن أبى سفيان، و عبد الملك بن مروان. و قال أبو حاتم:

أوصى عتبة بن أبى سفيان مؤدّب ولده فقال: ليكن أوّل إصلاحك بنىّ إصلاحك لنفسك، فإنّ عيوبهم معقودة بعيبك، فالحسن عندهم ما فعلت، و القبيح ما تركت، و علّمهم كتاب اللّه و لا تملّهم فيتركوا، و لا تدعهم منه فيهجروا؛ و روّهم من الحديث أشرفه، و

من الشعر أعفّه؛ و لا- تخرجهم من علم الى علم حتى يحكموه، فإنّ ازدحام الكلام فى السمع مضلّة للفهم؛ و هدّدهم بى و أدّبهم دونى؛ و كن بهم كالطبيب الرفيق الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، و امنعهم من محادثة النساء، و اشغلهم بسير الحكماء؛ و استزدنى بآدابهم أزدك، و لا تتّكلنّ على عذر منّى فقد اتّكلت على كفاية منك. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۲۴

و لمّا قدم عتبة الى مصر فى ذى القعدة سنة ثلاث و أربعين أقام بها أشهرا ثم خرج منها وافدا على أخيه معاوية بدمشق، و استخلف على مصر عبد اللّه بن قيس ابن الحارث، و كانت فى عبد اللّه المذكور شدّة فكرهه الناس بمصر، فبلغ ذلك عتبة هذا فرجع الى مصر و صعد المنبر و قال: يأهل مصر، قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم، و قد وليكم من إن قال فعل، فإن أبيتم درأكم بيده، فإن أبيتم؟؟؟ درأكم بسيفه؛ ثم جاء فى الآخر ما أدرك فى الأوّل، إنّ البيعة شائعة، لنا عليكم السمع و الطاعة، و لكم علينا العدل، فأيّنا غدر فلا ذمّة له عند صاحبه؛ فناداه المصريّون من جنبات المسجد: سمعا سمعا؛ فناداهم عتبة: عدلا عدلا. ثم نزل.

فجمع له أخوه معاوية الصلاة و الخراج؛ و عقد عتبة هذا لعلقمة بن يزيد على الاسكندرية فى اثنى عشر ألفا من أهل الديوان تكون بها مرابطة، ثم خرج اليها عتبة بعد ذلك مرابطا فى ذى القعدة و قيل فى ذى الحجة، و هو الأشهر، سنة أربع و أربعين من الهجرة، فمات بها فى الشهر المذكور. و تولى مصر بعده عقبة بن عامر الجهنىّ، و كانت ولاية عتبة على مصر سنة واحدة و شهرا واحدا.

*** السنة التى حكم فيها عتبة بن أبى سفيان على مصر و هى سنة ثلاث و أربعين- فيها شتّى بسر بن أبى أرطاة بأرض الروم مرابطا: و فيها فتح عبد الرحمن بن سمرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۲۵

الزّرنج و غيرها من بلاد سجستان. و فيها افتتح عقبة بن نافع الفهرىّ كورا من بلاد السودان و وردان من بلاد برقة. و فيها توفى عبد اللّه بن سلام الاسرائيلى- ذكره ابن سعد فى الطبقة الثالثة من الأنصار، و قال: كنيته أبو يوسف، و كان اسمه الحصين، فلما أسلم فى السنة الأولى من الهجرة سمّاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عبد اللّه. و هو رجل من بنى اسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، و هو صاحب القصة مع اليهود. و فيها توفى محمد بن مسلمة بن خالد الأنصارىّ الصحابىّ، مذكور فى الطبقة الأولى من الأنصار، أسلم بالمدينة على يد مصعب ابن عمير، و آخى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بينه و بين أبى عبيدة بن الجرّاح و شهد بدرا و المشاهد كلها و مات فى صفر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم تسعة أذرع و ثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و خمسة أصابع. و ذكر فى درر التّيجان: أنّ الماء القديم فى هذه السنة أربعة أذرع و ثلاثة أصابع.

*** السنة الثانية من ولاية عتبة بن أبى سفيان على مصر و هى سنة أربع و أربعين- فيها توفّى عتبة صاحب الترجمة حسبما تقدّم ذكره. و فيها غزا المهلّب بن أبى صفرة أرض الهند و سار الى قنداييل و كسر العدو و سلم و غنم، و هى أوّل غزواته. و فيها حجّ الخليفة معاوية بن أبى سفيان بالناس من الشام. و فيها زاد معاوية فى مقصورة جامع دمشق، و كان قد أحدثها لمّا وثب عليه البرك ليقتله.

ثم أحدث فى هذه السنة أيضا مروان بن الحكم مقصورة المدينة و هو وال عليها.

و فيها أوغل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فى بلاد الروم و شتّى بها. و فيها غزا بسر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۲۶

ابن أبى أرطاة فى البحر. و فيها عزل معاوية عبد اللّه بن عامر عن البصرة. و فيها توفّى الحارث بن خزمة بن عدىّ بن أبىّ بن غنم الأشهلى أبو بشير الصحابىّ، هو من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدرا و المشاهد كلها، و آخى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بينه و بين إياس بن أبى البكير. و فيها توفّيت أم المؤمنين أمّ حبيبة بنت أبى سفيان على الصحيح، و اسمها رملة، و هى أخت معاوية لأبيه،

و أمها صفيّة بنت أبى العاص بن أميّة بن عبد شمس، و هى ابنة عمّة عثمان بن عفان، و كان تزوّجها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالحبشة، و ذلك فى سنة ستّ من الهجرة أو سبع. و فيها توفّى أبو بردة بن نيار بن عمرو بن عبيد بن عمرو بن كلاب، و هو من الطبقة الأولى من الأنصار من الصحابة، شهد العقبة مع السبعين و شهد بدرا و أحدا و المشاهد كلّها مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. و فيها توفّى أبو موسى الأشعرىّ و اسمه عبد اللّه بن قيس بن سليم اليمانىّ، صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قدم عليه مسلما مع أصحاب السفينتين و استعمله رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على زبيد وعدن، ثم ولى الكوفة و البصرة. لعمر بن الخطاب رضى اللّه عنهما.

و مات فى ذى الحجة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و ثمانية عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و إصبع واحد.

ذكر ولاية عقبة بن عامر على مصر

هو عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدىّ بن رفاعة بن مودوعة بن عدىّ ابن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهنىّ، أبو حمّاد الصحابىّ،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۷

شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص ثم وليها من قبل معاوية بن أبى سفيان بعد موت أخيه عتبة بن أبى سفيان فى سنة أربع و أربعين، و كان يخضّب بالسّواد.

قال صاحب البغية: و دام بمصر الى أن قدم مسلمة بن مخلّد على معاوية بدمشق، فولّاه مصر و أمره أن يكتم ذلك عن عقبة بن عامر، ثم سيّره الى مصر و أمر معاوية عقبة بغزو رودس و معه مسلمة بن مخلد المذكور، و خرجا الى الإسكندرية ثم توجّها فى البحر، فلما سار عقبة استولى مسلمة على سرير إمرته، فبلغ ذلك عقبة ابن عامر، و كان ذلك لعشر بقين من ربيع الأول سنة سبع و أربعين، و كانت ولايته سنتين و ثلاثة أشهر، و تولّى مسلمة. و آخر من روى عن عقبة بمصر أبو قبيل. انتهى.

و قال الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر فى الإصابة: روى عن النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و روى عنه جماعة من الصحابة و التابعين، منهم ابن عبّاس و أبو أمامة و جبير بن نفير و بعجة بن عبد اللّه الجهنىّ و أبو إدريس الخولانى و خلق من أهل مصر.

قال أبو سعيد بن يونس: كان قارئا عالما بالفرائض و الفقه صحيح اللسان شاعرا كاتبا، و هو آخر من جمع القرآن. قال: و رأيت مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان، و فى آخره: كتبه عقبة بن عامر بيده.

و فى صحيح مسلم من طريق قيس بن أبى حازم عن عقبة بن عامر قال: قدم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم المدينة و أنا فى غنم لى أرعاها فتركتها ثم ذهبت اليه فقلت: بايعنى فبايعنى على الهجرة. و هذا الحديث أخرجه أبو داود و النّسائىّ. و شهد عقبة بن عامر الفتوح، و كان هو الرائد الى عمر بفتح دمشق. و شهد صفّين مع معاوية و أمّره بعد ذلك على مصر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۸

و قال أبو عمر الكندىّ: جمع له معاوية فى إمرة مصر بين الخراج و الصّلاة، فلمّا أراد عزله كتب اليه أن يغزو رودس، فلمّا توجّه مسافرا استولى مسلمة، فبلغ عقبة فقال: أغربة و عزلا! و ذلك فى سنة سبع و أربعين. و مات فى خلافة معاوية على الصحيح.

و حكى أبو زرعة فى تاريخه عن عبّاد بن بشر قال: رأيت رجلا يحدّث فى خلافة عبد الملك فقلت: من هذا؟ فقالوا: عقبة بن عامر الجهنىّ. قال أبو زرعة: فذكرته لأحمد بن صالح، فقال: هذا غلط، مات عقبة فى خلافة معاوية. و كذلك أرّخه الواقدىّ و غيره، زاد فى آخرها: و أما قول خليفة بن خيّاط: قتل فى النّهروان من أصحاب علىّ، أبو عمرو عقبة بن عامر الجهنىّ فهو آخر، بدليل قول خليفة فى تاريخه فى سنة ثمان و خمسين مات عقبة بن عامر الجهنىّ. انتهى كلام شيخ الإسلام ابن حجر.

و قال صاحب كتاب «العقود الدرّية فى الأمراء المصرية»: توفى عقبة فى سنة ثمان و خمسين بمصر، و قبره يزار بالقرافة.

و قال صاحب كتاب «مهذب الطالبين الى قبور الصالحين»: عقبة بن عامر الجهنىّ من أعلام الصحابة معدود من خدّام النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و كان يأخذ بزمام بغلة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و يقودها فى الأسفار، و عدّد له رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فضل المعوّذتين و حثّه على قراءتهما؛ و هو أحد من شهد فتح مصر من الصحابة، و ولى مصر لمعاوية بن أبى سفيان بعد عتبة بن أبى سفيان، ثم غزا فى البحر سنة سبع و أربعين. و هو أوّل من نشر الرايات على السفن، فلما خرج الى الغزو جاء كتاب معاوية بعزله و ولاية مسلمة، فلم يظهر مسلمة ولايته، فقال عقبة: ما لى أرى الأمر أبطأ علىّ؟ قالوا: ولّى مسلمة بن مخلّد، قال عقبة: ما أنصفنا معاوية عزلنا و غرّبنا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۹

قال: و لأهل مصر فيه اعتقاد عظيم، و لهم عنه نحو مائة حديث. و قد ذكر ابن عبد الحكم أحاديثه التى رواها عنه أهل مصر.

الحديث الأول- منها: «من توضّأ فأحسن و ضوءه ثم صلّى [صلاة] غير ساه و لا لاه كفّر عنه ما كان قبلها من سيّئاته».

الحديث الثانى- قال عقبة: سمعت النبى صلى اللّه عليه و سلم يقول: «تعجّب ربّك من شابّ ليس له صبوة»

الحديث الثالث- قال عقبة: كنت آخذ بزمام بغلة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى بعض غاب المدينة، فقال لى: «يا عقبة ألا تركب» فأشفقت أن تكون معصية، فنزل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و ركبت هنيهة، ثم ركب فقال: «ألا أعلّمك سورتين» فقلت: بلى يا رسول اللّه، قال: فأقرأنى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ و قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثم أقيمت الصلاة فتقدّم و صلّى بهما و قال: «اقرأهما كلّما نمت و قمت».

ثم قال: و ليس فى الجبّانة قبر صحابىّ مقطوع به إلا قبر عقبة فإنه زاره الخلف عن السلف.

و قال الشيخ الموفّق ابن عثمان فى تاريخه المرشد ناقلا عن حرملة من أصحاب الشافعىّ: إن البقعة التى دفن فيها عقبة المذكور بها أيضا قبر عمرو بن العاص و قبر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۳۰

أبى بصرة الصحابيّين، تحويهم القبّة التى هدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم بناها البناء المعهود الآن. و رئى بعض الأمراء فى النوم ممّن جاوره، فقيل له: ما فعل اللّه بك؟ قال: غفر لى بمجاورة عقبة. و روى له من البركات روايات كثيرة: منها أنّ رجلا أسر له ولد فأتى قبر عقبة و دعا اللّه عزّ و جل فقام من عند قبره فلقى ابنه فى الطريق. انتهى كلام صاحب مهذّب الطالبين.

*** السنة الأولى من ولاية عقبة بن عامر الجهنىّ على مصر و هى سنة خمس و أربعين- فيها غزا معاوية بن حديج إفريقيّة من بلاد المغرب. و فيها سار عبد اللّه بن سوّار العبدىّ فافتتح القيقان و غنم و سلم و عاد. و فيها عزل عبد اللّه ابن عامر عن البصرة، فاستعمل عليها معاوية الحارث بن عمرو الأزدىّ ثم عزل عن قريب و ولّى عليها زياد بن أبيه، فبادر زياد و قتل سهم بن غالب الذى كان خرج فى أوّل الأمر على معاوية و صلبه. و فيها توفّيت أمّ المؤمنين حفصة بنت عمر ابن الخطاب زوجة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و أمّها زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون. قال ابن سعد بإسناده: ولدت حفصة و قريش تبنى البيت قبل مبعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بخمس سنين. و ذكر الذهبىّ وفاتها فى سنة إحدى و أربعين و تابعه جماعة على ذلك. و فيها توفّى زيد بن ثابت بن الضحّاك ابن زيد الأنصارىّ الصحابىّ، و هو من الطبقة الثالثة من الأنصار، كنيته أبو سعيد و قيل أبو خارجة. قال الإمام أحمد بن حنبل حدّثنا وكيع عن سفيان عن خالد الحذّاء عن أبى قلابة عن أنس، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «أرحم أمّتى أبو بكر و أشدّها فى دين اللّه عمر و أصدقها حياء عثمان و أعلمها بالفرائض زيد بن ثابت».

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۳۱

قلت: و هو من كتّاب الوحى و القرّاء. و فيها توفّى سلمة بن سلامة و كنيته أبو عوف. و قيل أبو ثابت. و هو من الطبقة الأولى من

الأنصار، صحابيّ مشهور، شهد العقبتين و بدرا و المشاهد كلها مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. و فيها توفّى سهل ابن عمرو بن زيد بن جشم الأنصاريّ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الثالثة من الصحابة ممن شهد أحدا و الخندق و ما بعدهما مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. و فيها توفّى عاصم ابن عديّ، و هو من الطبقة الأولى من الأنصار، و كنيته أبو عمرو و قيل أبو عبد اللّه، و هو الذى بعثه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من بدر الى قباء.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و سبعة أصابع. و قال صاحب درر التّيجان: و سبعة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و خمسة أصابع.

*** السنة الثانية من ولاية عقبة بن عامر الجهنىّ على مصر و هى سنة ست و أربعين- فيها عزل الخليفة معاوية عبد الرحمن بن سمرة عن سجستان و ولّاها الربيع بن زياد الحارثىّ، فخاف الترك و جمع ملكهم «كابل شاه» الجموع و زحف على المسلمين فنزح المسلمون عن مدينة كابل، ثم لقيهم الربيع هذا و قاتلهم (أعنى الترك) فهزمهم اللّه تعالى؛ و ساق وراءهم المسلمين الى الرّخّج، و غنموا منهم شيئا كثيرا. و شتّى المسلمون بأرض الروم فى هذه السنة. و فيها توفى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لمّا رجع من بلاد الروم الى حمص، و كان قد شتّى بالروم و فتح حصونا كثيرة، فسقاه ابن أثال النصرانىّ شربة مسمومة فمات منها. و هو ممن أدرك رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۳۲

و قيل إنه مات فى سنة تسع و أربعين. و فيها توفى هرم بن حيّان العبدىّ البصرىّ ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من الفقهاء المحدّثين و الزهّاد من أهل البصرة، و هو أحد الزهاد الثمانية.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و سبعة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و تسعة أصابع. و فى الدرر: ثمانية عشر ذراعا و تسعة أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج ۱؛ ص ۱۳۲

* السنة الثالثة من ولاية عقبة بن عامر الجهنىّ على مصر و هى سنة سبع و أربعين- فيها عزل عقبة المذكور عن مصر. و فيها سار رويفع بن ثابت الأنصارىّ من طرابلس الغرب و دخل إفريقيّة ثم عاد من سنته. و فيها غزا عبد اللّه بن سوّار العبدىّ القيقان أيضا، فجمع له الترك و التقوا معه فاستشهد عبد اللّه و سائر من كان معه من الجيوش. و فيها شتّى مالك بن هبيرة بأرض الروم. و فيها أقام الموسم عنبسة ابن أبى سفيان. و فيها توفّى قيس بن عاصم بن سنان؛ ذكره ابن سعد فى الطبقة الرابعة فى الصحابة ممن أسلم من العرب و رجع الى بلاد قومه، و كنيته أبو على و قيل أبو قبيصة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و ثلاثة عشر إصبعا.

و فى درر التيجان: و ثلاثة و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و سبعة أصابع.

ذكر ولاية مسلمة بن مخلد على مصر

هو مسلمة بن مخلّد بن صامت بن نياز بن لوذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة، أبو معن و قيل أبو سعيد،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۳۳

الصحابىّ الأنصارىّ (و مسلمة بفتح الميم و سكون السين المهملة، و مخلد بضم الميم و تشديد اللام). ولّاه معاوية بن أبى سفيان مصر بعد عزل عقبة بن عامر الجهنىّ فى سنة سبع و أربعين حسبما تقدّم ذكره فى آخر ترجمة عقبة، و جمع له معاوية الصلاة و الخراج و بلاد المغرب. فلمّا ولى مسلمة مصر انتظمت غزواته فى البر و البحر: منها غزوة القسطنطينيّة الآتى ذكرها، و لم يحضرها غير أنه حسّن

لمعاوية غزوها. و فى أيام ولايته على مصر نزلت الرّوم البرلّس فى سنة ثلاث و خمسين فاستشهد فى الوقعة وردان مولى عمرو بن العاص فى جمع من المسلمين. و فى إمرته لمصر أيضا هدم ما كان عمرو بن العاص بناه من المسجد بمصر و بناه هو و أمر ببناء منار المسجد، و هو أوّل من أحدث المنار بالمساجد و الجوامع. و خرج مسلمة الى الإسكندرية فى سنة ستين و استخلف على مصر عابس بن سعيد، فجاءه الخبر بموت معاوية بن أبى سفيان فى شهر رجب منها و استخلاف يزيد بن معاوية بعد أبيه، و كتب اليه يزيد بن معاوية و أقرّه على عمل مصر، و كتب اليه أيضا بأخذ البيعة له؛ فندب مسلمة عابسا و كتب اليه من الإسكندرية بذلك؛ فطلب عابس أهل مصر و بايع ليزيد فبايعه الجند و الناس إلا عبد اللّه بن عمرو بن العاص، فدعا عابس بالنار ليحرق عليه بابه، فحينئذ بايع عبد اللّه بن عمرو ليزيد على كره منه. ثم قدم مسلمة من الإسكندرية فجمع لعابس مع الشرطة القضاء فى أوّل سنة إحدى و ستين. ا ه.

و قال الذهبىّ: مسلمة بن مخلّد الأنصارىّ له صحبة و رواية، و حدّث عنه شيبان ابن أميّة و علىّ بن رباح و مجاهد و عبد الرحمن بن شماسة و غيرهم، قال: ولدت حين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۳۴

قدم النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم المدينة، و قد ولى ديار مصر لمعاوية. انتهى كلام الذهبىّ.

و قال ابن عبد الحكم: مسلمة بن مخلّد الأنصارىّ لهم عنه حديث واحد ليس [لهم] عنه غيره، و هو حديث موسى بن علىّ عن أبيه أنه سمعه يقول و هو على المنبر:

توفّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أنا ابن عشر سنين. لم يرو عنه غير أهل مصر، و أهل البصرة لهم عنه حديث واحد، و هو حديث أبى هلال الراسبىّ قال حدّثنا جبلة ابن عطيّة عن مسلمة بن مخلّد: أنه رأى معاوية يأكل، فقال لعمرو بن العاص:

إن ابن عمّك لمخضد، ثم قال: أما إنى أقول هذا و قد سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: «اللهمّ علّمه الكتاب و مكّن له فى البلاد و وقّه العذاب». و ربما أدخل بعض المحدّثين بين جبلة بن عطيّة و بين مسلمة رجلا.

و قد ولى مسلمة بن مخلّد مصر، و هو أوّل من جمع له مصر و المغرب، و توفّى سنة اثنتين و ستين، و كان يكنى أبا سعيد. انتهى كلام ابن عبد الحكم. و كان مسلمة كثير العبادة.

قلت: و أما غزوة القسطنطينية التى وعدنا بذكرها فإنها كانت فى سنة تسع و أربعين؛ و كان مسلمة هذا حرّض معاوية عليها، فأرسل اليها معاوية جيشا كثيفا و أمّر عليهم سفيان بن عوف و أمر ابنه يزيد بالغزاة معهم، فتثاقل يزيد و اعتذر، فأمسك عنه أبوه، فأصاب الناس فى غزاتهم جوع و مرض شديد؛ فأنشد يزيد يقول:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۳۵

ما إن أبالى بما لاقت جموعهم بالغذقذونة من حمّى و من موم

اذا اتّكأت على الأنماط مرتفقا بدير مرّان عندى أمّ كلثوم

- و أمّ كلثوم امرأته و هى ابنة عبد اللّه بن عامر- فبلغ معاوية شعره فأقسم عليه ليلحقنّ بسفيان بأرض الروم ليصيبه ما أصاب الناس، فسار و معه جمع كبير. و كان فى هذا الجيش ابن عباس و ابن عمرو ابن عمرو و ابن الزّبير و أبو أيّوب الأنصارىّ و غيرهم، فأوغلوا فى بلاد الروم [حتى بلغوا القسطنطينيّة]، فاقتتل المسلمون و الروم و اشتدّ الحرب بينهم، فلم يزل عبد العزيز يتعرّض للشهادة فلم يقتل، ثم حمل بعد ذلك عليهم و انغمس بينهم. فشجره الروم برماحهم حتّى قتلوه، فبلغ معاوية قتله فقال لأبيه: هلك و اللّه فتى العرب! فقال أبوه لمعاوية: ابنى أم ابنك؟ فقال:

ابنك، فآجرك اللّه؛ فقال:

فإن يكن الموت أودى به و أصبح مخّ الكلابىّ زيرا

فكلّ فتى شارب كأسه فإمّا صغيرا و إمّا كبيرا

قال مجاهد: صلّيت خلف مسلمة بن مخلّد، فقرأ سورة البقرة فما ترك ألفا و لا واوا.

و قال ابن سعد فى كتاب الطبقات الكبرى من تصنيفه: حدّثنا معن بن عيسى حدّثنا موسى بن علىّ بن رباح عن أبيه عن مسلمة بن مخلّد قال: أسلمت و أنا ابن أربع سنين، و توفّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أنا ابن أربعة عشرة سنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۳۶

و قال محمد بن عمرو: يروى مسلمة بن مخلّد عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم.

ثم قال: و تحوّل الى مصر و نزلها، و كان مع أهل خربتا، و كانوا أشدّ أهل المغرب [و أعدّه]، و كان له بها ذكر و نباهة؛ ثم صار الى المدينة فمات بها فى خلافة معاوية. ا ه.

قلت: و هذا القول يخالف فيه الجمهور. و الذى قاله المؤرّخون: إنه استمرّ على عمله حتى توفّى لخمس بقين من شهر رجب سنة اثنتين و ستين. و كانت ولايته على مصر خمس عشرة سنة و أربعة أشهر. و تولّى مصر من بعده سعيد بن يزيد.

و قال الحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن يونس على ما أخبرنا: شهد مسلمة فتح مصر و اختطّ بها، و ولى الجند لمعاوية بن أبى سفيان و لابنه يزيد بن معاوية؛ و روى عنه من أهل مصر علىّ بن رباح و هشام بن أبى رقيّة و أبو قبيل و هلال ابن عبد الرحمن و محمد بن كعب و غيرهم، توفّى بالإسكندرية سنة اثنتين و ستين فى ذى القعدة.

حدّثنا على بن سعيد الرازى حدّثنا عثمان بن أبى شيبة أخبرنا وكيع حدّثنا موسى ابن علىّ عن أبيه قال: سمعت مسلمة بن مخلّد يقول: ولدت حين قدم النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم المدينة، و توفّى و أنا ابن عشر سنين. قال ابن يونس: هذا الحديث غريب، و قد رواه معن بن عيسى و عبد الرحمن بن مهدىّ و غيرهما عن موسى ابن علىّ. انتهى كلام ابن يونس.

هذا ما وقع لنا من أخبار مسلمة بن مخلّد المذكور، و يأتى ذكره أيضا فى سنى ولايته على مصر كما هى عادتنا فى هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۳۷

*** السنة الأولى من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر و هى سنة ثمان و أربعين- فيها كتب معاوية بن أبى سفيان الخليفة الى زياد لمّا بلغه قتل عبد اللّه بن سوّار:

انظر لى رجلا يصلح لثغر الهند أوجّهه اليه؛ فوجّه اليه زياد سنان بن سلمة الهذلىّ، فولّاه معاوية الهند. و فيها عزل معاوية مروان بن الحكم عن إمرة المدينة بسعيد بن العاص الأموىّ. و فيها قتل بالهند عبد اللّه بن عيّاش بن أبى ربيعة المخزومىّ. و فيها توفّى الحارث بن قيس الجعفىّ الفقيه صاحب عبد اللّه بن مسعود، و قيل: إنه مات فى غير هذه السنة. و فيها كان مشتى عبد الرحمن القينىّ بأنطاكية. و فيها كانت صائفة عبد اللّه بن قيس الفزارىّ. و فيها كانت غزوة مالك بن هبيرة السّكونىّ فى البحر. و فيها استعمل زياد غالب بن فضالة الليثىّ على خراسان، و كانت له صحبة. و فيها حجّ بالناس مروان بن الحكم، و هو يتوقّع العزل لموجدة كانت من معاوية عليه، و ارتجع معاوية منه فدك و كان وهبها له.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و إصبعان.

*** السنة الثانية من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر و هى سنة تسع و أربعين- فيها شتّى مالك بن هبيرة بأرض الروم، و قيل ما شتّى بها إلّا فضالة بن عبيد الأنصارى.

و فيها حجّ بالناس سعيد بن العاص؛ و فيها قتل زياد بالبصرة الخطيم الباهلىّ الخارجىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۳۸

و فيها خرج على المغيرة بن شعبة و هو والى الكوفة شبيب بن بجرة الأشجعىّ، و هو غير شبيب الذى خرج على الحجاج بن يوسف، فوجّه اليه المغيرة كثير بن شهاب الحارثىّ فقتله بأذربيجان. و كان شبيب ممن شهد النهروان. و فيها كانت غزوة فضالة بن عبيد جربة و

شتّى بها، و فتحت على يده و أصاب فيها سبايا كثيرة. و فيها كانت صائفة عبد اللّه بن كرز البجليّ. و فيها كانت غزوة يزيد بن شجرة الرهاويّ بالبحر فشتّى بأهل الشام. و فيها كانت غزوة عقبة بن نافع فى البحر فشتّى بأهل مصر. و فيها عزل مروان عن المدينة بسعيد بن العاص فى شهر ربيع الأوّل، فكانت ولاية مروان ثمانى سنين و شهرين، و كان على قضاء المدينة عبد اللّه بن الحارث بن نوفل فعزله سعيد حين ولّى و استقضى أبا سلمة بن عبد الرحمن. و فيها توفّى الحسن بن علىّ، و الأصحّ أنه فى الآتية، كما سيأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و إصبعان، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و ستة أصابع.

*** السنة الثالثة من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر و هى سنة خمسين من الهجرة- فيها وجّه زياد الربيع الحارثىّ إلى خراسان فغزا بلخ و كانت قد انتقضت بعد رواح الأحنف بن قيس عنها فصالحوا الربيع هذا و رحل عنها و غزا قوهستان فافتتحها عنوة. و فيها أراد معاوية نقل منبر النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم من المدينة و أن يحمل الى الشام، و قال: لا يترك هو و عصا النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة و هم قتلة عثمان، فطلب العصا و هى عند سعد القرظ، و حرّك المنبر فكسفت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۳۹

الشمس حتى رئيت النجوم باديةً، فأعظم الناس ذلك فتركه. و قيل: بل أتاه جابر و أبو هريرة فقالا له: يا أمير المؤمنين، لا يصلح أن يخرج منبر النبى صلى اللّه عليه و سلم من موضع وضعه و تنقل عصاه الى الشام، فانقل المسجد؛ فتركه معاوية و زاد فيه ستّ درجات و اعتذر مما صنع. و فيها افتتح معاوية بن حديج (بضم الحاء المهملة مصغّرا) فتحا كبيرا بالمغرب، و كان قد جاءه عبد الملك بن مروان فى مدد أهل المدينة. و هذه أوّل غزوة لعبد الملك بن مروان. و فيها ولّى معاوية زيادا البصرة و الكوفة معا بعد موت المغيرة بن شعبة، فعزل زياد الربيع عن سجستان و ولّاها لعبيد اللّه بن أبى بكرة. و فيها غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية و كان معه فيها وجوه الناس، و ممن كان معه أبو أيوب الأنصارىّ و قد ذكرناها (أعنى هذه الغزوة فى أصل الترجمة). و فيها توفى السيد حسن بن علىّ ابن أبى طالب رضى اللّه عنه، و كنيته أبو محمد الهاشمىّ، القرشىّ السيد ابن السيد ابن السيدة فاطمة الزّهراء بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، ولد فى شعبان سنة ثلاث من الهجرة، و قيل فى نصف شهر رمضان منها، قاله الواقدىّ. و كان ريحانة النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم و شبيها به. ولى الخلافة بعد موت أبيه علىّ بن أبى طالب فى شهر رمضان سنة أربعين؛ و اجتمع عليه المسلمون و أحبّوه حبّا شديدا و ألزموه حرب معاوية، فسار على كره منه، فلمّا كان فى بعض الطريق اختلف عليه بعض أصحابه فضاق صدره، ثم أرسل الى معاوية يسأله الصلح و يسلّم له الأمر، فوقع ذلك و شقّ على أصحابه و كادت نفوسهم تذهب، و دخل عليه سفيان أحد أصحابه و قال له: السلام عليك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۴۰

يا مذلّ المؤمنين؛ فقال الحسن: لا تقل ذلك، إنى كرهت أن أقتلكم فى طلب الملك.

قال الحافظ الذهبىّ قال أبو بكرة: رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على المنبر و الحسن بن علىّ الى جنبه و هو يقول: «إنّ ابنى هذا سيّد و لعلّ اللّه أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» أخرجه البخارى.

و عن أبى سعيد الخدرىّ قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنة» صحّحه الترمذىّ.

قلت: و مناقب الحسن كثيرة يضيق هذا المحلّ عن ذكرها، و كانت وفاته بالمدينة فى شهر ربيع الأوّل و دفن بالبقيع رضى اللّه عنه. و فيها توفّيت أمّ المؤمنين صفيّة بنت حيىّ بن أخطب بن سعية من سبط لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم عليهم السلام، ثم من ولد هارون أخى موسى عليهما السلام؛ سباها النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم يوم خيبر، و جعل عتقها صداقها و تزوّجها، و ماتت فى هذه السنة و قيل فى سنة ستّ و ثلاثين، و الأوّل أشهر. و فيها كانت بناية مدينة القيروان بالمغرب.

و فيها كان الطاعون العظيم بالكوفة و أميرها المغيرة بن شعبة، و مات فيه بعد أن فرّ منه. و هذا الطاعون رابع طاعون مشهور وقع فى

الإسلام؛ فإن الأوّل كان بالمدائن فى عهد النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم؛ و الثانى طاعون عمواس فى زمان عمر رضى اللّه عنه؛ و الثالث بالكوفة و أميرها أبو موسى الأشعرىّ؛ ثم هذا الطاعون أيضا بالكوفة.

و فيها توفّى المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود، أبو عيسى و يقال أبو محمد،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۴۱

صحابىّ مشهور، و كان من دهاة العرب، يقال له: مغيرة الرأى، و كان كثير الزواج.

قال المغيرة: تزوّجت بسبعين امرأة. و قال مالك: كان المغيرة نكّاحا للنساء، و يقول: صاحب المرأة إن مرضت مرض و إن حاضت حاض؛ و صاحب المرأتين بين نارين تشعلان. و قال ابن المبارك: كان تحت المغيرة أربع نسوة فصفّهنّ بين يديه و قال: أنتنّ حسان الأخلاق، طويلات الأعناق، و لكنّى رجل مطلاق، فأنتنّ الطلاق.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و ستة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و أربعة أصابع.

*** السنة الرابعة من ولاية مسلمة بن مخلد على مصر و هى سنة إحدى و خمسين من الهجرة- فيها حجّ بالناس معاوية و أخذهم ببيعة ابنه يزيد. و فيها كانت مقتلة حجر بن عدىّ و عمرو بن الحمق و أصحابهما. قال ابن الأثير فى تاريخه الكامل قال الحسن: أربع خصال كنّ فى معاوية لو لم تكن فيه إلّا واحدة لكانت موبقة:

انتزاؤه على هذه الأمّة بالسيف حتّى أخذ الأمر من غير مشهورة و فيهم بقايا الصحابة و ذوو الفضيلة، و استخلافه ابنه بعده سكّيرا خمّيرا يلبس الحرير و يضرب بالطنابير، و ادّعاؤه زيادا و قد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «الولد للفراش و للعاهر الحجر»، و قتله حجرا و أصحاب حجر، فيا ويلاه من حجر! و يا ويلاه من أصحاب حجر!! و فيها توفى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزّى أبو الأعور القرشىّ العدوىّ الصحابىّ؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۴۲

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، كان أميرا على ربع المهاجرين، و ولى دمشق نيابة عن أبى عبيدة بن الجرّاح و شهد فتحها، و شهد مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم المشاهد كلها بعد بدر. و قال الواقدىّ: توفّى سنة إحدى و خمسين، و هو ابن بضع و سبعين سنة، و قبره بالمدينة و نزل فى قبره سعد و ابن عمر، و كان رجلا آدم طويلا أشعر. و فيها توفّى أبو أيّوب الأنصارىّ خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد [بن] عوف بن غنم بن مالك بن النجّار، الخزرجىّ النجّارىّ المدنىّ الصحابىّ، شهد بدرا و العقبة، و عليه نزل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لمّا قدم المدينة فبقى فى داره شهرا حتى بنيت حجرته و مسجده، و كان من نجباء الصحابة رضى اللّه عنهم أجمعين. و فيها توفّيت أمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلاليّة، تزوّجها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم سنة سبع من الهجرة، و روى عنها مولياها عطاء و سليمان ابنا يسار و ابن أختها يزيد بن الأصمّ و ابن أختها عبد اللّه بن عباس و ابن أختها عبد اللّه ابن شدّاد بن الهاد و جماعة أخر؛ و كانت قبل النبى صلى اللّه عليه و سلم عند أبى رهم ابن عبد العزّى العامرىّ فتأيّمت منه، فخطبها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فجعلت أمرها الى العبّاس فزوّجها منه، و بنى بها بسرف بطريق مكة لمّا رجع من عمرة القضاء، و هى أخت لبابة الكبرى زوجة العبّاس و لبابة الصغرى أمّ خالد بن الوليد، و أخت أسماء بنت عميس لأمّها، و أخت زينب بنت خزيمة أيضا لأمّها.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و خمسة أصابع، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و ثلاثة و عشرون إصبعا. و فى درر التيجان: و ستة و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۴۳

*** السنة الخامسة من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر و هى سنة اثنتين و خمسين- فيها شتّى بسر بن أبى أرطاة بأرض الروم (و هو بضم الموحّدة و سكون السين المهملة).

و فيها حجّ بالناس سعيد بن العاص. و فيها توفّى أبو أيّوب الأنصارى، و اسمه خالد بن زيد فى قول بن الأثير، كان من نجباء الصحابة،

شهد العقبة و بدرا و أحدا و قد تقدّم ذكره و وفاته فى سنة تسع و أربعين. و فيها توفى كعب بن عجرة ولد خمس و سبعون سنة.

و فيها صالح عبيد اللّه بن أبى بكرة الثقفىّ رتبيل و بلاده على ألف ألف درهم.

و فيها ولد يزيد بن أبى حبيب فقيه أهل مصر. و فيها توفّى عمران بن الحصين بن عبيد ابن خلف، أبو نجيد (بضم النون مصغرا)، الخزاعىّ صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ولى قضاء البصرة، كان عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه بعثه اليهم ليفقّههم. و فيها توفّى معاوية بن حديج التّجيبىّ الكندىّ، و قد تقدّم من أخباره نبذ كثيرة فيما تقدّم.

و هو من كبار العثمانية و ممن كان بخربتا و حارب جيش علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه و قتل محمد بن أبى بكر الصدّيق و كان من أنياب العرب و كبارها. و فيها خرج زياد بن خراش العجلىّ فى ثلثمائة فارس فأتى أرض مسكن من السواد، فسيّر اليه زياد خيلا عليها سعد بن حذيفة أو غيره. فقتلوهم و قد صاروا الى ماه. و خرج أيضا على زياد رجل من طيّئ يقال له معاذ، فأتى نهر عبد الرحمن بن أمّ الحكم فى ثلاثين رجلا، فبعث اليه زياد من قتله و قتل أصحابه، و قيل بل حلّ لواءه و استأمن؛ و يقال لهم أصحاب نهر عبد الرحمن.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و ثلاثة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۴۴

*** السنة السادسة من ولاية مسلمة بن مخلد على مصر و هى سنة ثلاث و خمسين- فيها استعمل معاوية على الكوفة الضحّاك بن قيس الفهرىّ بعد موت زياد بن أبيه، و استعمل على البصرة سمرة بن جندب، و عزل عبيد اللّه ابن أبى بكرة عن سجستان و ولّاها لعبّاد بن زياد بن أبيه، فغزا عبّاد المذكور قندهار حتى بلغ بيت الذهب، فجمع له الهند جمعا هائلا، فقاتلهم عبّاد حتى هزمهم، و لم يزل على إمرة سجستان حتى توفّى معاوية بن أبى سفيان. و فيها توفّى عبد الرحمن ابن أبى بكر الصدّيق فى نومة نامها، و اسم أبى بكر عبد اللّه بن أبى قحافة عثمان التيمىّ القرشىّ الصحابىّ، مات بمكة و كان شجاعا راميا، أسلم قبل الفتح. و فيها توفّى عمرو بن حزم الخزرجىّ الصحابىّ، استعمله النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم على نجران، و كان من نجباء الصحابة. و فيها شتّى عبد الرحمن بن أمّ الحكم بأرض الروم. و فيها أقام الموسم سعيد بن العاص. و فيها أمّر معاوية على خراسان عبيد اللّه بن زياد.

و فيها قتل عابد بن ثعلبة البلوىّ أحد الصحابة، قتله الروم بالبرلّس. و فيها فتحت رودس (جزيرة فى البحر) فتحها جنادة بن أبى أميّة الأزدىّ و نزلها المسلمون و هم على حذر من الروم، و كانوا أشدّ شىء على الروم يعترضونهم فى البحر و يأخذون سفنهم، و كان معاوية يدرّ لهم العطاء، و كان العدوّ قد خافهم، فلمّا مات معاوية أقفلهم ابنه يزيد. و فيها توفّى زياد بن أبيه، كان ولى الكوفة و البصرة و العراق لمعاوية، و كان من دهاته؛ و قال مسكين الدارمىّ يرثيه بقوله:

رأيت زيادة الإسلام ولّت جهارا حين ودّعنا زياد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۴۵

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و سبعة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و أربعة أصابع.

*** السنة السابعة من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر و هى سنة أربع و خمسين- فيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن إمرة المدينة و ولّاها لمروان بن الحكم ثانية.

و فيها غزا عبيد اللّه بن زياد و قطع النهر و عدّى الى بخارا على الإبل، فكان أوّل عربىّ قطع النهر، و افتتح بها البلاد. و فيها وجّه الضحّاك بن قيس من الكوفة ابن هبيرة الشيبانىّ الى غزو طبرستان، فصالحه أهلها على خمسمائة ألف درهم. و فيها عزل معاوية سمرة ابن جندب عن البصرة و ولّاها لعبد اللّه بن عمرو بن غيلان الثقفىّ. و فيها حجّ بالناس مروان بن الحكم أمير المدينة، و قال ابن الأثير: سعيد بن العاص، و كان عامل المدينة. و فيها توفّى أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبىّ، حبّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و ابن حبّه و مولاه، كنيته أبو زيد، و قيل أبو محمد، و قيل أبو حارثة. ففى الصحيح عن أسامة قال: كان النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم

يأخذنى و الحسين و يقول: «اللهمّ إنى أحبّهما فأحبّهما». و أمّه أمّ أيمن بركة حاضنة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و مولاته، و كان أسود كالليل و أبوه أبيض أشقر، قاله إبراهيم بن سعد. و فيها توفّى ثوبان مولى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. و فيها توفّى جبير بن مطعم بن عدىّ بن نوفل النوفلىّ الصحابىّ، أسلم بعد بدر و حضر عدّة مشاهد مع النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم. و فيها توفّى حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۴۶

النجّارىّ الصحابىّ شاعر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم المؤيّد بروح القدس و عاش هو و أبوه و جدّه و جدّ أبيه كل واحد مائة و عشرين سنة. و فيها توفى سعيد بن يربوع المخزومىّ الصحابىّ عن مائة و عشرين سنة أيضا، أسلم فى الفتح. و فيها توفّى عبد اللّه ابن أنيس الجهنىّ الصحابىّ حليف الأنصار شهد العقبة. و فيها توفّى حكيم بن حزام ابن خويلد بن أسد أبو خالد الأسدىّ الصحابىّ ابن أخى خديجة زوجة النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، أسلم فى الفتح و كان سيّدا شريفا، ولد فى جوف الكعبة و أعتق فى الجاهلية و الإسلام مائتى رقبة و جاوز مائة السنة من العمر. و فيها توفى أبو قتادة الأنصارىّ السّلمىّ فارس رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و اسمه الحارث بن ربعىّ. و كان من نجباء الصحابة رضى اللّه عنهم. و فيها توفّى مخرمة بن نوفل الزّهرىّ الصحابىّ عن مائة و خمس عشرة سنة، و كان من المؤلّفة قلوبهم، و المسور هو ابنه. و فيها مات فيروز الدّيلمىّ و كانت له صحبة و كان مع معاوية و استعمله على صنعاء. و فيها مات فضالة ابن عبيد الأنصارىّ بدمشق و كان قاضيها، و قيل فى موته غير ذلك، شهد أحدا و ما بعدها. و خرجت هذه السنة و على الكوفة عبد اللّه بن خالد بن أسيد، و على البصرة سمرة، و على خراسان خليد بن يربوع الحنفى (و أسيد بفتح الهمزة و كسر السين المهملة و سكون الياء المعجمة باثنتين من تحت).

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و ثلاثة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و ثمانية أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۴۷

*** السنة الثامنة من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر و هى سنة خمس و خمسين- فيها عزل معاوية عن البصرة عبد اللّه الثقفىّ و ولّاها لعبيد اللّه بن زياد. و فيها حجّ بالناس مروان بن الحكم أمير المدينة. و فيها عزل معاوية عبد اللّه بن خالد عن الكوفة و ولّاها الضحّاك بن قيس. و فيها توفى أبو اليسر (بفتح الياء المثناة من تحت و السين) السّلمىّ (بفتحتين أيضا) اسمه كعب بن عمرو، و هو من أعيان الصحابة الأنصار، و هو الذى أسر العباس يوم بدر و شهد العقبة مع النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم و له عشرون سنة. و فيها توفّى سعد بن أبى وقّاص و اسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب بن مرّة، كنيته أبو إسحاق الزّهرىّ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة و أحد السابقين الأوّلين، كان يقال له: فارس الإسلام، و هو أوّل من رمى بسهم فى سبيل اللّه، و كان مقدّم الجيوش فى فتح العراق، و كان مجاب الدعوة كثير المناقب و شهد بدرا. و روى عثمان بن عبد الرحمن عن الزّهرىّ قال: بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم سريّة فيها سعد بن أبى وقّاص الى رابغ و هى من جانب الجحفة، فانكفأ المشركون على المسلمين فحماهم سعد يومئذ بسهامه، و هو أوّل قتال كان فى الإسلام؛ فقال سعد:

ألا هل اتى رسول اللّه أنّى حميت صحابتى بصدور نبلى

فما يعتدّ رام فى عدوّ بسهم يا رسول اللّه قبلى

و فيها توفّى الأرقم بن أبى الأرقم المخزومىّ، و هو الذى كان النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم يختفى فى داره بمكة، و كان عمره ثمانين سنة و زيادة، و قيل مات يوم مات أبو بكر الصدّيق رضى اللّه عنه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۴۸

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و إصبعان، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و ستة أصابع.

*** السنة التاسعة من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر و هى سنة ست و خمسين- فيها عزل معاوية عبيد اللّه بن زياد عن خراسان و

ولّى عليها سعيد بن عثمان بن عفان، فغزا سعيد سمرقند و معه المهلّب بن أبى صفرة الأزدىّ و طلحة الطلحات و أوس بن ثعلبة، و خرج إليه الصّغد فقاتلوه فألجأهم الى مدينتهم، فصالحوه و أعطوه رهائن. و فيها شتّى المسلمون بأرض الروم. و فيها توفّيت أمّ المؤمنين جويرية المصطلقيّة، و قيل: إنها ماتت فى سنة خمسين، و هى جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقىّ، سباها النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم يوم المريسيع فى السنة الخامسة، و كان اسمها برّة فغيّر النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم اسمها و تزوّجها و جعل صداقها عتق جماعة من قومها، ثم قدم أبوها الحارث بن أبى ضرار على النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم.

و عن جويرية قالت: تزوّجنى النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم و أنا بنت عشرين سنة، و كانت قبل النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم عند ابن عمّهاصفوان ذى الشّفر. و فيها غزا يزيد بن شجرة فى البحر، و فى البرّ عياض بن الحارث. و فيها اعتمر معاوية فى رجب.

و حجّ بالناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان. و فيها كانت البيعة ليزيد بن معاوية بولاية العهد. و فيها توفّى عبد اللّه بن قرط الأزدىّ الصحابى أمير حمص.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۴۹

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبعة أذرع و سبعة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و إصبعان.

*** السنة العاشرة من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر و هى سنة سبع و خمسين- فيها وجّه معاوية حسان بن النعمان الغسّانىّ إلى إفريقية، فصالحوه من يليه من البربر و ضرب عليهم الخراج و بقى عليها حتى توفّى معاوية و تخلّف ابنه يزيد. و فيها عزل معاوية الضحّاك عن الكوفة و ولّاها عبد الرحمن بن أمّ الحكم. و فيها عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة و أمّر عليها الوليد بن عتبة بن أبى سفيان.

و فيها عزل معاوية سعيد بن عثمان عن خراسان و أعاد عليها عبيد اللّه بن زياد.

و فيها شتّى عبد اللّه بن قيس بأرض الروم. و فيها توفّى السائب بن أبى وداعة السهمىّ الصحابىّ و كان أسر يوم بدر و أسلم بعد ذلك.

و فيها توفى عثمان بن طلحة ابن شيبة العبدرى، و قيل فى سنة تسع و خمسين و هو جدّ بنى شيبة حجبة الكعبة، و أسلم يوم الفتح، و قيل يوم حنين. و فيها غزا مالك بن عبد اللّه الخثعمىّ أرض الروم و عمرو بن يزيد الجهنى فى البحر، و قيل جنادة بن أبى أميّة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و اثنا عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و خمسة عشر إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۰

*** السنة الحادية عشرة من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر و هى سنة ثمان و خمسين- فيها غزا عقبة بن نافع من قبل مسلمة بن مخلّد القيروان و اختطّ عقبة مدينة القيروان و ابتناها. و فيها توفّيت أمّ المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصدّيق رضى اللّه عنهما فقيهة نساء هذه الأمّة، و كنيتها أمّ عبد اللّه التيميّة، دخل بها النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم فى شوّال بعد بدر و لها من العمر تسع سنين، و هى أحبّ نساء النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم اليه بعد خديجة، روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، و قالت: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوما: «يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام» فقالت: عليه السلام و رحمة اللّه و بركاته، ترى ما لا أرى. و عن عائشة: أنّ جبريل جاء بصورتها فى خرقة حرير خضراء إلى النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم فقال: هذه زوجتك فى الدنيا و الآخرة. رواه الترمذىّ و حسّنه.

قلت: و فضل و مناقب عائشة كثيرة و كانت وفاتها فى شهر رمضان، و قال الواقدىّ: فى ليلة سابع عشر رمضان و دفنت بالبقيع ليلا، فلم ترليلة أكثر ناسا منها، و صلى عليها أبو هريرة، و ماتت و لها ستّ و ستون سنة رضى اللّه عنها. و فيها عزل معاوية الضحّاك بن قيس عن الكوفة و استعمل عوضه عبد الرحمن بن عبد اللّه الثقفىّ و هو ابن أمّ الحكم و هو ابن أخت معاوية، و فى عمله فى هذه السنة خرجت الخوارج الذين كان المغيرة بن شعبة حبسهم، فجمعهم حيان بن ظبيان السّلمىّ و معاذ بن جوين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۱

الطائىّ فخطباهم و حثّاهم على الجهاد، فبايعوا حيّان بن ظبيان و خرجوا [إلى بانقيا] فسار الجيش إليهم من الكوفة فقتلوهم جميعا؛ ثم إنّ عبد الرحمن بن أمّ الحكم طرده أهل الكوفة لسوء سيرته فلحق بخاله معاوية فولّاه مصر فاستقبله معاوية بن حديج على مرحلتين من مصر فقال: ارجع الى خالك فلا تسرفينا سيرتك فى إخواننا أهل الكوفة، فرجع الى معاوية؛ ثم توجّه ابن حديج الى معاوية فى السنة يعاتبه كما نذكره إن شاء اللّه تعالى بعد وفاة أبى هريرة. و فيها توفّى أبو هريرة و قيل فى التى بعدها، و الأكثر على أنّ وفاته فى هذه السنة. و فى اسم أبى هريرة و اسم أبيه أقوال كثيرة.

قال أبو عبد اللّه الذهبىّ: أشهرها عبد الرحمن بن صخر، و كان اسمه قبل الإسلام عبد شمس. و قال: كنّانى أبى بأبى هريرة لأنى كنت أرعى غنما فوجدت أولاد هرّة و حشيّة فأخذتها، فقال: أنت أبو هريرة. و هو من المكثرين من الصحابة، و هو دوسىّ، و دوس: قبيلة من الأزد، و مات و له ثمان و سبعون سنة. و فيها وفد معاوية ابن حديج على معاوية بن أبى سفيان الخليفة، و كان اذا قدم معاوية على معاوية زيّنت له الطرق [بقباب الرّيحان] تعظيما لشأنه، فدخل على معاوية و عنده أخته أمّ الحكم، فقالت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: بخ بخ! هذا معاوية بن حديج؛ فقالت: لا مرحبا «سماعك بالمعيدىّ خير من أن تراه»؛ فسمعها معاوية ابن حديج فقال: على رسلك يا أمّ الحكم، و اللّه لقد تزوّجت فما أكرمت، و ولدت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۵۲

فما أنجبت، أردت أن يلى ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار فى أهل الكوفة! ما كان اللّه ليريه ذلك، و لو فعله لضربناه ضربا يطأطئ منه و لو كره هذا القاعد (يعنى خاله معاوية)؛ فالتفت إليها معاوية و قال لها: كفّى، فكفّت عن الكلام.

و فيها توفّى عبيد اللّه بن العباس بن عبد المطلب، أحد الأجواد و له صحبة و رواية.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و أربعة عشر إصبعا. و فى درر التّيجان: و أربعة و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و أحد عشر إصبعا.

*** السنة الثانية عشرة من ولاية مسلمة بن مخلد على مصر و هى سنة تسع و خمسين- فيها شتّى عمرو بن مرّة بأرض الروم فى البرّ. و فيها حجّ بالناس الوليد بن عتبة، و قيل عثمان بن محمد بن أبى سفيان. و فيها غزا أبو المهاجر دينار فنزل على قرطاجنّة و خرج إليه أهلها فالتقوا و كثر القتل بين الفريقين حتى حجز الليل بينهم، و انحاز المسلمون من ليلتهم فنزلوا جبلا فى قبلة بولس، ثم عاودوهم و صالحوهم على أن يخلوا لهم الجزيرة، ثم افتتح أبو المهاجر المذكور ميلة، و كانت إقامته بها فى هذا الغزو نحوا من سنتين. و فيها توفّى عبد اللّه بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس القرشىّ العبشمىّ أبو عبد الرحمن. قال الذهبىّ:

رأى النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و له حديث، و هو: «من قتل دون ماله فهو شهيد»، و روى عنه حنظلة بن قيس. و أسلم والده يوم الفتح. و فيها توفى مرّة بن كعب البهزىّ السلمىّ له صحبة. و فيها توفى سعيد بن العاص بن أبى أحيحة بن سعيد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۵۳

ابن العاص بن أمية، أمير الكوفة لعثمان، و كان فصيحا سخيّا، ولد بعيد الهجرة، و هلك أبوه يوم بدر. و فيها توفى شيبة بن عثمان بن أبى طلحة العبدرىّ حاجب الكعبة ابن أخت مصعب بن عمير، شهد خيبر كافرا و نيّته اغتيال النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم ثم أسلم يومئذ. و فيها توفى أبو محذورة، و اسمه الياس و قيل سمرة ابن معير الجمحىّ، مؤذّن النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم و كان من أندى الناس صوتا.

و خرجت هذه السنة و الوالى على الكوفة النعمان بن بشير، و على البصرة عبيد اللّه بن زياد، و على المدينة الوليد بن عتبة، و على خراسان عبد الرحمن بن زياد، و على سجستان عبّاد بن زياد، و على كرمان شريك بن الأعور.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و سبعة عشر إصبعا.

و فى كتاب درر التيجان: و سبعة و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و أحد عشر إصبعا.

*** السنة الثالثة عشرة من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر و هى سنة ستين- فيها توفى الخليفة أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان، و اسم أبى سفيان صخر بن حرب ابن أميّة بن عبد شمس أبو عبد الرحمن القرشىّ الأموىّ، و أمّه هند بنت عتبة بن ربيعة، و أسلم معاوية قبل أبيه فى عمرة القضاء، و بقى يخاف من الخروج الى النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم من أبيه، ولى إمرة الشام لعمر ثم لعثمان، ثم نازع عليّا الخلافة حتى وليها من بعده فى سنة أربعين من الهجرة بعد موت علىّ بن أبى طالب و بعد أن سلّم اليه الحسن بن علىّ الأمر، بعد أمور وقعت مع على و ابنه الحسن رضى اللّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۴

عنهما. قال الذهبىّ: و أظهر إسلامه يوم الفتح، و كان رجلا طويلا أبيض جميلا مهيلا اذا ضحك انقلبت شفته العليا، و كان يخضّب بالصفرة ا ه.

قلت: و هو كاتب النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم و أخو زوجته أمّ حبيبة بنت أبى سفيان المقدّم ذكرها. و كانت وفاة معاوية فى شهر رجب و له سبع و سبعون سنة، و تولى ابنه يزيد الخلافة من بعده. و فيها كانت غزوة مالك بن عبد اللّه سوريّة.

و فيها أيضا كان دخول جنادة رودس و هدم بيوتها فى قول بعضهم. و فيها توفى أبو عبد الرحمن بلال بن الحارث المزنىّ الذى أقطعه النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم معادن القبليّة، عاش ثمانين سنة. و فيها توفى أبو حميد الساعدىّ المدنىّ الصحابىّ أحد من نزل البصرة من الصحابة، و هو الذى وصف صلاة النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم. و فيها توفى سمرة بن جندب الصحابىّ الفزارىّ. و فيها حج بالنّاس عمرو بن سعيد الأشدق، و كان العامل على مكة و المدينة. و فيها توفيت الكلابيّة التى استعاذت من النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم لما تزوّجها ففارقها، و كان قد أصابها جنون.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و ثلاثة أصابع

*** السنة الرابعة عشرة من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر و هى سنة إحدى و ستين- فيها كانت مقتلة السيد الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه ريحانة النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم و ابن بنته فاطمة بكربلاء فى يوم عاشوراء، و قصته

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۵

طويلة يجرح ذكرها القلوب، غير أننا نختصر منها ما نعرّف به وفاته و كيفيّة خروجه حتى ظفر به.

و هو أنه لمّا ولى يزيد بن معاوية الخلافة بعد موت أبيه بايع الناس السيد الحسين بالخلافة و خرج فى جموعه بعد أن خلع الفاسق يزيد المذكور من الخلافة، فانتدب لقتاله بأمر يزيد ابن مرجانة (أعنى عبيد اللّه بن زياد) و قاتله حتى ظفر به و قتله بعد أمور و حروب. و كان قاتل الحسين رضى اللّه عنه الشّمر اللعين الطريد من رحمة اللّه، قتله بكربلاء. و قتل مع الحسين من إخوته لأبيه جعفر و عتيق و محمد و العباس الأكبر بنو علىّ، و ابن الحسين الأكبر علىّ، و هو غير علىّ زين العابدين، و ابنه عبد اللّه، و ابن أخيه القاسم بن الحسن، و محمد بن عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب، و أخوه عون، و قتل معه أيضا عبد اللّه و عبد الرحمن ابنا مسلم بن عقيل رضى اللّه عنهم أجمعين.

و لما جىء برأس الحسين الى عبيد اللّه بن زياد جعل ينكت بقضيب على ثناياه و قال: إن كان لحسن الثغر! فقال له أنس: لقد رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقبّل موضع قضيبك من فيه. ثم بعث بالرأس الى يزيد بن معاوية، فلما حضروا برأس الحسين عند يزيد أنشد.

نفلّق هاما من أناس أعزّة علينا و هم كانوا أعقّ و أظلما

و فيها توفى عثمان بن زياد بن أبيه أخو عبيد اللّه بن زياد المذكور، مات شابا و سنة ثلاث و ثلاثون سنة. و فيها توفيت أمّ المؤمنين أمّ سلمة، و اسمها هند بنت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۶

أبى أميـة بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم المخزومية، زوجة النّبىّ صـلى اللّه عليه و سـلم و هى بنت عم أبى جهل و بنت عمّ خالد بن الوليد، بنى بها النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم فى سنة ثلاث من الهجرة، و كانت قبله عند الرجل الصالح أبى سلمة بن عبد الأسد و هو أخو النّبىّ صـلى اللّه عليه و سـلم، و كـانت من أجمـل النسـاء، و طـال عمرهـا و عـاشت تسـعين سـنة و أكثر، و هى آخر أمّهـات المؤمنين وفاة، و قد حزنت على الحسـين و بكت عليه كثيرا. و فيها توفى حمزة بن عمرو الأسـلمىّ المدنىّ الذى له صـحبة. و فيها حجّ بالناس الوليـد بن عتبة. و فيها توفى جابر بن عتيك الأنصارىّ، و قيل جبر، و له إحدى و تسـعون سـنة و شـهد بدرا. و فيها توفى علقمة بن قيس النخعىّ صاحب عبـد اللّه ابن مسـعود على خلف فى وفاته. و فيها توفى خالد بن عرفطة العذرىّ الصـحابىّ له صـحبة و رواية، روى عنه عبد اللّه بن يسار و أبو إسحاق، و كان ولى الكوفة لزياد ابن أبيه.

أمر النيل فى هـذه السـنة- الماء القـديم سـبعة أذرع و سـتة أصابع، مبلغ الزيادة سـبعة عشـر ذراعا و أربعـة أصابع. و فى درر التيجان: و ثمانية أصابع.

*** السنة الخامسة عشرة من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر و هى سنة اثنتين و ستين- و هى التى مات فيها مسلمة بن مخلّد صاحب الترجمـة. و فيهـا توفى أبو مسـلم الخولانىّ اليمانى الزاهـد سـيد التابعين بالشأم، و اسـمه عبـد اللّه بن ثوب، و قيل ابن عبيـد، و قيل ابن مشكم، و قيل اسمه يعقوب بن عوف؛ قدم المدينة من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۵۷

اليمن فى خلافـة أبى بكر الصدّيق، و كان أسـلم فى زمن النّبىّ صـلى اللّه عليه و سـلم. و فيها ولّى عبيد اللّه بن زياد أمير العراق المنذر بن الجـارود العبـدىّ على السّـند. و فيهـا غزا سالم خوارزم فصالحوه على مال. و فيها حـجّ بالناس عثمان بن محمـد بن أبى سـفيان بن حرب، و قال ابن الأثير: الوليد بن عتبة. و فيها توفى علقمة بن قيس بن عبد اللّه بن مالك أبو شبل النخعىّ الكوفىّ الفقيه المشهور خال إبراهيم النخعىّ، قال الذهبى:

أدرك الجاهلية و سمع عمر و عثمان و عليا و ابن مسعود و أبا الدرداء و سعد بن أبى وقّاص و عائشة و جماعة أخر، و قد ألقاه الأسود الكذّاب فى النار فلم تضـرّه. قاله إسـماعيل ابن عيّاش عن شرحبيل بن مسلم. قلت: الأسود الذى كان ادّعى النبوّة. و فيها ولد محمد بن علىّ بن عبـد اللّه بن عباس والد السـفّاح و المنصور. و فيها توفى بريدة بن الحصـيب الأسـلمىّ الصـحابىّ مات بمرو، و كان أسـلم قبل بـدر. و فيها توفى عبـد المطلب ابن ربيعـة بن الحارث بن عبد المطلب ابن ابن عمّ النّبىّ صـلى اللّه عليه و سـلم، له صـحبة، و أخرج له مسلم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و ثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و أربعة أصابع.

ذكر ولاية سعيد بن يزيد على مصر

هو سـعيد بن يزيد بن علقمة بن يزيد بن عوف الأزدىّ أمير مصـر من أهل فلسـطين، ولّى إمرة مصر بعد موت مسلمة بن مخلّد من قبل يزيد بن معاوية بن أبى سـفيان و دخلها فى مستهلّ شهر رمضان سنة اثنتين و ستين من الهجرة، و تلقّاه أهل مصر و وجوه الناس و فيهم عمرو الخولانىّ، فلما رآه قال: يغفر اللّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۵۸

لأمير المؤمنين، أما كان فينا مائـة شابّ كلهم مثلك يولّى علينا أحدهم! ثم دخلوا معه. و لم يزل أهل مصـر على الشّـنآن له و الإعراض عنه و التكبّر عليه حتى توفّى يزيد ابن معاوية و دعا عبد اللّه بن الزبير الناس لبيعته و قامت أهل مصـر بدعوته و سار منهم جماعة كثيرة إليه، فبعث عبد اللّه بن الزبير عبد الرحمن بن جحدم أميرا على مصر، و اعتزل سعيد المذكور، فكانت ولايته سنتين إلا شهرا واحدا.

و قال صاحب كتاب «البغية و الاغتباط فيمن ملك الفسـطاط»: ولّاه يزيد ابن معاوية على مصـر فقدمها فى اسـتهلال شـهر رمضان سـنة

اثنتين و ستين، فأقرّ عابسا على الشّرطة؛ ثم ساق نحوا مما قلناه، الى أن قال: و كانت مدّته على مصر سنتين و أشهرا.

قلت: و فى مـدّة هاتين السـنتين وقع له حروب كثيرة شـرقا و غربا، فأما من جهـة الشـرق فكانت الفتن ثائرة بين ابن الزبير و بين الأمويّة حتى قـدم ابن جحـدم الى مصـر و ملكها منه و دعا بها لابن الزبير، هذا مع الفتن التى كانت ببلاد المغرب من خروج كسـيلة البربرىّ و تجرّد بسببه غير مرّة الى برقة و غيرها.

و أمر كسيلة البربرىّ: أنه كان أسلم لمّا ولّى أبو المهاجر إفريقية و حسن إسلامه، فكان من أكابر البربر و صحب أبا المهاجر، فلمّا ولّى عقبـة بن نـافع إفريقيـة عرّفه أبو المهـاجر محلّ كسـيلة و أمره بحفظه، فلم يقبل و اسـتخفّ به، و أتى عقبـة بغنم فأمر كسـيلة بـذبحها و سلخها مع السـلّاخين؛ فقال كسـيلة: هؤلاء غلمانى يكفوننى المؤونـة؛ فشـتمه عقبـة و أمره بسـلخها ففعل؛ فنصـح أبو المهاجر عقبـة فلم يسمع؛ فقال: و إن كان لا بدّ فأوثقه فإنى أخاف عليك منه فتهاون به عقبة فأضمر كسيلة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۹

الغدر، فلمّا كان الآن و رأى القوم قلّة مع عقبة توثّب، و كان فى عسـكر عقبة جماعة وافقوا كسـيلة، ثم راسـلته الروم فأظهر كسيلة منذ ذلـك مـا كـان أضـمر و جمع أهله و بنى عمّه و قصـد عقبـة؛ فقـال أبو المهاجر لعقبـة: عاجله قبل أن يقوى جمعه، و كان أبو المهاجر موثقـا فى الحديـد مع عقبـة، فزحف عنه عقبـة إلى كسـيلة، فتنحّى كسـيلة عن طريقه ليكثر جمعه و يتعب عقبـة؛ فلمّا رأى أبو المهاجر ذلك تمثّل بقول أبى محجن الثقفىّ:

كفى حزنا أن تطعن الخيل بالقنا و أترك مشدودا علىّ وثاقيا

اذا قمت عنّانى الحديد و أغلقت مصارع من دونى تصمّ المناديا

فبلغ عقبـة ذلك، فأطلقه و قال له: الحق بالمسـلمين فقم بأمرهم و أنا أغتنم الشـهادة؛ فلم يفعل و قال: و أنا أيضا أريد الشـهادة؛ فكسـر عقبة و المسـلمون أجفان سـيوفهم و تقدّموا الى البربر و قاتلوهم حتى قتل المسـلمون جميعهم و لم يفلت منهم أحد، و أسـر محمد بن أوس الأنصارىّ فى نفر يسير فخلّصهم صاحب قفصة و بعث بهم الى القيروان، فعزم زهير بن قيس البلوىّ على القتال فلم يوافقه جيش الصـنعانىّ و عاد الى مصـر و تبعه أكثر الناس من العساكر المصرية من جند سعيد صاحب مصر، فاضطرّ زهير الى العود معهم فسار الى برقة و أقام بها، و بعث يستمدّ المصريين، و وقع له أمور إلى أن ملك إفريقية فى سنة تسع و ستين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۰

و أما كسـيلة فاجتمع اليه جميع أهل إفريقية و قصد القيروان، و بها أصـحاب الأثقال و الذرارى من المسـلمين، فطلبوا الأمان من كسيلة فآمنهم، و دخل القيروان و اسـتولى على إفريقيـة و أقام بها من غير مـدافع الى أن قوى أمر عبـد الملك بن مروان و ندب زهيرا ثانية و أمدّه بالعساكر حتى استولى على إفريقية و دعا بها لعبد الملك ابن مروان. و كان زهير بن قيس المذكور فى هذه المدّة مرابطا ببرقة و من ولى من أمراء مصر يعضّده الى أن كان ما كان.

*** السـنة الأولى من ولايـة سـعيد بن يزيـد على مصـر و هى سـنة ثلاث و ستين- فيهـا غزا عقبـة بن نافع القيروان و سار حتى دخل السّوس الأقصى و غنم و سلم و ردّ من القيروان، فلفيه كسيلة النصرانىّ فدافعه عقبة بمن معه فاستشهد عقبة بن نافع المذكور فى الوقعة و أبو المهاجر مولى الأنصار و عامّـة أصـحابهما، ثم سار كسـيلة فخرج لحربه زهير بن قيس البلوىّ خليفـة عقبـة على القيروان و واقعه، فـانهزم زهير الى برقـة و أقـام بهـا سـنين إلى أن نـدبه عبـد الملك بن مروان لقتاله ثانيا، فتوجّه إليه و واقعه، فقتل اللعين كسـيلة و هزم جنوده و قتلت منهم مقتلـة عظيمـة، و قـد مرّ ذلك كله فى أوّل الترجمـة مفصـلا. و فيها بعث سالم بن زياد بن أبيه طلحـة بن عبـد اللّه الخزاعىّ واليا على سجسـتان و أمره أن يفـدى أخاه من الأسـر ففداه بخمسـمائة ألف و أقدمه على أخيه. و فيها كانت وقعة الحرّة على باب طيبة، و هو أنّ يزيد بن معاوية بعث إليها جيشا عليهم مسلم بن عقبة حين خالفوا عليه و أمره بهتك حرمة المدينة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۱

و كان مع مسلم اثنا عشر ألفا، فوصل مسلم المذكور إلى المدينة و فعل فيها ما لا يفعله مسلم، فإنه قتل فى هذه الوقعة خلقا من المهاجرين و الأنصار و انتهكت حرمة المدينة و انتهبت و افتضّت فيها ألف عذراء، و استشهد فيها عبد اللّه بن حنظلة الغسيل فى ثمانية من بيته، و له صحبة و رواية، و قتل فيها أيضا معقل بن سنان الأشجعىّ صبرا، و استشهد أيضا عبد اللّه بن زيد بن عاصم المازنىّ النجارىّ، و له صحبة و رواية، و استشهد فيها أيضا أفلح مولى أبى أيّوب، و محمد بن عمرو بن حزم الأنصارىّ ولد فى حياة النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس حنّكه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بريقه، و معاذ بن الحارث الأنصارىّ أبو حليمة القارى الذى أقامه عمر يصلّى التراويح، و توفّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و له ستّ سنين، و محمد بن أبى الجهم بن حذيفة، و محمد بن أبى حذيفة العدوىّ؛ كل هؤلاء قتلوا يومئذ؛ و هذا مما اختصرته من مقالة الذهبىّ.

و قد ذكر هذه الواقعة أيضا أبو المظفّر، و ساق فيها أمورا شنيعة إلى الغاية، و فيها ذكرناه كفاية يعرف منها حال مسلم بن عقبة المذكور. و يكفيك أنه من يومئذ سمّى مسلم المذكور «مسرف بن عقبة». و قيل: إنه أدرك النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، يأتى ذكر ذلك فى وفاته قريبا. انتهى أمر مسرف بن عقبة. و قال خليفة: جميع من أصيب من قريش و الأنصار يوم الحرّة ثلاثمائة و ستة رجال، ثم سرد أسماءهم فى ثلاث أوراق. و فيها توفّى مسروق بن الأجدع، و اسم الأجدع عبد الرحمن بن مالك بن أميّة أبو عائشة الهمدانىّ ثم الوداعىّ الكوفىّ مخضرم (أعنى أنه ولد فى زمان النبى صلى اللّه عليه و سلم و أسلم بعد ذلك) و سمع أبا بكر و عمر و عثمان و غيرهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۲

و ممن قتل ايضا فى الحرّة زيد بن عاصم و ليس هو بصاحب الأذان، ذاك زيد بن ثعلبة، و الزبير بن عبد الرحمن بن عوف. و حجّ بالناس عبد اللّه بن الزبير. و فيها توفّى ربيعة بن كعب الأسلمىّ من أهل الصّفّة، روى له مسلم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و سبعة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و أربعة أصابع.

*** السنة الثانية من ولاية سعيد بن يزيد على مصر و هى سنة أربع و ستين- فيها حجّ بالناس عبد اللّه بن الزّبير، و كان عامله على المدينة أخوه عبيدة بن الزبير، و على الكوفة عبد اللّه بن يزيد الخطمىّ، و ولّى قضاءها سعيد بن نمران، و أبى شريح أن يقضى فى الفتنة، و على البصرة عمر بن عبيد اللّه بن معمر التيمىّ، و على قضائها هشام بن هبيرة، و على خراسان عبد اللّه بن خازم. و فيها توفّى مسلم بن عقبة المسمّى مسرفا المقدّم ذكره فى وقعة الحرّة. قال محمد بن جرير الطبرىّ: و لمّا فرغ مسلم من وقعة الحرّة توجّه إلى مكة، و استخلف على المدينة روح بن زنباع الجذامىّ، فأدرك مسلما الموت فعهد بالأمر إلى الحصين بن نمير.

و ذكر الذهبىّ رحمه اللّه: أنّ مسلما هذا أدرك النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم. قلت:

و لهذا أمسكنا عن الكلام فى أمره. و شهد مسلم صفّين مع معاوية و كان على الرجّالة.

و فيها توفّى الخليفة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان و قد تقدّم نسبه فى ترجمة أبيه معاوية، مات فى نصف شهر ربيع الأوّل، و كان بويع بالخلافة بعد موت أبيه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۳

معاوية فى شهر رجب سنة ستين، فكانت خلافته ثلاث سنين و سبعة أشهر و أياما، و كان فاسقا قليل الدّين مدمن الخمر، و هو القائل:

أقول لصحب ضمّت الكأس شملهم و داعى صبابات الهوى يترنّم

خذوا بنصيب من نعيم و لذّة فكلّ و إن طال المدى يتصرّم

و له أشياء كثيرة غير ذلك غير أننى أضربت عنها لشهرة فسمه و معرفة الناس بأحواله. و قد قيل: إنّ رجلا قال فى مجلس عمر بن عبد العزيز عن يزيد هذا أمير المؤمنين؛ فقال له عمر بن عبد العزيز: تقول: أمير المؤمنين! و أمر به فضرب عشرين سوطا تعزيرا له. و لمّا مات يزيد هذا ولى الخلافة من بعده ابنه معاوية ابن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ثالث خلفاء بنى أميّة، و كان رجلا صالحا فلم يرد

الخلافة و خلع نفسه منها، و مات بعد قليل.

ذكر خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموىّ ثالث خلفاء بنى أميّة و وفاته

كنيته أبو عبد الرحمن، و يقال: أبو يزيد. بويع بالخلافة بعد موت أبيه يزيد بعهد منه إليه، و ذلك فى شهر ربيع الأوّل من سنة أربع و ستين، و كان مولده سنة ثلاث و أربعين فلم تطل مدّته فى الخلافة.

قال أبو حفص الفلّاس: ملك أربعين ليلة ثم خلع نفسه، فإنه كان رجلا صالحا؛ و لهذا يقال فى حقّ أبيه: يزيد شرّ بين خيرين، يعنون بذلك بين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۶۴

أبيه معاوية بن أبى سفيان و ابنه معاوية هذا. و قيل: إن معاوية هذا لمّا أراد خلع نفسه جمع الناس و قال: أيها الناس، ضعفت عن أمركم فاختاروا من أحببتم؛ فقالوا: ولّ أخاك خالدا؛ فقال: و اللّه ما ذقت حلاوة خلافتكم فلا أتقلّد وزرها، ثم صعد المنبر فقال: أيها الناس، إنّ جدّى معاوية نازع الأمر أهله و من هو أحق به منه لقرابته من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و هو علىّ بن أبى طالب، و ركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيّته، فصار فى قبره رهينا بذنوبه و أسيرا بخطاياه؛ ثم قلّد أبى الأمر فكان غير أهل لذلك، و ركب هواه و أخلفه الأمل، و قصر عنه الأجل. و صار فى قبره رهينا بذنوبه، و أسيرا بجرمه؛ ثم بكى حتى جرت دموعه على خدّيه ثم قال: إنّ من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه و بئس منقلبه، و قد قتل عترة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أباح الحرم و خرّب الكعبة، و ما أنا بالمتقلّد و لا بالمتحمّل تبعاتكم، فشأنكم أمركم؛ و اللّه لئن كانت الدنيا خيرا فلقد نلنا منها حظّا و لئن كانت شرّا فكفى ذرّية أبى سفيان ما أصابوا منها، ألا فليصلّ بالناس حسّان ابن مالك، و شاوروا فى خلافتكم رحمكم اللّه. ثم دخل منزله و تغيّب حتى مات فى سنته بعد أيام.

و فيها توفّى شدّاد بن أوس بن ثابت و هو ابن أخى حسّان بن ثابت. و فيها توفّى المسور بن مخزمة بمكة فى اليوم الذى ورد فيه خبر موت يزيد بن معاوية، و كان سبب موته أنه أصابه حجر منجنيق فى جانب وجهه فمرض أياما و مات. و فيها وثب مروان ابن الحكم على الأمر و بويع له بالخلافة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و ثمانية عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و سبعة أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۶۵

ذكر ولاية عبد الرحمن بن جحدم على مصر

هو عبد الرحمن بن عقبة بن إياس بن الحارث بن عبد [بن] أسد بن جحدم (بفتح الجيم و سكون الحاء المهملة و فتح الدال المهملة أيضا و بعدها ميم ساكنة) الفهرىّ أمير مصر، وليها من قبل عبد اللّه بن الزّبير بن العوّام لمّا بويع بالخلافة فى مكة و بايعه المصريون و توجّه إليه منهم جماعة كثيرة و بايعوه، فأرسل إليهم عبد الرحمن هذا فوصل إلى مصر فى شعبان سنة أربع و ستين التى ذكرنا حوادثها فى إمرة سعيد ابن يزيد المقدّم ذكره، و دخل معه مصر جماعة كثيرة من الخوارج و أظهروا دعوة عبد اللّه بن الزبير بمصر و دعوا الناس لبيعته، فتابعهم الناس و الجند على ما فى قلوبهم من الحبّ فى الباطن لبنى أميّة.

و لما دخل عبد الرحمن المذكور إلى مصر و تمّ أمره أقرّ عابسا على الشّرطة و القضاء بمصر، فبينما هم فى ذلك وصل الخبر من الشأم ببيعة مروان بن الحكم بالخلافة و أنّ أمره تمّ، فصارت مصر معه فى الباطن، و فى الظاهر لابن الزبير، حتى جهّز مروان بن الحكم جيشا مع ابنه عبد العزيز إلى أيلة ليدخل مصر من هناك، ثم ركب مروان بن الحكم فى جيوشه و جموعه و قصد مصر؛ فلما بلغ عبد الرحمن بن جحدم ذلك استعدّ لحربه و حفر خندقا فى شهر، أو قريب من شهر، و هو الذى بالقرافة، و سار مروان حتى نزل مدينة عين

شمس (أعنى المطرية خارج القاهرة) فخرج إليه عبد الرحمن، فتحاربوا يوما أو يومين، فكانت بين الفريقين مقتلة كبيرة، ثم آل الأمر بينهما إلى الصلح و اصطلحا على أنّ مروان يقرّ عبد الرحمن و يدفع إليه مالا و كسوة؛ و دخل مروان مصر فى غرّة جمادى الأولى سنة خمس و ستين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۶۶

و قال صاحب البغية فى آخر جمادى الأولى من السنة: و مدّة مقام ابن جحدم فيها إلى أن دخل مروان تسعة أشهر، و بايعه الناس إلا قليلا- فضرب أعناقهم، و جعل على الشّرطة فى مدّة مقامه عمرو بن سعيد بن العاص، و خرج منها (يعنى مروان) لهلال رجب سنة خمس و ستين. انتهى كلام صاحب البغية.

و قال غيره: و عزل مروان عبد الرحمن بن جحدم عن إمرة مصر، و كانت مدّة ولايته عليها تسعة أشهر و أياما، و فتح مروان خزائنه و وضع العطاء، فبايعه الناس إلّا نفرا من المعافر قالوا: لا نخلع بيعة عبد اللّه بن الزبير، فضرب مروان أعناقهم و كانوا ثمانين رجلا، و ذلك فى نصف جمادى الآخرة. و كان فى ذلك اليوم موت عبد اللّه بن عمرو بن العاص فلم يستطع احد أن يخرج بجنازته إلى المقبرة، فدفنوه بداره لشغب الجند على مروان، ثم ضرب مروان عنق الأكدر بن حمام اللخمىّ سيّد لخم، و كان من قتلة عثمان رضى اللّه عنه، ثم ولّى مروان ابنه عبد العزيز بن مروان على مصر و جمع له الصلاة و الخراج معا، ثم خرج منها مروان يريد الشأم بعد أن أوصى ولده عبد العزيز بوصايا كثيرة مضمونها الرفق بأهل مصر، و كان خروج مروان من مصر فى أوّل يوم من شهر رجب.

و قال ابن كثير: و فيها (يعنى سنة خمس و ستين) دخل مروان بن الحكم و عمرو بن سعيد الأشدق إلى مصر فأخذاها من نائبها لعبد اللّه بن الزبير. و كان سبب ذلك أنّ مروان قصدها فخرج إليه نائبها عبد الرحمن بن جحدم، فقابله مروان ليقاتله فاشتغل به و خلص عمرو بن سعيد بطائفة من الجيش من وراء عبد الرحمن بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۶۷

جحدم، فدخل مصر و ملكها و هرب عبد الرحمن بن جحدم، و دخل مروان إلى مصر فتملّكها و جعل عليها ولده عبد العزيز بن مروان. انتهى كلام ابن كثير برمته.

و قال ابن الأثير فى كتابه الكامل: (ذكر فتح مروان مصر)، قال: و لمّا قتل الضحّاك و أصحابه و استقرّ الشأم لمروان سار إلى مصر، فقدمها و عليها عبد الرحمن ابن جحدم القرشىّ يدعو إلى ابن الزبير، فخرج إلى مروان فيمن معه، و بعث مروان عمرو بن سعيد من ورائه حتى دخل مصر، فقيل لابن جحدم ذلك فرجع، و بايع الناس مروان و رجع إلى دمشق؛ فلمّا دنا منها بلغه أنّ ابن الزبير قد بعث إليه أخاه مصعبا فى جيش، فأرسل إليه مروان عمرو بن سعيد قبل أن يدخل الشأم [فقاتله] فانهزم مصعب و أصحابه، و كان مصعب شجاعا، ثم عاد مروان إلى دمشق فاستقرّ بها.

و كان الحصين بن نمير و مالك بن هبيرة قد اشترطا على مروان شروطا لهما و لخالد ابن يزيد، فلمّا توطّد ملكه قال ذات يوم و مالك عنده: إنّ قوما يدّعون شروطا منهم عطّارة مكحّلة (يعنى مالكا فإنه كان يتطيّب و يتكحّل)، فقال مالك هذا:

و لمّا تردى تهامة و يبلغ الحزام الطّبيين! فقال مروان: مهلا أبا سليمان إنما داعبناك؛ فقال: هو ذاك. انتهى كلام ابن الأثير برمته.

قلت: و كانت أيام عبد الرحمن هذا على مصر مع قصر مدّته كثيرة الفتن و الحروب من أوّلها إلى آخرها، غير أنه حجّ بالناس من مصر فى أيامه، و بنى عبد اللّه ابن الزبير الكعبة و لم يحجّ أحد من الشأم فى هذه السنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۶۸

قال ابن الأثير: لمّا احترقت الكعبة حين غزا أهل الشأم عبد اللّه بن الزبير أيام يزيد بن معاوية تركها ابن الزبير يشنّع بذلك على أهل الشأم، فلمّا مات يزيد و استقرّ الأمر لابن الزبير شرع فى بنائها، فأمر بهدمها حتى التحقت بالأرض و كانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق، و جعل «الحجر الأسود» عنده، و كان الناس يطوفون من وراء الأساس و ضرب عليها السّور و أدخل فيها الحجر، و احتجّ بأنّ

رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال لعائشة رضى اللّه عنها: «لو لا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم- عليه السلام- و أزيد فيها من الحجر». فحفر ابن الزبير فوجد أساسا أمثال الجبال فحرّكوا منها صخرة فبرقت بارقة؛ فقال: أقرّوها على أساسها و بنائها، و جعل لها بابين يدخل من أحدهما و يخرج من الآخر، و قيل كانت عمارتها سنة أربع و ستين.

*** السنة التى حكم فيها عبد الرحمن بن جحدم على مصر من قبل عبد اللّه بن الزبير و هى سنة خمس و ستين- فيها وقع الطاعون الجارف بالبصرة فى قول ابن الأثير و عليها عبد اللّه بن عبيد اللّه بن معمر، فهلك خلق كثير و ماتت أمّ عبيد اللّه فلم يجدوا لها من يحملها. و فيها حج بالناس عبد اللّه بن الزبير و كان على المدينة أخوه مصعب بن الزبير و على الكوفة ابن مطيع و على البصرة الحارث بن أبى ربيعة المخزومىّ و على خراسان عبد اللّه بن خازم. و فيها وجّه مروان بن الحكم الخليفة حبيش ابن دلجة فى أربعة آلاف الى المدينة و قال له: أنت على ما كان عليه مسلم بن عقبة، فسار حبيش و معه عبيد اللّه بن الحكم أخو مروان و أبو الحجاج يوسف الثقفىّ و ابنه الحجّاج و هو شاب، فجهّز متولّى البصرة من جهة ابن الزبير، و هو عبيد اللّه التّيمىّ، جيشا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۹

من البصرة، فالتقوا مع حبيش بن دلجة فى أوّل شهر رمضان فقتل حبيش بن دلجة و عبيد اللّه بن الحكم و أكثر الجيش، و هرب من بقى و هرب يوسف و ابنه الحجاج.

و فيها دعا عبد اللّه بن الزبير محمد بن الحنفية الى بيعته فأبى محمد فحصره فى شعب بنى هاشم فى جماعته و توعّدهم. و فيها دخل المهلّب بن أبى صفرة الى خراسان أميرا عليها من قبل ابن الزبير و حارب الأزارقة أصحاب ابن الأزرق و قاتلهم حتى كسرهم و قتل منهم أربعة آلاف و ثمانمائة. قال الذهبىّ: و وقع أيضا فى هذه السنة بين مروان و بين ابن الزبير حروب كثيرة حتى توفّى مروان حسبما يأتى ذكره. و فيها توفّى مالك بن هبيرة السّكونىّ، له صحبة برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. و فيها توفّى الخليفة مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة بن عبد شمس أبو عبد الملك القرشىّ الأموىّ، و يقال أبو القاسم و أبو الحكم؛ ولد بمكة بعد عبد اللّه بن الزبير بأربعة أشهر. قال الذهبىّ: و لم يصحّ له سماع عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، لكن له رؤية إن شاء اللّه. ا ه.

قلت: و هو ابن عم عثمان بن عفان و كاتبه؛ و من أجله كان ابتداء فتنة عثمان رضى اللّه عنه و قتله، ثم انضم الى ابن عمه معاوية بن أبى سفيان و تولّى عدّة أعمال، الى أن وثب على الأمر بعد أولاد يزيد بن معاوية (أعنى معاوية و خالدا) و بويع بالخلافة فلم تطل مدّته و مات فى أوّل شهر رمضان. و فى سبب موته خلاف كثير؛ و عهد بالخلافة من بعده الى ابنه عبد الملك، ثم من بعده الى ابنه عبد العزيز أمير مصر؛ و كان أوّلا أراد أن يعهد لخالد بن يزيد بن معاوية فإنّه كان خلعه من الخلافة و تزوّج بأمّه، ثم بدا له أن يعهد لولديه عبد الملك و عبد العزيز؛ ثم ما كفاه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۷۰

فزبره و قال: تنحّ يا بن رطبة الاست! و اللّه مالك عقل؛ و بلغ أمّ خالد ذلك فأضمرت له السوء؛ فدخل مروان عليها و قال لها: هل قال لك خالد شيئا؟

فأنكرت فنام عندها، فوثبت هى و جواريها فعمدت الى و سادة فوضعتها على وجهه و غمرته هى و الجوارى حتى مات، ثم صرخن و قلن: مات فجأة. و قال الهيثم: إنه مات مطعونا بدمشق. و اللّه أعلم. و فى حدودها توفّى قيس بن ذريح أبو زيد الليثىّ الشاعر المشهور، كان من بادية الحجاز، و هو الذى كان يشبّب بأمّ معمر لبنى بنت الحباب الكعبيّة ثم إنه تزوّج بها، و قيل: إنه كان أخا الحسين بن علىّ رضى اللّه عنهما من الرضاعة، ثم أمر قيسا هذا أبوه بطلاق لبنى فطلّقها و فارقها، ثم قال فيها تلك الأشعار الرائقة؛ من ذلك قوله:

و لو أنّنى أسطيع صبرا و سلوة تناسيت لبنى غير ما مضمر حقدا

و لكنّ قلبى قد تقسّمه الهوى شتاتا فما ألفى صبورا و لا جلدا

و له بيت مفرد:

و كلّ ملمّات الزمان وجدتها سوى فرقة الأحباب هيّنة الخطب

و فى حدودها أيضا توفّى قيس بن معاذ المجنون، و من ثمّ يقاس الجنون بمجنون ليلى، و قيل اسمه البخترىّ بن الجعد و قيل غير ذلك. و ليلى محبوبته: هى ليلى بنت مهدىّ أمّ مالك العامريّة الرّبعيّة. و هو من بنى عامر بن صعصعة و قيل من بنى كعب ابن سعد، قيل إنه علق بليلى علاقة الصّبا لأنهما كانا صغيرين يرعيان أغناما لقومهما، فعلق كل واحد منهما بالآخر، فلما كبرا احتجبت عنه ليلى فزال عقله؛ و فى ذلك يقول:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۷۱

تعلّقت ليلى و هى ذات ذؤابة و لم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أنّنا الى اليوم لم نكبر و لم تكبر البهم

ثم عظم الأمر به الى أن صار أمره الى ما هو أشهر من أن يذكر. و قيل إنهما ماتا فى سنة ثمان و ستين. و فيها توفّى عبد اللّه بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، و قد تقدّم بقيّة نسبه فى ترجمة أبيه عمرو بن العاص الأموىّ الصحابىّ، و كنيته أبو محمد، و يقال أبو عبد الرحمن، القرشىّ السهمىّ، كان من نجباء الصحابة و علمائهم، و هو من المكثرين لحديث النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم؛ ذكرنا يوم وفاته فى دخول مروان بن الحكم الى مصر عند ما أزال عنها عبد الرحمن بن جحدم. و فيها توفّى النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة أبو عبد اللّه، و يقال أبو محمد، الأنصارىّ الخزرجىّ الصحابىّ، ابن أخت عبد اللّه بن رواحة. ولد سنة اثنتين من الهجرة و حفظ عن النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم أحاديث، و ولى قضاء دمشق لمعاوية بن أبى سفيان.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و اثنا عشر إصبعا.

و فى درر التيجان: خمسة أذرع و ستة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و خمسة عشر إصبعا.

ذكر ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة القرشىّ الأموىّ أمير مصر، كنيته أبو الأصبغ، مولده بالمدينة، ثم دخل الشام مع أبيه مروان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۷۲

و كانت داره بدمشق، هى الدار التى الصوفيّة الآن المعروفة بالسّميساطيّة ثم كانت لابنه عمر بن عبد العزيز بعده. و ولى إمرة مصر لأبيه مروان فى غرة شهر رجب سنة خمس و ستين على الصلاة و الخراج معا بعد ما عهد له بالخلافة بعد أخيه عبد الملك.

و كان السبب فى بيعتهما أنّ عمرو بن سعيد بن العاص لما هزم مصعب بن الزبير، حين وجّهه أخوه عبد اللّه الى فلسطين، رجع الى مروان و هو بدمشق، فبلغ مروان أنّ عمرا يقول: إن الأمر لى بعد مروان، فدعا مروان حسّان بن ثابت فأخبره بما بلغه عن عمرو؛ فقال: أنا أكفيك عمرا؛ فلما اجتمع الناس عند مروان عشيّا قام حسّان فقال: إنه بلغنا أن رجالا يتمنّون امانىّ، قوموا فبايعوا لعبد الملك ثم لعبد العزيز من بعده، فبايعوا الى آخرهم. و مات أبوه بعد مدّة يسيرة حسبما تقدّم ذكره، و استقرّ أخوه عبد الملك بن مروان فى الخلافة من بعده، فأقرّ عبد العزيز هذا على عمل مصر على عادته. و قد روى عبد العزيز هذا الحديث عن أبيه و عبد اللّه بن الزبير و عقبة بن عامر و أبى هريرة، و روى عنه ابنه عمر بن عبد العزيز و الزهرىّ و علىّ بن رباح و جماعة. قال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث. و قال غيره: كان يلحن فى كلامه ثم تعلّم العربية فأحسن تعلّمها، و كان فصيحا جوادا ذا مروءة و كرم؛ و كان أبوه مروان عقد له البيعة بعد عبد الملك ثم ولّاه مصر؛ و هو معدود من الطبقة الثالثة من تابعى أهل الشام. و كان عبد العزيز هذا قد حدّه عمرو بن سعيد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۷۳

الأشدق فى شراب شربه فوجد عليه ابنه عمر بن عبد العزيز؛ فلمّا ولى عمر المدينة وجد إسحاق بن علىّ بن عبد اللّه بن جعفر فى بيت خليدة العرجاء، فحدّه عمر حدّ الخمر؛ فقال إسحاق: يا عمر، كل الناس جلدوا فى الخمر؛ يعرّض بأبيه عبد العزيز. ا ه.

و لما أقام عبد العزيز بمصر وقع بها الطاعون فى سنة سبعين، فخرج عبد العزيز من مصر و نزل بحلوان فأعجبته فاتخذها سكنا، و جعل بها الحرس و الأعوان و بنى بها الدور و المساجد و عمّرها أحسن عمارة و غرس نخلها و كرمها، ثم جهّز البعث لقتال ابن الزبير فى البحر فى سنة اثنتين و سبعين. ثم لما طالت أيام عبد الملك فى الخلافة بعد قتل عبد اللّه بن الزبير ثقل عليه أمر عبد العزيز هذا و أراد أن يخلعه من ولاية العهد و يجعلها عبد الملك لولديه الوليد و سليمان من بعده؛ فمنعه قبيصة بن ذؤيب من ذلك، و كان قبيصة على خاتم عبد الملك، و قال له: لا تفعل ذلك، فإنك باعث على نفسك صوتا، و لعل الموت يأتيه فتستريح منه؛ فكفّ عن ذلك و نفسه تنازعه، حتى دخل عليه روح بن زنباع الجذامىّ، و كان أجلّ الناس عند عبد الملك، فشاوره فى ذلك، فقال روح: لو خلعته ما انتطح فيها عنزان؛ فبينما هما على ذلك، و قد نام عبد الملك و روح تلك الليلة عنده، إذ دخل عليهما قبيصة ليلا، و كان لا يحجب عن عبد الملك، و كانت الأخبار و الكتب تأتيه فيقرؤها قبل عبد الملك؛ فقيل له: قد جاء قبيصة؛ فدخل قبيصة فقال: آجرك اللّه يا أمير المؤمنين فى عبد العزيز، فاسترجع عبد الملك و قال لروح: يا أبا زرعة، كفانا اللّه ما أجمعنا عليه؛ فقال له قبيصة:

فداك ما أردت و لم تقطع رحم أبيك، و لم تأت ما تعاب به، و لم يظهر عليك غدر.

و قيل غير ذلك: و هو أن عبد الملك كتب لأخيه عبد العزيز هذا: يا أخى، إن رأيت أن تصيّر الأمر لابن أخيك الوليد فافعل؛ فأبى عبد العزيز؛ فكتب اليه عبد الملك ثانية: فاجعله من بعدك، فإنه أعز الخلق إلىّ؛ فكتب اليه عبد العزيز:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۷۴

إنى أرى فى أبى بكر بن عبد العزيز (يعنى ابنه) ما تراه فى الوليد؛ فكتب عبد الملك اليه ثالثة: فاحمل خراج مصر إلىّ؛ فكتب اليه عبد العزيز: إنى و إيّاك قد بلغنا سنّا لم يبلغها أحد من أهلنا، و إنّا لا ندرى أيّنا يأتيه الموت أوّلا، فإن رأيت ألّا تغث علىّ بقيّة عمرى و لا يأتينى الموت إلا و أنت واصل فافعل؛ فرقّ له عبد الملك و قال:

لا أغثّ عليه بقية عمره، و قال لابنيه الوليد و سليمان: إن يرد اللّه أن يعطيكماها لم يقدر أحد من الخلق على ردّها عنكما، ثم قال لهما: هل قارفتما حراما قطّ؟ قالا: لا و اللّه؛ فقال عبد الملك: نلتماها و رب الكعبة. و قيل: إنّ عبد العزيز لما ردّ كلام عبد الملك، قال عبد الملك: اللهم إنه قد قطعنى فاقطعه. فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام: ردّ على أمير المؤمنين أمره، فدعا عليه فاستجيب له فيه.

قلت: و كانت وفاة عبد العزيز فى ثالث عشر جمادى الأولى سنة ست و ثمانين من الهجرة، و قيل سنة خمس و ثمانين؛ فكانت ولايته على مصر عشرين سنة و عشرة أشهر و ثلاثة عشر يوما. و تولى مصر من بعده عبد اللّه بن عبد الملك بن مروان.

و قال محمد بن الحارث المخزومىّ: دخل رجل على عبد العزيز فى ولايته على مصر يشكو اليه صهرا له، فقال: إنّ ختنى ظلمنى؛ فقال له عبد العزيز: من ختنك؟

فقال: الرجل الختّان الذى يختن الناس؛ فقال عبد العزيز لكاتبه: ما هذا الجواب؟

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۷۵

فقال: أيها الأمير، إنك لحنت و الرجل يعرف اللحن، و كان ينبغى أن تقول: من ختنك (بالضم)؛ فقال عبد العزيز: أ ترانى أتكلم بكلام لا تعرفه العرب؟ و اللّه لا شاهدت الناس حتى أعرف اللحن؛ فأقام فى بيت جمعة لا يظهر و معه من يعلّمه النحو فصلى بالناس الجمعة الأخرى و هو أفصح الناس.

و قال الذهبىّ فى كتابه «تذهيب التهذيب» بعد أن ساق نبذة من نسبه و ولايته و روايته بنحو ما قلناه الى أن قال: «روى ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم أن عبد العزيز بن مروان كتب الى ابن عمر: ارفع الىّ حاجتك؛ فكتب اليه ابن عمر (يعنى عبد اللّه): إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: «اليد العليا خير من اليد السّفلى.

و ابدأ بمن تعول»، و لست أسألك شيئا و لا أردّ رزقا رزقنيه اللّه عز و جل. و قال؟؟؟ نريد ابن أبى حبيب عن سويد بن قيس: بعثنى عبد العزيز بن مروان بألف دينار لابن عمر فجئته بها ففرّقها. و قال محمد بن هانئ الطائى عن محمد بن أبى سعيد قال: قال عبد العزيز بن مروان: ما نظر اليّ رجل قطّ فتأمّلنى إلا سألته عن حاجته. ثم قال بعد كلام آخر: و كان يقول عبد العزيز بن مروان: وا عجبا من مؤمن يوقن أن اللّه يرزقه و يوقن أن اللّه يخلف عليه، كيف يدّخر مالا عن عظيم أجر أو حسن سماع!.

قلت: و كان عبد العزيز جوادا ممدّحا سيوسا حازما. قال ابن سعد: مات بمصر سنة خمس و ثمانين قبل أخيه عبد الملك بسنة. و قال الحافظ بن يونس:

ولى مصر عشرين سنة. و قال الليث بن سعد: توفّى فى جمادى الآخرة سنة ست و ثمانين، و له حديث و هو: سمعت أبا هريرة يقول قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «شرّ ما فى الرجل شحّ هالع و جبن خالع» انتهى كلام الذهبى باختصار.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۷۶

قلت: و عبد العزيز هذا هو الذى أشار على أخيه عبد الملك بضرب الدراهم و الدنانير، فضربها فى سنة ست و سبعين. و عبد الملك أوّل من أحدث ضربها فى الإسلام فانتفع الناس بذلك. و كان سبب ضربها أنه كتب فى صدر كتاب الى [ملك] الروم: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ و ذكر النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم مع التاريخ؛ فكتب اليه ملك الروم: إنكم قد أحدثتم كذا و كذا فاتركوه و إلّا أتاكم فى دنانيرنا من ذكر نبيّكم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۷۷

ما تكرهون؛ فعظم ذلك عليه فأحضر خالد بن يزيد بن معاوية فاستشاره فيه، فقال:

حرّم دنانيرهم و اضرب للناس سكّة و فيها ذكر اللّه تعالى، ثم استشار أخاه عبد العزيز فأشار عليه أيضا بذلك؛ فضرب الدنانير و الدراهم. ثم إن الحجاج ضرب الدراهم و نقش فيها: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فكره الناس ذلك لمكان القرآن، فإنّ الجنب و الحائض يمسّها؛ و نهى أن يضرب أحد غيره؛ فضرب سمير اليهودىّ فأخذه الحجاج ليقتله، فقال له: عيار دراهمى أجود من عيار دراهمك فلم تقتلنى؟ فلم يتركه، فوضع للناس سنج الأوزان ليتركه فلم يفعل؛ و كان الناس لا يعرفون الوزن بل يزنون بعضها ببعض، فلما وضع لهم سمير السنج كفّ بعضهم عن [غبن] بعض.

و أوّل من شدّد فى أمر الوزن و خلّص الفضّة أبلغ من تخليص من كان قبله عمر ابن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك و جوّد الدراهم؛ ثمّ خالد بن عبد اللّه القسرىّ أيام هشام بن عبد الملك، فاشتدّ فيه أكثر من ابن هبيرة. ثمّ ولى يوسف بن عمر فأفرط فى الشدّة، و امتحن يوما العيار فوجد درهما ينقص حبّة، فضرب كل صانع ألف سوط. و كانوا مائة صانع، فضرب فى حبة مائة ألف سوط. و كانت الدراهم الهبيريّة و الخالدية و اليوسفية أجود نقود بنى أمية، و لم يكن أبو جعفر المنصور يقبل فى الخراج غيرها، فسمّيت الدراهم الأولى مكروهة. و قيل: إنّ الدراهم المكروهة هى الدراهم التى ضربها الحجاج و نقش عليها: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فكرهها العلماء. و كانت دراهم الأعاجم مختلفة كبارا و صغارا، فكانوا يضربون منها المثقال وزن عشرين قيراطا و اثنى عشر قيراطا و عشرة قراريط، فلما ضربوا الدراهم فى الإسلام أخذ الوسط من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۷۸

ثلث هذا العدد، و هو أربعة عشر قيراطا، فصار الدرهم العربىّ أربعة عشر قيراطا، و وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل.

*** السنة الأولى من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة ست و ستين- فيها عزل عبد اللّه بن الزبير عن الكوفة أميرها و أرسل عليها عبد اللّه بن مطيع، و فى أثناء هذا الأمر خرج المختار الكذّاب من السجن و التفّ عليه خلق من الشيعة و قويت شوكته و ضعف أمر عبد اللّه بن مطيع معه، ثم إنه توثّب بالكوفة فقاتله طائفة من أهل الكوفة فهزمهم و قتل منهم رفاعة بن شدّاد و عبد اللّه بن سعد بن قيس و غلب على الكوفة، و هرب منه عبد اللّه بن مطيع الى ابن الزبير، و جعل المختار يتتبّع قتلة الحسين بن علىّ، فقتل عمرو

بن سعد بن أبى وقّاص و شمر بن ذى الجوشن قاتل الحسين بن علىّ؛ ثمّ افترى المختار على اللّه أنه يأتيه جبريل بالوحى، فلهذا قيل عنه: المختار الكذاب. و فيه يقول سراقة بن مرداس:

كفرت بوحيكم و جعلت نذرا علىّ هجاءكم حتّى الممات

أرى عينىّ ما لم ترأياه كلانا عالم بالتّرّهات

و فيها أيضا التقى المختار مع عبيد اللّه بن زياد فقتل عبيد اللّه بن زياد و قتل معه شرحبيل بن ذى الكلاع و حصين بن نمير السّكونىّ، و اصطلم المختار جيشهم و قتل خلقا كثيرا و طيف برءوس هؤلاء؛ و قيل إنّ ذلك فى الآتية. و فيها حجّ بالناس عبد اللّه بن الزبير و كان عامله على المدينة أخاه مصعب بن الزبير، و عامله على البصرة عبد اللّه بن أبى ربيعة المخزومىّ، و كان بالكوفة المختار متغلّبا عليها، و بخراسان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۷۹

عبد اللّه بن خازم. و فيها توفّى أسماء بن حارثة الأسلمىّ (و حارثة بالحاء)، و له صحبة و هو من أصحاب الصّفّة، و قيل: إنه مات قبل ذلك. و فيها توفى جابر بن سمرة، و هو ابن أخت سعد بن أبى وقّاص، على خلف فى وفاته. و فيها توفى أسماء بن خارجة ابن حصين بن حذيفة بن بدر الفزارىّ سيد قومه فى قول. و فيها كان الطاعون بمصر و مات فيه خلائق عظيمة، و هذا خامس طاعون مشهور فى الإسلام.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبعة أذرع و سبعة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و إصبعان.

*** السنة الثانية من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة سبع و ستين- فيها كانت الوقعة بين إبراهيم بن الأشتر النّخعىّ و بين عبيد اللّه ابن زياد، و كان ابن الأشتر من حزب المختار، و كان فى ثمانية آلاف من الكوفيّين، و كان عبيد اللّه بن زياد فى أربعين ألفا من الشاميّين؛ فأسرع ابن الأشتر الى أهل الشام قبل أن يدخلوا أرض العراق فسبقهم و دخل الموصل، فالتقوا على خمسة فراسخ من الموصل بالخازر، فانتهز ابن الأشتر و قتله و قتل من أصحابه خلائق ممن ذكرناهم فى الماضية و غيرهم. و كان من غرق منهم فى نهر الخازر أكثر ممن قتل؛ و دخل ابن الأشتر الموصل و استعمل عليها و على نصيبين و سنجار العمال، ثمّ بعث برءوس عبيد اللّه بن زياد و الحصين و شرحبيل بن ذى الكلاع الى المختار فأمر بهم المختار فنصبوا بمكّة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸۰

قلت: و عبيد اللّه بن زياد هذا هو الذى قاتل الحسين بن علىّ حتى قتله. و فيها عزل عبد اللّه بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن العراق و ولّاه لابنه حمزة بن عبد اللّه بن الزبير؛ و كان حمزة جوادا مخلّطا يجود أحيانا حتى لا يدع شيئا يملكه و يمنع أحيانا ما لا يمنع مثله، و ظهر منه بالبصرة خفّة و ضعف؛ فعزله أبوه و أعاد أخاه مصعبا فى الثانية. و فيها وجّه المختار أربعة آلاف فارس عليهم أبو عبد اللّه الجدلىّ و عقبة بن طارق، فكلّم الجدلىّ عبد اللّه بن الزبير فى محمد بن الحنفية، و أخرجوه من الشّعب فلم يقدر ابن الزبير على منعهم، و أقاموا فى خدمة محمد بن الحنفية ثمانية أشهر حتى قتل المختار و سار محمد بن الحنفية الى الشام. و أما ابن الزبير فإنه غضب من المختار لكونه انتصر لمحمد بن الحنفية و ندب لقتاله أخاه مصعب بن الزبير و ولّاه جميع العراق، فتوجّه مصعب و حصر المختار فى قصر الإمارة بالكوفة حتى قتله طريف و طرّاف (أخوان من بنى حنيفة) فى شهر رمضان و أتيا برأسه الى مصعب.

و قتل فى حرب المختار جماعة من الأشراف منهم عمر و عبيد اللّه ابنا علىّ بن أبى طالب و زائدة بن عمير الثقفىّ و محمد بن الأشعث بن قيس الكندىّ سبط أبى بكر الصدّيق.

و فيها توفّى عدىّ بن حاتم بن عبد اللّه الطائىّ، أسلم سنة سبع من الهجرة، و كان كبير طيّئ. و فيها توفى أبو شريح الخزاعىّ الكعبىّ الصحابىّ و اسمه، على الأصح، خويلد بن عمرو، أسلم يوم الفتح. و فيها حجّ بالناس عبد اللّه بن الزبير، و كان عامله على الكوفة و البصرة ابنه حمزة، و كان على قضاء البصرة عبد اللّه بن عتبة بن مسعود و على الكوفة (أعنى قاضيها) هشام بن هبيرة، و الخليفة بالشام

عبد الملك بن مروان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸۱

أخو صاحب الترجمة، و بخراسان عبد اللّه بن خازم. و فيها توفى الأحنف بن قيس بالكوفة مع مصعب بن الزبير، و قيل: مات سنة إحدى و سبعين لما سار مصعب لقتال عبد الملك بن مروان. و فيها توفّى جنادة بن أبى أميّة، أدرك الجاهلية و ليست له صحبة. و فيها قتل مصعب بن الزبير عبد الرحمن و عبد الرب ابنى حجر بن عدىّ و عمران بن حذيفة بن اليمان، قتلهم صبرا بعد قتل المختار و أصحابه. و فيها توفى أبو واقد الليثىّ، له صحبة و أحاديث. و يقال فيها أيضا توفى زيد بن أرقم، و قيل: إنّ وفاة هؤلاء فى السنة الآتية و هو الأصح.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و اثنا عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و خمسة عشر إصبعا.

*** السنة الثالثة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة ثمان و ستين- فيها عزل عبد اللّه بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن العراق و ولّى عليها ابنه حمزة ابن عبد اللّه بن الزبير و قد مرّ ذلك فى الماضية. و فيها استعمل عبد اللّه بن الزبير جابر بن الأسود الزّهرىّ على المدينة، فأراد جابر أن يبايع سعيد بن المسيّب لابن الزبير فامتنع فضربه سبعين سوطا، قاله خليفة بن خيّاط. و فى هذه السنة وافى عرفات أربعة ألوية: لواء ابن الزبير و أصحابه، و لواء ابن الحنفيّة و أصحابه، و لواء بنى أميّة، و لواء النّجدة الحرورىّ، و لم يكن بينهم حرب و لا فتنة. و كان العامل على المدينة لابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزّهرىّ، و على الكوفة و البصرة أخوه مصعب، و على خراسان عبد اللّه بن خازم؛ و كان عبد الملك بن مروان مشاقّا لابن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸۲

الزبير. و فيها توفّى عبد اللّه بن عبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشمىّ القرشىّ، أبو العباس ابن عم النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم و أبو الخلفاء العباسيّين. ولد فى شعب بنى هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، و دعا له النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم بالجنة مرتين. و كان يسمّى الحبر لكثرة علومه، و مات و له سبعون سنة، رضى اللّه عنه.

و فيها توفى عابس بن سعيد الغطيفىّ قاضى مصر، ولى القضاء و الشرطة بمصر لمسلمة ابن مخلّد عدّة سنين. و فيها توفى قيس بن ذريح و قيس مجنون ليلى، و قد تقدّم ذكرهما فى سنة خمس و ستين. و فيها توفى ملك الروم قسطنطين. و فيها توفى عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة. و فيها توفى أبو شريح الخزاعىّ، و أبو واقد الليثىّ، و قد تقدّم ذكرهما فى الماضية.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و أربعة عشر إصبعا.

و فى درر التيجان: و أربعة و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و أربعة أصابع.

*** السنة الرابعة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة تسع و ستين- فيها كان بالبصرة طاعون الجارف. قال المدائنىّ: حدّثنى من أدرك الجارف قال:

كان ثلاثة أيام مات فيها فى كل يوم سبعون ألفا. و قال خليفة قال أبو اليقظان:

مات لأنس بن مالك ثمانون ولدا و يقال سبعون ولدا؛ و قيل مات لعبد الرحمن بن أبى بكرة فى الطاعون المذكور أربعون ولدا. و قلّ الناس بالبصرة جدّا حتى إنه ماتت أمّ أمير البصرة فلم يجدوا من يحملها إلا أربعة بالجهد. و مات لصدقة بن عامر العامرىّ فى يوم واحد سبعة بنين، فقال: اللهم إنى مسلم مسلّم. و لما كان يوم الجمعة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸۳

خطب الخطيب و ليس فى المسجد إلّا سبعة أنفس و امرأة، فقال الخطيب:

ما فعلت الوجوه؟ فقالت المرأة: تحت التراب. و قيل: إنه توفّى فى هذا الطاعون عشرون ألف عروس. و قد اختلف فى سنة هذا الطاعون فمنهم من قال فى هذه السنة، و قال بعضهم: فى سنة سبعين، و قال آخر: فى سنة اثنتين و سبعين، و قيل غير ذلك. و هذا

الطاعون يكون سابع طاعون فى الإسلام، فإن الأوّل كان على عهد النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و الثانى طاعون عمواس فى عهد عمر رضى اللّه عنه، و الثالث بالكوفة فى زمن أبى موسى الأشعرىّ، و الرابع بالكوفة أيضا فى زمن المغيرة ابن شعبة، و الخامس الطاعون الذى مات فيه زياد، ثم الطاعون بمصر فى سنة ست و ستين. و فيها شرع الخليفة عبد الملك بن مروان فى عمارة القبّة على صخرة بيت المقدس و عمارة جامع الأقصى، و قيل: بل كان شروعه فى ذلك سنة سبعين. و فيها عزل عبد اللّه بن الزبير ابنه حمزة عن إمرة العراق و أعاد أخاه مصعب بن الزبير، فقدمها مصعب و تجهّز و خرج يريد الشام لقتال عبد الملك بن مروان، و خرج عبد الملك أيضا من الشام يريد مصعب بن الزبير، فسار كل منهما الى آخر ولايته و هجم عليهما الشتاء، فرجع كل منهما الى ولايته. قال خليفة: و كانا يفعلان ذلك فى كل سنة حتى قتل مصعب. و فيها عقد عبد العزيز بن مروان صاحب الترجمة لحسّان الغسانىّ على غزو إفريقيّة. و فيها اجتمعت الروم و استجاشوا على من بالشام، فصالح الخليفة عبد الملك بن مروان [ملكهم] على أن يؤدّى اليه فى كلّ جمعة ألف دينار خوفا منه على المسلمين. هكذا ذكر ابن الأثير هذه الواقعة فى هذه السنة، و قال غيره: إنّها فى غير السنة. و فيها توجّه مصعب بن الزبير الى مكّة و معه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۸۴

أموال كثيرة و دوابّ كثيرة، فقسّم فى قومه و غيرهم و نحر بدنا كثيرة. و فيها حكّم رجل من الخوارج بمنى و سلّ سيفه، و كانوا جماعة، فأمسك اللّه بأيديهم فقتل ذلك الرجل عند الجمرة. و فيها حجّ بالناس مصعب بن الزبير؛ و كان على قضاء الكوفة شريح، و على قضاء البصرة هشام بن هبيرة. و فيها توفى الأحنف بن قيس التّميمىّ البصرىّ أبو بحر؛ و اسمه الضحّاك بن قيس بن معاوية بن الحصين، و كان أحنف الرّجلين (و الحنف: الميل)، و هو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة، أدرك النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم و لم يره. قلت: و أخبار الأحنف مشهورة تغنى عن الإطناب فى ذكره، و قد تقدّم ذكر وفاته، و الصحيح فى هذه السنة. و فيها توفّى أبو الأسود الدّؤلى البصرىّ الكنانىّ و اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، و هو من الطبقة الأولى من تابعى البصرة، و هو أوّل من وضع علم النحو، و مات بالطاعون. و فيها قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد أبى أحيحة بن العاص بن أميّة الأشدق، سمّى الأشدق لأنه كان خطيبا مفلقا، و قيل: لاتساع شدقه، و هو من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة. و فيها توفى قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك أبو العلاء الأسدىّ، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، و كانت أرضعته هند أمّ معاوية بن أبى سفيان. و فيها توفى مالك بن يخامر السّكسكىّ الألهانى الحمصىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام، و قيل: له صحبة و رواية.

و فيها توفى يزيد بن ربيعة بن مفرّغ أبو عثمان الحميرىّ البصرى، كان شاعرا مجيدا، و السيد الحميرىّ من ولده.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۸۵

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و ثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة ثلاثة عشر ذراعا و ستة أصابع.

*** السنة الخامسة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة سبعين- فيها كان الوباء بمصر، و قيل فيها كان طاعون الحارف؟؟؟ المقدّم ذكره فى الماضية. و فيها تحوّل عبد العزيز بن مروان صاحب الترجمة من مصر الى حلوان حسبما ذكرناه فى أوّل ترجمته، و اشتراها من القبط بعشرة آلاف دينار. و فيها حج بالناس عبد اللّه بن الزبير. و فيها كانت مقتلة عمير بن الحباب بن جعدة السّلمىّ.

و فيها تحركت الروم على أهل الشام و عجز عبد الملك بن مروان عنهم لاشتغاله بقتال عبد اللّه بن الزبير، فصالح ملك الروم على أن يؤدّى له فى كل جمعة ألف دينار.

و فيها وفد مصعب بن الزبير على أخيه عبد اللّه بن الزبير بأموال العراق. و فيها بعث عبد الملك بن مروان خالد بن عبد اللّه بن أسيد بن أبى العاص بن أميّة الى البصرة ليأخذها فى غيبة مصعب بن الزبير. و فيها توفى الحارث بن عبد اللّه بن كعب بن أسد الهمدانىّ الكوفىّ الأعور، راوية علىّ رضى اللّه عنه، و هو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، و قيل: توفى سنة ثلاث و ستين. و فيها

توفى عاصم بن عمر بن الخطاب، و أمّه جميلة أخت عاصم بن ثابت بن أبى أقلح الأنصارىّ، و كان اسمها عاصمة، فسمّاها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم جميلة. و عاصم هذا هو جدّ عمر ابن عبد العزيز الأموىّ لأمّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸۶

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و ثمانية أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و واحد و عشرون إصبعا. و فى درر التيجان: ثمانية عشر إصبعا.

*** السنة السادسة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة إحدى و سبعين- فيها حج بالناس أمير المؤمنين عبد اللّه بن الزبير، و عرّف بمصر عبد العزيز بن مروان صاحب الترجمة، و هو أوّل من عرّف بها فقام من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان و عرّف بمصر.

قلت: و من خلافة مروان بن الحكم الى هذه الأيام و الممالك مقسومة بين خليفتين: عبد اللّه بن الزبير، و عبد الملك بن مروان: أمّا الحرمان و العراق كلّه فبيد عبد اللّه بن الزبير؛ و الشام و مصر و ما يليهما بيد عبد الملك بن مروان، و الفتن قائمة بينهما و الحروب واقعة فى كل سنة. و فيها افتتح الخليفة عبد الملك بن مروان قيساريّة الروم فى قول الواقدىّ. و فيها نزع عبد اللّه بن الزبير جابر بن الأسود ابن عوف عن المدينة و استعمل عليها طلحة بن عبد اللّه بن عوف، و هو آخر وال كان له على المدينة، فدام على المدينة حتى أتاه طارق بن عمرو مولى عثمان، فهرب طلحة و أقام طارق بها حتى سار الى مكة لقتال ابن الزبير. و فيها توفى شتير بن شكل القيسىّ الكوفى من أصحاب علىّ بن أبى طالب و ابن مسعود رضى اللّه عنهما.

(و شتير بضم الشين المعجمة و فتح التاء فوقها نقطتان و بعدها ياء تحتها نقطتان، و شكل بفتح الشين المعجمة و الكاف و آخره لام).

و فيها خرج عبد اللّه بن ثور أحد بنى قيس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸۷

ابن ثعلبة من جهة مصعب بن الزبير بالبحر، فانتدب لقتله عبد الرحمن الإسكاف و التقوا [بجواثا] فانهزم عبد الرحمن. و فيها توفى البراء بن عازب بن الحارث بن عدىّ أبو عمارة، و هو من الطبقة الثالثة من الأنصار من الصحابة، مات بالكوفة فى أيام مصعب بن الزبير. و فيها توفى عبد اللّه بن خازم بن أسماء بن الصّلت السّلمىّ أبو صالح أمير خراسان، صحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و روى عنه، و كان مشهورا بالشجاعة، و أصله من البصرة. (و خازم بالخاء المعجمة و الزاى). و فيها توفى عبد اللّه بن أبى حدرد الأسلمى الصحابىّ، من الطبقة الثانية من المهاجرين، فأوّل مشهد شهده مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الحديبية ثم خيبر و ما بعدها. و فيها كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان و بين مصعب بن الزبير، و قتل مصعب فى المعركة، و كان مصعب من أجمل الناس و أشجعهم، و هو من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة، و كنيته أبو عبد اللّه و المشهور أبو عيسى، و كان مصعب يجالس أبا هريرة؛ و رآه جميل بثينة بعرفات فقال: إن هاهنا لشابّا أكره أن تراه بثينة (أعنى لجماله). و لما قتل مصعب بن الزبير أخذ أمر أخيه عبد اللّه بن الزبير فى إدباره. و قيل: إنّ قتلة مصعب كانت فى سنة اثنتين و سبعين، و هو الأشهر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبعة أذرع و خمسة أصابع، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و تسعة عشر إصبعا. و فى درر التيجان: و سبعة عشر إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸۸

*** السنة السابعة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة اثنتين و سبعين- فيها بنى عبد الملك بن مروان قبّة الصخرة بالقدس و الجامع الأقصى، و قد ذكرناه فى الماضية، و الأصح أنّه فى هذه السنة. و سبب بناء عبد الملك أن عبد اللّه بن الزبير لمّا دعا لنفسه بمكّة فكان يخطب فى أيام منّى و عرفة و ينال من عبد الملك و يذكر مثالب بنى أميّة، و يذكر أن جدّه الحكم كان طريد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و لعينه، فمال أكثر أهل الشأم الى ابن الزبير؛ فمنع عبد الملك الناس من الحج فضجّوا، فبنى لهم القبّة

على الصخرة و الجامع الأقصى ليصرفهم بذلك عن الحج و العمرة، فصاروا يطوفون حول الصخرة كما يطوفون حول الكعبة و ينحرون يوم العيد ضحاياهم؛ و صار اخوه عبد العزيز بن مروان صاحب مصر يعرّف بالناس بمصر و يقف بهم يوم عرفة. و فيها ولّى عبد الملك ابن مروان طارق بن عمرو مولى عثمان على المدينة، فسار اليها و غلب عليها و أخرج منها طلحة بن عبد اللّه بن عوف عامل ابن الزبير، و قد تقدّم ذلك فى الماضية.

و فيها بعث عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفىّ الى مكّة لقتال عبد اللّه ابن الزبير فتوجّه الى مكة و حاصر ابن الزبير الى أن قتل ابن الزبير فى سنة ثلاث و سبعين، على ما يأتى ذكره فى محله. و فيها كان العامل على المدينة طارقا لعبد الملك بن مروان، و على الكوفة بشر بن مروان، و على قضائها عبيد اللّه ابن عبد اللّه بن عتبة، و كان على خراسان- فى قول بعضهم- بكير بن وشاح.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۸۹

و فيها توفى عبيدة بن عمرو السّلمانىّ المرادىّ، أسلم فى حياة النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم و كان من كبار الفقهاء، أخذ عن علىّ بن أبى طالب و عبد اللّه بن مسعود.

(و عبيدة بفتح العين و كسر الباء الموحّدة). و فيها على الصحيح مقتلة مصعب ابن الزبير، طعنه زائدة الثقفىّ و قتل معه ابنه عيسى و إبراهيم بن الأشتر و مسلم ابن عمرو الباهلىّ، و قد مرّ من أخباره فى الماضية ما يغنى عن ذكره هنا ثانية.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و عشرة أصابع، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و تسعة عشر إصبعا. و فى درر التيجان: سبعة عشر ذراعا و ستة عشر إصبعا.

*** السنة الثامنة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة ثلاث و سبعين- فيها قتل أمير المؤمنين عبد اللّه بن الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصىّ بن كلاب، أبو بكر، و قيل أبو خبيب، القرشىّ الأسدىّ، أوّل مولود ولد فى الإسلام بالمدينة، و أمّه أسماء بنت أبى بكر الصديق، له صحبة و رواية، حاصره الحجاج بن يوسف الثقفىّ بالبيت الحرام أشهرا و نصب على الكعبة المنجنيق و رمى به على البيت غير مرّة حتى قتل ابن الزبير و صلبه. قيل: إنّ الحسن البصرىّ سئل عن عبد الملك بن مروان، فقال الحسن: ما أقول فى رجل الحجّاج سيّئة من سيّئاته. و قتل مع عبد اللّه بن الزبير هؤلاء الثلاثة: و هم عبد اللّه ابن صفوان بن أميّة بن خلف الجمحىّ، و عبد اللّه بن مطيع بن الأسود العدوىّ، و عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد اللّه التّيمىّ، فهؤلاء من الأشراف، و أما غيرهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۹۰

فكثير. و من يوم قتل عبد اللّه بن الزبير صار فى الإسلام خليفة واحد و هو عبد الملك ابن مروان. قلت: و مناقب عبد اللّه بن الزبير كثيرة يضيق هذا المحل عن ذكرها.

و فيها توفّيت أسماء بنت أبى بكر أمّ عبد اللّه بن الزبير المذكور بعد ابنها عبد اللّه بمدّة يسيرة. و فيها غزا محمد بن مروان الروم صائفة فى أربعة آلاف، فساروا اليه فى ستين ألفا فهزمهم محمد و استباح عسكرهم، و قيل: إنّ هذا كان من ناحية أرمينية.

و فيها توفى إياس بن قتادة بن أوفى، من الطبقة الأولى من التابعين، و كان لأبيه قتادة صحبة. و فيها توفى سلم بن زياد بن أبيه أمير خراسان، و كان جوادا ممدّحا يعطى ألف ألف الدرهم، مات بالبصرة. و فيها توفى مالك بن أوس بن الحدثان أحد بنى نصر ابن معاوية بن هارون، قيل له صحبة، و ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من التابعين.

و فيها استعمل عبد الملك بن مروان أخاه محمدا على الجزيرة و أرمينية، و كانت [بحيرة الطّريخ التى بأرمينية] مباحة لم يتعرّض اليها أحد بل كان يأخذ منها من شاء، فمنع من صيدها و جعل عليها من يأخذه [و يبيعه] و يأخذ ثمنه، و صارت بعده لابنه مروان؛ ثم أخذت منه لمّا انتقلت الدولة الأمويّة، و هى الآن على ذلك الحجر. و من سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزرها و وزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شىء. و هذا الطّريخ من عجائب الدنيا فإنه سمك صغار له كلّ سنة موسم يخرج من هذه

البحيرة فى نهر يصبّ اليها كثيرا يؤخذ بالأيدى و غيرها، فإذا انقضى موسمه لا يوجد منه شىء. و فيها عزل عبد الملك خالد بن عبد اللّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۱

عن البصرة و ولّاها أخاه بشرا فى قول. و فيها توفى مالك بن مسمع بن غسّان الرّبعىّ البصرىّ، من الطبقة الأولى من التابعين، ولد على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبعة أذرع و تسعة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و ثلاثة أصابع.

*** السنة التاسعة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة أربع و سبعين- فيها سار الحجاج من مكّة، بعد ما بنى البيت الحرام، الى المدينة، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعنّت أهلها، و بنى بها مسجدا فى بنى سلمة يعرف به، و أخذ بعض الصحابة و ختم عليهم فى أعناقهم. روى الواقدىّ عن ابن أبى ذؤيب عمن رأى جابر بن عبد اللّه مختوما [فى يده و رأى أنس بن مالك مختوما] فى عنقه، يذلّهما بذلك. قال الواقدىّ: و حدّثنى شرحبيل بن أبى عون عن أبيه قال: رأيت الحجّاج أرسل الى سهل بن سعد الساعدىّ فقال: ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان؟ فقال: قد فعلت؛ قال: كذبت، ثم أمر به فختم فى عنقه برصاص.

و فيها توفى بشر بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة و هو متولّى البصرة، و كان ولى العراق و الكوفة قبل ذلك، و قحط الناس أيام بشر فاستسقى فمطروا؛ ثم مرّ بشر بسراقة، و كان سراقة قد عمل فيها أبياتا، فرأى سراقة يحوّل الماء من داره؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۲

فقال بشر: ما هذا يا سراقة؟ فقال: هذا و لم ترفع يديك فى الدعاء، فلو رفعتهما لجاءنا الطوفان. و مات بشر المذكور من البلاذر، فإنه شربه بطوس فاعتلّ و لزم الفراش حتى مات. و فيها توفى رافع بن خديج بن رافع بن عدىّ الأنصارىّ الصحابىّ من الطبقة الثالثة من الأنصار، شهد أحدا و ما بعدها مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و كنيته أبو عبد اللّه، و أمّه حليمة بنت عروة بن مسعود. و فيها توفى أبو سعيد الخدرىّ، و اسمه سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة، الصحابىّ من الطبقة الثالثة من الأنصار، و استصغر يوم أحد فردّ. قال أبو سعيد: فخرجنا نتلقّى رسول اللّه عليه و سلم حين أقبل من أحد ببطن قبآء، فنظر إلىّ و قال: «سعد بن مالك»؟ فقلت: نعم بأبى أنت و أمى، فدنوت منه و قبّلت ركبته، فقال: «آجرك اللّه فى أبيك»، و كان قتل يومئذ شهيدا. و فيها توفّى سلمة بن الأكوع، و كنيته أبو مسلم، الصحابىّ، من الطبقة الثالثة من المهاجرين. قال سلمة: غزوت مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم سبع غزوات. و فيها توفى عبد اللّه بن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنهما، أبو عبد الرحمن القرشىّ العدوىّ صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و هو من الطبقة الثانية من المهاجرين، و أمّه زينب بنت مظعون بن حبيب، و هو شقيق حفصة زوج النبى صلى اللّه عليه و سلم، أسلم عبد اللّه قديما بمكّة قبل البلوغ، و هو من العبادلة الأربعة: و هم عبد اللّه ابن عمر هذا، و عبد اللّه بن عباس، و عبد اللّه بن الزبير، و عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضى اللّه عنهم أجمعين، و هو من المكثرين فى رواية الحديث.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و إصبعان، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا و خمسة عشر إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۳

*** السنة العاشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة خمس و سبعين- فيها حج بالناس الخليفة عبد الملك بن مروان و خطب على منبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و أظنّها أوّل حجّته فى الخلافة. و فيها ولّى الخليفة عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف على العراق. و فيها خرج عبد العزيز بن مروان صاحب الترجمة من مصر وافدا على أخيه الخليفة عبد الملك بن مروان بالشام و استخلف على مصر زياد بن حنظلة التّجيبىّ، و توفى زياد بعد ذلك بمدّة يسيرة فى شوّال؛ و تخلّف على مصر الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان حتى قدم أبوه عبد العزيز من الشام. و فيها ولّى عبد الملك المدينة يحيى بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة. و فيها خرج ملك الروم بجيوشه و نزل على مرعش من أعمال حلب، فندب عبد الملك لقتاله أخاه محمد بن مروان فهزم محمد الروم و

غلبهم. و فيها ضرب عبد الملك بن مروان على الدينار و الدرهم اسم اللّه تعالى، و سببه أنه وجد دراهم و دنانير تاريخها قبل الإسلام بثلاثمائة سنة أو بأربعمائة سنة مكتوب عليها: باسم الأب و الابن و روح القدس. قال الزهرىّ:

كانت الدراهم على ثلاثة أصناف: الوافية وزن الدرهم مثقال، و البغليّة وزن الدرهم نصف مثقال، و الزياديّة وزن العشرة ستة مثاقيل، فجمع عبد الملك هذه الأصناف و ضربها على ما هى الآن عليه. و فيها توفى توبة بن الحميّر بن عقيل بن كعب بن ربيعة الخفاجىّ أحد عشاق العرب صاحب ليلى الأخيلية بنت عبد اللّه ابن الرحّال بن شدّاد بن كعب، و كانت أشعر نساء زمانها لا يقدّم عليها غير الخنساء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۴

قيل: إن ليلى هذه دخلت على عبد الملك بن مروان فقال لها: ما رأى منك توبة حتى عشقك؟ فقالت: ما رأى الناس منك حين جعلوك خليفة!. و قال الشعبىّ:

و دخلت ليلى الأخيلية على الحجاج و أنا حاضر، فقال: ما الذى أقدمك علينا؟

فقالت: إخلاف النجوم، و قلّة الغيوم؛ و كلب البرد، و شدّة الجهد، و أنت لنا بعد اللّه الرّفد؛ فقال لها: صفى حال البلاد؛ فقالت: أمّا الفجاج فمغبرّة، و أما الأرض فمقشعرّة، ثم ذكرت أشياء من هذه المقولة الى أن قالت: و قد أصابتنا سنون لم تدع لنا هبعا، و لا ربعا؛ و لا عافطة، و لا نافطة؛ ذهبت الأموال، و نزحت الرجال ا ه.

و أما أشعار توبة المذكور فيها و تشبيبه بها فكثيرة ليس هذا موضع ذكرها. و فيها توفى أبو ثعلبة الخشنىّ القضاعىّ، و اسمه جرثوم، قدم على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و هو يتجهّز الى غزوة حنين، و قيل: إنه شهد بيعة الرضوان و حنينا و نزل الشام و توفّى بها. و فيها توفى سليم بن عتر التّجيبىّ المصرى أبو سلمة عالم مصر و قاضيها، من الطبقة الأولى من التابعين، و هو أوّل من قضى بمصر فى سنة تسع و ثلاثين و شهد فتح مصر. و فيها توفى شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية ابن عامر أبو أميّة قاضى الكوفة، من الطبقة الأولى من التابعين الكوفيين، و قيل إنه صحابىّ. و فيها كان وقوع الطاعون بالكوفة. و فيها توفى صلة بن أشيم العدوىّ أبو الصهباء، من الطبقة الأولى من تابعى الصحابة بالبصرة. و فيها توفى العرباض

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۵

ابن سارية أبو نجيح السّلمىّ، من الطبقة الثالثة من الصحابة المهاجرين. و فيها توفى عمرو بن ميمون الأودى (أود بنى صعب بن سعد) من الطبقة الأولى من التابعين، أدرك رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و لم يلقه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و سبعة أصابع، مبلغ الزيادة ثلاثة عشر ذراعا و تسعة أصابع.

*** السنة الحادية عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة ست و سبعين- فيها خرج صالح بن مسرّح التميمىّ و كان رجلا صالحا ناسكا لكّنه كان يحطّ على الخليفتين عثمان و علىّ رضى اللّه عنهما كهيئة الخوارج، فوقع له حروب فى هذه السنة الى أن توفّى من جرح أصابه فى حروبه بعد مدّة فى جمادى الآخرة و عهد لشبيب بن يزيد؛ فوقع لشبيب المذكور مع الحجّاج بن يوسف حروب و وقائع كثيرة أكثرها لشبيب على الحجّاج حتى دخل شبيب فى هذه السنة الكوفة و معه امرأته غزالة، و كانت غزالة المذكورة تدخل مع زوجها فى الحروب، و ربّما قصدت الحجاج فهرب منها. و فيها وفد يحيى بن الحكم على الخليفة عبد الملك بن مروان. و فيها كان الحجاج على العراق و فعل تلك الأفعال القبيحة، و كان على خراسان أميّة بن عبد اللّه بن خالد، و على قضاء الكوفة شريح، و على قضاء البصرة زرارة ابن أوفى. و فيها غزا محمد بن مروان الروم من ناحية ملطيّة. و فيها توفى حيّة بن جوين العرنىّ صاحب علىّ (و حبة بالحاء المهملة و الباء الموحدة) و هو منسوب الى عرنة (بالعين المهملة المضمومة و الراء المهملة و النون). و فيها حجّ بالناس أبان بن عثمان بن عفّان أمير المدينة بعد أن ولّاه عبد الملك إمرتها فى أوّل السنة. و فيها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۶

ولد مروان بن محمد الجعدىّ المعروف بالحمار آخر خلفاء بنى أميّة الآتى ذكره فى محلّه. و فيها استشهد زهير بن قيس البلوىّ المصرىّ أبو شدّاد فى واقعة الروم، و قد تقدّم ذكره فى واقعة إفريقيّة مع كسيلة و غيره.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و أربعة أصابع، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا و سبعة أصابع.

*** السنة الثانية عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة سبع و سبعين- فيها قتل شبيب بن يزيد بن نعيم بعد أن وقع له وقائع مع الحجّاج و عمّاله، و هو شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصّملت الشّيبانىّ الخارجىّ، خرج بالموصل فبعث اليه الحجاج خمسة قوّاد فقتلهم واحدا بعد واحد، ثم قاتل الحجّاج و حاصره و كسره غير مرّة، و كانت امرأة شبيب غزالة من الشجعان الفرسان حتى إنها قصدت الحجّاج فهرب منها، فعيّره بعض الناس بقوله:

أسد علىّ و فى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلّا برزت إلى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر

و فيها خرج مطرّف بن المغيرة بن شعبة على الحجّاج، و خلع عبد الملك بن مروان من الخلافة و حارب الحجاج الى أن قتل. و فيها عبر أميّة نهر بلخ للغزو فحوصر حتى جهد هو و أصحابه ثم نجوا بعد ما أشرفوا على الهلاك و رجعوا إلى مرو. و فيها حجّ بالناس أبان بن عثمان بن عفّان و هو أمير المدينة، و كان على البصرة و الكوفة الحجّاج ابن يوسف الثقفىّ، و على خراسان أميّة المذكور. و فيها غزا الصائفة الوليد بن عبد الملك بن مروان. و فيها توفّى جابر بن عبد اللّه بن عمرو الأنصارىّ فى قول. و فيها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۷

توفى عبيد بن عمير بن قتادة اللّيثىّ المكىّ أبو عاصم، من الطبقة الأولى من التابعين من اهل مكّة، قال عطاء: دخلت أنا و عبيد بن عمير على عائشة رضى اللّه عنها فقالت: من هذا؟ فقال: أنا عبيد بن عمير، قالت: أفمن أهل مكّة؟ قال: نعم، قالت: خفّف فإنّ الذكر ثقيل. قال مجاهد: كنا نفتخر بفقيهنا ابن عباس، و قاضينا عبيد بن عمير. و فيها توفى قطرىّ بن الفجأة المازنىّ و قيل التميمىّ، كان أحد رءوس الخوارج، حارب المهلّب بن أبى صفرة سنين، و سلّم عليه بأمير المؤمنين.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و عشرة أصابع، مبلغ الزيادة ثلاثة عشر ذراعا و سبعة عشر إصبعا.

*** السنة الثالثة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة ثمان و سبعين- فيها ولّى المهلّب بن أبى صفرة خراسان نيابة عن الحجّاج و هو يوم ذاك أمير البصرة و الكوفة و خراسان و كرمان. و فيها توفّى عبد الرحمن بن عبد القارىّ، و له ثمان و سبعون سنة، و مسح النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم برأسه (و القارىّ بالياء المشدّدة). و فيها غزا محرز بن أبى محرز أرض الروم و فتح ارقدة، فلما رجع بعسكره، أصابهم مطر شديد من وراء درب الحدث فأصيب منه ناس كثيرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۸

و فيها ولى إمرة الغرب كلّها موسى بن نصير اللّخمىّ، فسار اليه و قدم الى طنجة و قدّم على مقدّمته طارق بن زياد الصدفىّ مولاهم الذى افتتح الأندلس، و أصاب فيها المائدة التى يزعم أهل الكتاب أنها مائدة سليمان عليه السلام. و فيها حجّ بالناس الوليد بن عبد الملك بن مروان، و قيل أبان بن عثمان بن عفان أمير المدينة. و فيها فرغ الحجاج بن يوسف من بناء واسط، و إنما سمّيت واسط لأنها بين الكوفة بناء واسط و البصرة، منها الى الكوفة خمسون فرسخا و الى البصرة كذلك. و فيها عزل عبد الملك عامل خراسان و ضمّ ولايتها و ولاية سجستان الى الحجاج، فسار الحجاج الى البصرة و استخلف عليها المغيرة بن عبد اللّه بن [أبى] عقيل. و فيها قدم المهلّب على الحجاج فأجلسه معه على سريره و أعطى أصحابه الأموال و قال: هؤلاء حماة الثغور. و فيها توفّى جابر ابن عبد اللّه بن عمرو الأنصارىّ الصحابىّ أبو عبد اللّه، و هو من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العقبة الثانية مع الأنصار و كان أصغرهم سنّا، و أسلم قبل العقبة الأولى بعام، و أراد أن يشهد بدرا فخلّفه أبوه على إخوته. و فيها توفّى عبد الرحمن ابن غنم بن كريب الأشعرىّ، اختلفوا فى صحبته، ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من أنصار أهل الشام بعد الصحابة، و قيل: هو تابعىّ ثقة، و قيل: إنّه أسلم على عهد رسول

اللّه صلى اللّه عليه و سلم و لم يلقه. قال ابن الأثير: أدرك الجاهلية و ليست له صحبة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و ثمانية أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۹

*** السنة الرابعة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة تسع و سبعين- فيها استولى الحجاج بن يوسف على البحرين و استعمل عليها محمد ابن صعصعة الكلابىّ و ضمّ اليه عمان، فخرج عليه الريّان البكرىّ فهرب محمد و ركب البحر حتى قدم على الحجاج. و فيها غزا الوليد بن عبد الملك بن مروان ملطيّة فغنم و سبى و عاد الى أبيه عبد الملك. و فيها كان الطاعون العظيم بالشام. و فيها حجّ بالناس أبان بن عثمان بن عفان أمير المدينة. و فيها قتل الخليفة عبد الملك بن مروان الحارث ابن عبد الرحمن بن سعد الدمشقىّ الذى ادّعى النبوّة، و كان انضم عليه جماعة كبيرة.

و فيها توفّى عبد الرحمن بن عبد اللّه بن مسعود الهذلىّ، كان من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، روى عن علىّ بن أبى طالب و ابن مسعود. و فيها أصاب الناس طاعون شديد حتى كادوا يفنون فلم يغز أحد تلك السنة فيما قيل.

و فيها أصاب الروم أهل أنطاكية و ظفروا بهم. و فيها استعفى شريح بن الحارث من القضاء فأعفاه الحجاج و استعمل على القضاء أبا بردة بن أبى موسى الأشعرىّ.

و فيها توفّى النابغة الجعدىّ، و اسمه قيس بن عبد اللّه بن عديس، و قيل عبد اللّه ابن قيس، و قيل حسّان بن قيس، و كنيته أبو ليلى، و كان من شعراء الجاهليّة و لحق الأخطل و نازعه بالشعر، و له صحبة و وفادة على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم.

قال الذهبىّ: و قال يعلى بن الأشدق- و ليس بثقة-: سمعت النابغة يقول:

أنشد ف؟؟؟ النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم:

بلغنا السماء مجدنا و جدودنا و إنّا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال: «أين المظهر يا أبا ليلى»؟ فقلت: الجنّة، قال: «أجل إن شاء اللّه» ثم قلت أيضا:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۰

و لا خير فى حلم اذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدّرا

و لا خير فى جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «لا يفضض اللّه فاك» مرتين. و مات النابغة بأصبهان و له مائة و عشرون سنة، و قيل مائة و ستون سنة، و قيل مائتا سنة. و فيها توفّى محمود ابن الربيع، و كنيته أبو إبراهيم، ولد على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و خمسة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و سبعة عشر إصبعا.

*** السنة الخامسة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة ثمانين- فيها كان سيل الجحاف بمكّة و هلك فيه خلق كثير من الحجّاج، فكان يحمل الإبل و عليها الأحمال و الرجال و النساء ما لأحد منهم حيلة، و غرقت بيوت مكّة و بلغ السيل الركن، فسمّى ذلك العام عام الجحاف. و فيها كان طاعون الجارف بالبصرة فى قول بعضهم. و فيها خرج عبد الواحد بن أبى الكنود من الإسكندرية و ركب البحر و غزا الفرنج حتى وصل الى قبرس. و فيها هلك أليون عظيم الروم و ملكها. و فيها صلب عبد الملك سعيد بن عبد اللّه بن عليم الجهنىّ على إنكاره القدر، قاله سعيد بن عفير. و فيها توفى جبير بن نفير بن مالك أبو عبد اللّه اليحصبىّ الحضرمىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام؛ أسلم فى خلافة الصديق رضى اللّه عنه. و فيها توفّى جنادة بن أبى أميّة الأزدىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام. و فيها توفّى حسّان بن النعمان الغسانىّ من أولاد ملوك غسّان، و يقال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۱

إنه ابن المنذر، صاحب الفتوحات بالمغرب، ولّاه معاوية بن أبى سفيان إفريقيّة.

و فيها توفى زيد بن وهب بن خالد أبو سليمان الجهنىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة. و فيها توفى السائب بن يزيد بن سعيد الكندىّ أبو يزيد، من الطبقة الخامسة من المخضرمين، مات رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و هو حدث الأسنان. و فيها توفّى شريح بن هانئ بن يزيد بن نهبك بن دريد بن الحارث بن كعب، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، كان من أصحاب علىّ رضى اللّه عنه و شهد معه مشاهده، و كان قاضى الكوفة و به يضرب المثل. قال الذهبىّ: إنه مات سنة ثمان و سبعين. و فيها حج بالناس أمير المدينة أبان بن عثمان، و كان على العراق و الشرق الحجاج. و فيها قتل معبد بن عبد اللّه بن عليم الذى يروى حديث الدّباغ، و هو أوّل من قال بالقدر فى البصرة، قتله الحجاج و قيل قتله عبد الملك الخليفة بدمشق.

و فيها توفى شقيق بن سلمة الأزدىّ أبو وائل، أدرك رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و لم يره، و هو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة. و فيها توفّى أبو إدريس الخولانىّ، و اسمه عائذ اللّه بن عبد اللّه، و قيل عبد اللّه بن إدريس بن عائذ اللّه، قاضى دمشق فى أيّام معاوية و غيره، و هو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل الشام. و فيها توفّى عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب، أبو جعفر و قيل أبو محمد، و أمّه أسماء بنت عميس ولدته بالحبشة فى الهجرة، و هو أوّل مولود ولد فى الإسلام بالحبشة، و هو من الطبقة الخامسة، توفّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و هو حدث الأسنان، و قيل إنه كان له يوم توفى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عشر سنين. و فيها توفى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۰۲

عبيد اللّه بن أبى بكرة الثقفىّ، و كنيته أبو حاتم، من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل البصرة، و أمّه هولة بنت غليظ من بنى عجل، و هو أوّل من قرأ القرآن بالألحان، و ولى قضاء البصرة، و أوفده الحجاج على الخليفة عبد الملك فسأله أن يولّى الحجاج خراسان و سجستان. و فيها توفى العلاء بن زياد بن مطر بن شريح العدوىّ، و هو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، و كان من العبّاد الخائفين. و فيها توفى معاوية ابن قرّة بن إياس بن هلال المزنىّ أبو إياس، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، كان زاهدا عابدا ورعا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و ثمانية أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و سبعة عشر إصبعا.

*** السنة السادسة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة إحدى و ثمانين- فيها حجّ بالناس سليمان بن عبد الملك بن مروان و حجّت معه أمّ الدرداء. و فيها خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج بن يوسف و خلع عبد الملك بن مروان من الخلافة، و وقع له بسبب ذلك مع الحجاج حروب، و وافقه جماعة كثيرة على ذلك و كاد أمره أن يتمّ. و فيها غزا عبد اللّه بن عبيد اللّه بلاد الروم و وصل الى قاليقلا ففتحها، و يقال: إن أصل الفرات من عندها يجتمع.

و فيها توفى محمد بن علىّ بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية، و الحنفية اسم أمّه، و لها اسم آخر: خولة بنت جعفر بن قيس، و محمد هذا من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، و كنيته أبو القاسم؛ ولد فى خلافة أبى بكر، و قيل لثلاث سنين أو لسنتين بقين من خلافة عمر، و هى السنة التى ولد فيها سعيد بن المسيّب، و كان دينّا عابدا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۰۳

صاحب رأى و قوّة شديدة الى الغاية. و فيها كانت مقتلة بحير بن ورقاء الصريمىّ.

و فيها كان دخول الديلم قزوين، و سببه أنّ العساكر كانت لا تبرح مرابطة بها، فلما كان فى هذه السنة كان من جملة من رابط بها محمد بن أبى سبرة الجعفىّ، و كان فارسا شجاعا، فلما قدم قزوين رأى الناس لا ينامون الليل، فقال لهم: أ تخافون أن يدخل عليكم العدوّ؟ قالوا: نعم، قال: لقد أنصفوكم إن فعلوا، افتحوا الأبواب ففتحوها؛ و بلغ ذلك الديلم فبيّتوهم و هجموا [على] البلد و تصايح الناس، فقال محمد بن أبى سبرة: أغلقوا الأبواب فقد أنصفونا، فأغلقوا الأبواب التى للمدينة فقاتلوهم.

و أبلى محمد بلاء حسنا حتى ظفر بهم المسلمون و لم يفلت من الديلم أحد، و لم يعد الديلم بعدها؛ فصار محمد فارس ذلك الثغر، و

كان يدمن شرب الخمر، و بقى كذلك الى أيام عمر بن عبد العزيز فأمر بتسييره الى داره، و هى دار الفسّاق بالكوفة، فسيّر إليها، فأغارت الديلم بعده على قزوين و نالت من المسلمين و ظهر الخلل بعده حتى طلب ثانية و أعيد الى قزوين. و فيها توفى سويد بن غفلة، و كنيته أبو أميّة كناه بها عمر بن الخطاب، و هو من الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة، أدرك رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و وفد عليه فوجده قد قبض، و أدرك دفنه و هم ينفضون أيديهم من التراب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و ثلاثة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و ثمانية أصابع.

*** السنة السابعة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة اثنتين و ثمانين- فيها كانت وقعة الزاوية بين محمد بن الأشعث و بين الحجاج بالبصرة، و كان لابن الأشعث مع الحجاج فى السنة الماضية و فى هذه السنة عدّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۰۴

وقائع منها: وقعة دجيل يوم عيد الأضحى، و هى وقعة دير الجماجم، ثم وقعة الأهواز، و يقال: إنّه خرج مع ابن الأشعث ثلاثة و ثلاثون ألف فارس و مائة و عشرون ألف راجل، فيهم علماء و فقهاء و صالحون. و قيل: إنّه كان بينهما أربع و ثمانون وقعة فى مائة يوم، فكانت منها ثلاث و ثمانون على الحجاج و واحدة له، فعند ما انكسر ابن الأشعث خرج الى الملك زنبيل و التجأ إليه حتى مات بعد ذلك فى سنة أربع و ثمانين، و فى موته أقوال كثيرة. و فيها عزل الخليفة عبد الملك بن مروان أبان بن عثمان بن عفّان عن المدينة فى جمادى الآخرة و استعمل عليها هشام بن إسماعيل المخزومىّ، فعزل هشام ابن مساحق عن القضاء بالمدينة و ولّى عوضه عمرو بن خالد الزّرقىّ.

و فيها غزا محمد بن مروان بن الحكم أخو الخليفة عبد الملك أرمينية، فهزم أهلها فسألوه الصلح فصالحهم، و ولّى عليهم أبا شيخ بن عبد اللّه فغدروا به و قتلوه. و قيل بل قتل سنة ثلاث و ثمانين. و فيها توفى أسماء بن خارجة بن مالك الفزارىّ الكوفىّ أحد الأجواد، وفد على الخليفة عبد الملك فقال له عبد الملك: بلغنى عنك خصال شريفة فأخبرنى بها؛ قال أسماء: ما سألنى أحد حاجة إلّا و قضيتها، و لا أكل رجل من طعامى إلا رأيت له الفضل علىّ، و لا أقبل علىّ رجل بحديث إلا و أقبلت عليه بسمعى و بصرى؛ فقال له عبد الملك: حقّ لك أن تشرف و تسود. و فيها توفّى أبو الشعثاء سليم بن أسود بن حنظلة المحاربىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة. و قيل: إنّ وفاة أبى الشعثاء فى غير هذه السنة و الأصح فيها. و فيها توفى عبد الرحمن بن يزيد بن قيس النّخعىّ أبو بكر، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة، كان يسجد على كور عمامته قد حالت بين جبهته و الأرض. و فيها توفى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۰۵

المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة، و اسم أبى صفرة ظالم بن سراقة، و كنيته أبو خداش، كان خليفة أبيه على مرو فمات فى شهر رجب، و كان المغيرة جوادا سيّدا شجاعا، و لمّا وصل الخبر الى أبيه وجد عليه وجدا عظيما أثّر فيه ذلك، ثم استناب ابنه يزيد بن المهلّب على مرو.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و سبعة عشر إصبعا.

*** السنة الثامنة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة ثلاث و ثمانين- فيها حج بالناس أمير المدينة هشام بن إسماعيل المخزومىّ.

و فيها توفى أبو الجوزاء أوس بن خالد الرّبعىّ البصرىّ، و قيل خالد بن سمير، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة. و فيها توفى روح بن زنباع أبو زرعة الجذامىّ الشامىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام، و كان متميّزا عند الناس فخاف منه معاوية فعزم على قتله ثم خلّى عنه، و كان عظيم دولة عبد الملك بن مروان، و هو الذى قدّم الحجّاج بن يوسف الثقفىّ عند عبد الملك حتى صار من أمره ما صار، و قصته مع الحجاج المذكور مشهورة من قتل عبيده و إحراق خيامه عند ما ولّى الحجاج حرب مصعب بن الزبير. و روح هذا هو زوج هند بنت النعمان بن بشير، و كانت تكرهه، و هى القائلة:

و ما هند إلّا مهرة عربيّة سليلة أفراس تجلّلها بغل

فإن نتجت مهرا كريما فبالحرى و إن يك إقراف فمن قبل الفحل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۶

و قد شاع ذلك فى زمانها حتى قال بعض الشعراء فى صاحب سألّة:

لى صاحب مثل داء البطن صحبته يودّنى كوداد الذّيب للبرأعى

يثنى علىّ جزاه اللّه صالحة ثناء هند على روح بن زنباع

و فيها توفى زاذان الكوفىّ أبو عبد اللّه مولى كندة، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة، و كان صالحا صاحب نسك و عبادة و كان بزّازا. و فيها توفى عبد اللّه بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب، أبو محمد الهاشمىّ، من الطبقة الأولى من التابعين، و أمّه هند بنت أبى سفيان؛ ولد فى زمان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فأتت به أمّه الى أختها أمّ حبيبة زوجة النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، ثم دخل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عليها فقال: «من هذا»؟ فقالت: ابن عمك و ابن أختى، فتفل فى فيه و دعا له. و فيها توفى عبد اللّه بن شدّاد بن الهاد، و اسم الهاد عمرو الليثىّ، و سمّى الهاد لأنه كان يوقد ناره للأضياف ليلا و لمن سلك الطريق، و هو من الطبقة الأولى من تابعى المدينة، و أمّه سلمى بنت عميس الخثعميّة أخت أسماء.

و فيها توفى عبد الرحمن بن يسار أو بلال أبى ليلى، صحب أبوه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و شهد معه أحدا و ما بعدها. و أمّا عبد الرحمن هذا فإنه تابعىّ من أهل الكوفة، من الطبقة الأولى، و كان عالما زاهدا خرج على الحجاج بن يوسف، قتل بدجيل و قيل بل غرق فى نهر دجيل مع ابن الأشعث. و فيها توفى معبد الجهنىّ من أهل البصرة و هو أوّل من تكلم فى القدر، و هو من الطبقة الثانية من تابعى أهل البصرة، و حضر التحكيم بدومة الجندل. و فيها توفى المهلّب بن أبى صفرة اسمه ظالم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۷

ابن سراق بن صبح الأزدىّ العتكىّ البصرىّ، و فى اسم المهلب أقوال كثيرة، قيل:

اسمه سارق بن ظالم، و قيل بالعكس، و قيل طارق بن سارق، و قيل قاطع بن سارق و قيل الذى ذكرناه أوّلا؛ الأمير أبو سعيد أحد أشراف أهل البصرة و وجوههم و فرسانهم، ولد عام الفتح فى حياة النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم و ولّى الأعمال الجليلة، و له مواقف مع الروم و غيرها الى أن توفى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبعة أذرع و ثمانية أصابع، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و واحد و عشرون إصبعا.

*** السنة التاسعة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة أربع و ثمانين- فيها فتحت المصّيصة على يد عبد اللّه بن عبد الملك بن مروان.

و فيها افتتح موسى بن نصير ملك درنة من بلاد المغرب، فقتل و سبى حتى قيل:

إنّ السبى بلغ خمسين ألفا. و فيها غزا محمد بن مروان أرمينية فهزمهم و حرق كنائسهم، و تسمى سنة الحريق. و فيها قتل الحجاج أيوب بن القرّيّة و كان من فصحاء العرب و بلغائهم و أجوادهم، كان خرج أيضا مع محمد بن الأشعث، و اسمه أيّوب ابن زيد بن قيس أبو سليمان الهلالىّ، ثم ندم الحجاج على قتله. و ابن القرّيّة هذا له حكايات كثيرة فى الجود و الكرم و الفصاحة، منها: أنّه لما أحضره الحجاج ليقتله، فقال له ابن القرّية: أقلنى عثرتى، و اسقنى ريقى فإنه «ليس جواد إلّا له كبوة، و لا شجاع إلّا له هبوة، و لا صارم إلا له نبوة»؛ فقال الحجاج: كلا! و اللّه لأزيرنّك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۸

جهنّم؛ قال: فأرحنى فإنى أجد حرّها، فأمر به فضربت عنقه، فلما رآه قتيلا قال:

لو تركناه حتى نسمع من كلامه!. و فيها ولى إمرة الإسكندرية عياض بن غنم التّجيبىّ. و فيها بعث عبد الملك بن مروان بالشّعبىّ الى

أخيه عبد العزيز صاحب الترجمة الى مصر بسبب البيعة للوليد بن عبد الملك حسبما ذكرناه فى صدر ترجمة عبد العزيز. و فيها حجّ بالناس هشام بن إسماعيل. و فيها ظفر الحجاج برأس محمد بن الأشعث و طيف بها فى الأقاليم. و فيها قتل الحجاج حطيطا الزيات الكوفىّ، كان عابدا زاهدا يصدع بالحقّ، قتله الحجاج لتشيّعه و لميله لابن الأشعث. قيل: إنه لما أحضره بين يديه قال له الحجاج: ما تقول فى أبى بكر و عمر؟ قال: أقول فيهما خيرا، قال: ما تقول فى عثمان؟ قال: ما ولدت فى زمانه، فقال له الحجاج: يا بن اللخناء، ولدت فى زمان أبى بكر و عمر و لم تولد فى زمن عثمان! فقال له حطيط:

يا بن اللخناء، إنى وجدت الناس اجتمعوا فى أبى بكر و عمر فقلت بقولهم، و وجدت الناس اختلفوا فى عثمان فوسعنى السكوت، فقال معدّ لعنه اللّه (معدّ صاحب عذاب الحجاج): إنى أريد أن تدفعه اليّ، فو اللّه لأسمعنّك صياحه، فسلّمه اليه فجعل يعذّبه ليلته كلّها و هو ساكت، فلما كان وقت الصبح كسر ساق حطيط، ثم دخل عليه الحجّاج لعنه اللّه فقال له: ما فعلت بأسيرك، فقال: إن رأى الأمير أن يأخذه منّى، فقد أفسد علىّ أهل سجنى، فقال له الحجاج: علىّ به فعذّبه بأنواع العذاب و هو صابر، فكان يأتى بالمسالّ فيغرزها فى جسمه و هو صابر، ثم لفّه فى بارية و ألقاه حتى مات. و فيها توفّى أبو عمرو سعد بن إياس الشيبانىّ صاحب العربية و أيام الناس، كان إماما فيهما، و هو من الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة، شهد القادسيّة و روى عن عمر و علىّ و ابن مسعود و غيرهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۹

امر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و نصف، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و واحد و عشرون إصبعا.

*** السنة العشرون من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر و هى سنة خمس و ثمانين- فيها كانت وفاة عبد العزيز بن مروان صاحب الترجمة، حسبما تقدّم ذكره، فى الطاعون العظيم الذى كان فى هذه السنة بمصر و أعمالها، و هو ثامن طاعون كان فى الإسلام على قول بعضهم، و قد ذكرنا ذلك فيما مضى فى حوادث سنة ست و ستين. و فيها غزا محمد بن مروان إرمينية فأقام بها سنة و ولّى عليها عبد العزيز بن حاتم بن النّعمان الباهلىّ، فبنى مدينة أردبيل و مدينة برذعة. و فيها جهّز عبد اللّه بن عبد الملك بن مروان يزيد بن حنين فى جيش فلقيه الروم فى جيش كثير فأصيب الناس، و قتل ميمون الجرجانى فى ألف نفس من أهل أنطاكية.

و فيها عزل يزيد بن المهلّب بن أبى صفرة عن خراسان، و ولّى الفضل أخوه مدّة يسيرة ثم عزل أيضا، و ولّى قتيبة بن مسلم. و فيها قتل موسى بن عبد اللّه بن خازم السّلمىّ و كان بطلا شجاعا و سيدا مطاعا، كان غلب على ترمذ و ما وراء النهر مدّة سنين و حارب العرب من هذه الجهة و الترك من تلك الجهة، و جرت له وقعات عظيمة، و آخر الأمر أنه خرج ليلة فى هذه السنة بعساكره ليغير على جيش فعثر به فرسه فابتدره ناس من ذلك الجيش و قتلوه. و فيها حج بالناس هشام بن إسماعيل المخزومىّ. و فيها توفّى عبد اللّه بن عامر بن ربيعة حليف بنى عدىّ، و كان له لما مات النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم أربع سنين. و فيها توفى واثلة بن الأسقع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۰

ابن عبد العزّى بن عبدياليل، من الطبقة الثالثة من المهاجرين، و كان ينزل ناحية المدينة، فأتى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فصلّى معه الصبح و بايعه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و خمسة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و واحد و عشرون إصبعا.

ذكر ولاية عبد اللّه بن عبد الملك على مصر

هو عبد اللّه ابن الخليفة عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة ابن عبد شمس، القرشىّ الأموىّ الأمير أبو [عمر]، ولد فى حدود سنة ستين و نشأ بدمشق تحت كنف والده عبد الملك، و ندبه أبوه فى خلافته الى عدّة غزوات، و افتتح المصّيصة فى سنة أربع و ثمانين و قتل و سبى و غنم؛ ثم ولّاه أبوه إمرة مصر بعد موت عمه عبد العزيز بن مروان فى سنة خمس و ثمانين، فتوجّه اليها و دخلها فى يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من سنة خمس و ثمانين، و قيل من سنة ست و ثمانين. و دخل مصر

ابن سبع و عشرين سنة، و كان أبوه عبد الملك أمره أن يعفّى آثار عبد العزيز؛ فأوّل ما دخل عبد اللّه المذكور استبدل العمّال بعمّال غيرهم و الأصحاب بأصحاب أخر، و استعمل على شرطة مصر عبد الأعلى، و منع من لبس البرانس، و كان فيه شدّة بأس. فلم يكن إلا أشهر و توفّى أبوه عبد الملك بن مروان و ولى الخلافة من بعده أخوه الوليد بن عبد الملك، فأقرّه الوليد على إمرة مصر على عادته؛ فأمر عبد اللّه المذكور أن تنسخ دواوين مصر بالعربية، و كانت تكتب بالقبطيّة، ففعل ذلك. ثم وقع فى سنة سبع و ثمانين الشراقى بمصر و علت الأشعار بها الى الغاية، حتى قيل: إن أهل مصر لم يروا فى عمرهم مثل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۱

تلك الأيام، وقاست أهل مصر شدائد بسبب الغلاء، فاستشأمت الناس بكعبه.

هذا مع ما كان عليه من الجور؛ فإنه كان يرتشى و يأخذ الأموال من الخراج و غيره.

و لما شاع ذلك عنه طلبه أخوه الوليد من مصر، فخرج عبد اللّه من مصر اليه بدمشق فى صفر سنة ثمان و ثمانين، و استخلف على مصر عبد الرحمن بن عمرو بن مخزوم الخولانىّ. هذا و أهل مصر فى شدّة عظيمة من عظم الغلاء؛ فأقام عند الوليد مدّة يسيرة ثم عاد الى مصر حتى عزله أخوه الوليد بن عبد الملك عن إمرة مصر فى سنة تسعين، و ولّى عوضه على مصر قرّة بن شريك الآتى ذكره. فكانت ولاية عبد اللّه هذا على مصر ثلاث سنين و عشرة أشهر. و بعد عزله توجّه الى دمشق عند أخيه الوليد. و خرج من مصر بجميع أمواله و استصحب معه الهدايا و التحف الى أخيه الوليد. فلمّا وصل الى الأردنّ أحيط به من قبل أخيه الوليد فأخذ جميع ما كان معه، و حمل عبد اللّه المذكور الى أخيه الوليد. و عبد اللّه هذا أمّه أمّ ولد لأن أكبر إخوته الوليد ثم سليمان ثم مروان الأكبر- درج - و عائشة، و أمّهم ولّادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن خزيمة؛ ثم يزيد و مروان الأصغر و معاوية و أمّ كلثوم، و أمّهم عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان؛ ثم هشام و أمّه أمّ هشام بنت إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّة و اسمها عائشة؛ ثم أبو بكر، و كان يعرف ببكّار، و أمّه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد اللّه؛ ثم الحكم و أمّه أمّ أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان؛ ثم فاطمة و أمّها أمّ المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة؛ ثم عبد اللّه هذا صاحب الترجمة، و مسلمة و النّذر و عنبسة و محمد و سعيد الخير و الحجّاج لأمّهات الأولاد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۲

*** السنة الأولى من ولاية عبد اللّه بن عبد الملك بن مروان على مصر و هى سنة ست و ثمانين- فيها كان طاعون القينات، سمّى بذلك لأنه بدأ فى النساء، و كان بالشام و واسط و البصرة. و فيها سار قتيبة بن مسلم متوجها الى ولايته فدخل خراسان و تلقّاه دهاقين بلخ و ساروا معه، و أتاه أيضا أهل صاغان بهدايا و مفتاح من ذهب و سلموا له بلادهم بالأمان. و فيها افتتح مسلمة بن عبد الملك حصن بولق و حصن الأخرم. و فيها توفى الخليفة عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ بن كلاب، أمير المؤمنين أبو الوليد، القرشىّ الأموى، والد عبد اللّه هذا صاحب الترجمة؛ بويع بالخلافة بعهد من أبيه مروان بن الحكم، و كان ذلك بعد أن دعا عبد اللّه بن الزبير لنفسه بالخلافة، و تمّ أمر عبد الملك المذكور فى الخلافة و بقى على مصر و الشام، و ابن الزبير على باقى البلاد، مدّة سبع سنين و الحروب ثائرة بينهم، ثم غلب عبد الملك على العراق و ما والاها بعد قتل مصعب بن الزبير، ثم ولّى الحجاج بن يوسف الثقفىّ العراق و محاربة عبد اللّه ابن الزبير حتى قتله، و استوثق الأمر بقتل عبد اللّه بن الزبير لعبد الملك، و دام فى الخلافة حتى توفى بدمشق فى شوّال. و خلافته المجمع عليها (أعنى بعد قتل عبد اللّه ابن الزبير) من وسط سنة ثلاث و سبعين.

و قال الشعبىّ: خطب عبد الملك فقال: اللهم إنّ ذنوبى عظام، و إنها صغار فى جنب عفوك، فاغفرها لى يا كريم. و كان مولد عبد الملك سنة ست و عشرين من الهجرة، و كان عابدا ناسكا قبل الخلافة، فلما أتته الخلافة تغيّر عن ذلك كلّه و ولّى الحجاج على العراق. قيل: إنّ الحسن البصرىّ سئل عن عبد الملك هذا فقال:

ما أقول فى رجل الحجاج سيّئة من سيّئاته!. و فيها هلك ملك الروم الأحرم بورى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۳

قبل عبد الملك بن مروان بشهر. و فيها حج بالناس هشام بن إسماعيل المخزومى. و فيها توفى بشر بن عقربة الجهنىّ أبو اليمان. قال الواقدىّ: قتل أبوه عقربة يوم أحد، قال بشر: فلقينى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أنا أبكى فقال: «يا حبيب ما يبكيك» فقلت: قتل أبى، قال: «ما ترضى أن أكون أباك و عائشة أمّك» و مسح على رأسى بيده، فكان أثريده من رأسى أسود و سائره أبيض. و فيها توفى عبد اللّه بن أبى أوفى الأسلمىّ، من الطبقة الثالثة من المهاجرين، و كان ممن بايع تحت الشجرة و شهد مع النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم غزوة بنى النّضير و الخندق و القريظة. و فيها توفى أبو أمامة صدىّ بن عجلان الباهلىّ، من الطبقة الرابعة من الصحابة. و فيها حبس الحجاج يزيد بن المهلّب بن أبى صفرة و عزل حبيب بن المهلّب عن كرمان، و عزل عبد الملك عن شرطته، و كان الحجاج أمير العراق كله و الشرق فى هذه السنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و خمسة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثلاثة عشر ذراعا و ثمانية عشر إصبعا.

*** السنة الثانية من ولاية عبد اللّه بن عبد الملك بن مروان على مصر و هى سنة سبع و ثمانين- فيها افتتح قتيبة بن مسلم أمير خراسان بيكند. و فيها شرع الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان فى بناء جامع دمشق الأموىّ و كان نصفه كنيسة النصارى، و على ذلك صالحهم أبو عبيدة بن الجرّاح؛ فقال لهم الوليد: إنا قد أخذنا كنيسة مريم عنوة فأنا أهدمها، فرضوا بهدم هذه الكنيسة و إبقاء كنيسة مريم؛ و المحراب الكبير هو مكان باب الكنيسة. ثم كتب الوليد الى ابن عمه عمر بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۴

عبد العزيز بن مروان و هو أمير المدينة ببناء مسجد النبى صلى اللّه عليه و سلم. و كانت ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة فى أوائل هذه السنة أيضا و له من العمر خمس و عشرون سنة بعد أن صرف عنها؟؟؟ بن إسماعيل المخزومىّ؛ و دام عمر بن عبد العزيز على إمرة المدينة الى أن عزله الوليد أيضا بأبى بكر بن [عمرو بن] حزم.

و فيها حجّ بالناس عمر بن عبد العزيز و هو أمير المدينة؛ و كان على قضاء المدينة أبو بكر ابن عمرو بن حزم. و فيها توفّى أميّة بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد. و فيها قدم نيزك طرخان على قتيبة بن مسلم فصالحه و أطلق ما فى يده من أسارى المسلمين.

و فيها غزا قتيبة المذكور نواحى بخارا فكانت ملحمة عظيمة هزم اللّه فيها المشركين.

و فيها غزا مسلمة بن عبد الملك فافتتح قمقم و بحيرة الفرسان، فقتل و سبى، و يسّر اللّه تعالى فى هذا العام بفتوحات كبار على الإسلام. و فيها توفى قبيصة بن ذؤيب ابن حلحلة بن عمرو الخزاعىّ، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة و الثانية من أهل الشام، ولد على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عام الفتح، و كان على خاتم الخليفة عبد الملك بن مروان و صاحب أمره و أقرب الناس إليه. و فيها توفّى مطرّف بن عبد اللّه بن الشّخّير بن عوف بن كعب، أبو عبد اللّه الحرشىّ، من الطبقة الثانية من تابعى أهل البصرة، و كان له فضل و ورع و رواية، و كان بعيدا من الفتن. و فيها توفّى أبو الأبيض العنسىّ و هو من التابعين، كان كثير الغزو و الجهاد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و ستة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۵

*** السنة الثالثة من ولاية عبد اللّه بن عبد الملك بن مروان على مصر و هى سنة ثمان و ثمانين- فيها جمع الروم جمعا عظيما و أقبلوا فالتقاهم قتيبة بن مسلم و معه العباس ابن الخليفة الوليد، فهزم اللّه الروم و قتل منهم خلق كثير، و افتتح المسلمون سوسنة و طوانة. و فيها غزا قتيبة أيضا الترك فزحفوا إليه و معهم أهل فرغانة و عليهم ابن أخت ملك الصين، و يقال: بلغ جمعهم مائتى ألف، فكسرهم قتيبة، و كانت ملحمة عظيمة أيضا. و فيها توفّى عبد اللّه بن أبى قتادة بن ربعىّ الأنصارىّ الخزرجىّ من الطبقة الثانية من تابعى أهل

المدينة. و فيها كان فتح طوانة من أرض الروم على يد مسلمة بن عبد الملك و العباس بن الوليد بن عبد الملك. و فيها حج بالناس أمير المدينة عمر بن عبد العزيز و وصل جماعة من قريش، و ساق معه بدنا و أحرم من ذى الحليفة، فلما كان بالتّنعيم أخبر أن مكّة قليلة الماء و أنهم يخافون على الحاجّ العطش، فقال عمر: تعالوا ندع اللّه تعالى، فدعا و دعا الناس معه، فما وصلوا الى البيت إلا مع المطر، و سال الوادى فخاف أهل مكّة من شدّته، و مطرت عرفة و مكة و كثر الخصب. و فيها كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز يأمره بإدخال حجر أزواج النّبيّ صلى اللّه عليه و سلم فى المسجد و أن يشترى ما بنواحيه، حتى يكون مائتى ذراع فى مائتى ذراع و أن يقدّم القبلة، ففعل عمر ذلك. و فيها توفّى عبد اللّه بن بسر المازنىّ (مازن بن منصور) و كان ممن صلّى إلى القبلتين، و هو آخر من مات بالشام من الصحابة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و واحد و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۶

*** السنة الرابعة من ولاية عبد اللّه بن عبد الملك بن مروان على مصر و هى سنة تسع و ثمانين فيها افتتح موسى بن نصير جزيرتى ما يرقة و منرقة، و هما جزيرتان فى البحر بين جزيرة صقلّيّة و جزيرة الأندلس، و تسمى هذه الغزوة غزوة الأشراف لكثرة الأشراف التى كانوا بها (أعنى أشراف العرب). و فيها غزا قتيبة «وردان خذاه» ملك بخارا فلم يطقهم و رجع. و فيها غزا مسلمة بن عبد الملك عمّوريّة فلقى جمعا من الروم فهزمهم اللّه. و فيها ولى خالد بن عبد اللّه القسرىّ مكّة و هى أوّل ولايته. و فيها غزا مسلمة أيضا و العباس بن الوليد بن عبد الملك الروم، فافتتح مسلمة حصن سورية و افتتح العباس مدينة أذرولية. و فيها حج بالناس عمر بن عبد العزيز. و فيها توفى ظليم مولى عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح بإفريقيّة. و فيها عزل عمران بن عبد الرحمن عن قضاء مصر بعبد الواحد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج و له خمس و عشرون سنة.

و فيها توفى عمران بن حطّان السّدوسىّ الخارجىّ، كان شاعر الخوارج؛ و روى عن أبى موسى و عائشة رضى اللّه عنهما، و كان عمران فصيحا قبيح الشكل، و كانت زوجته جميلة، فدخل عليها يوما و هى بزينتها فاعجبته و علمت منه ذلك، فقالت: أبشر فإنى و إيّاك فى الجنة؛ قال: و من أين علمت؟ قالت: لأنّك أعطيت مثلى فشكرت، و أنا ابتليت بمثلك فصبرت، و الصابر و الشاكر فى الجنة.

و من شعره فى عبد الرحمن ابن ملجم و قومه:

يا ضربة من تقىّ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۷

إنّى لأذكره يوما فأحسبه أو فى البريّة عند اللّه ميزانا

أكرم بقوم بطون الطير أقبرهم لم يخلطوا دينهم بغيا و عدوانا

قلت: و هذا مذهب الخوارج، فإنهم يكفّرون بالمعصية. و فيها توفى يحيى بن يعمر أبو سليمان الليثى البصرىّ، و كان عالما بالقراءات و العربيّة، و هو أوّل من نقّط المصاحف، و كان ولّاه الحجاج [من برّه] قضاء مرو، و كان يقضى بالشاهد و اليمين ا ه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و اثنا عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و اثنان و عشرون إصبعا.

ذكر ولاية قرّة بن شريك على مصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۱؛ ص۲۱۷

قرّة بن شريك بن مرثد بن حازم بن الحارث بن حبش بن سفيان بن عبد اللّه ابن ناشب بن هدم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان العبسىّ أمير مصر؛ ولى مصر بعد عزل عبد اللّه بن عبد الملك بن مروان من قبل الوليد بن عبد الملك بن مروان على صلاة مصر و خراجها، و دخلها يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأوّل سنة تسعين.

قال العلامة شمس الدين يوسف بن قرأوغلى فى تاريخه «مرآة الزمان»: كان قرّة من أمراء بنى أميّة و ولّاه الوليد مصر، و كان سيئ التدبير خبيثا ظالما غشوما فاسقا منهمكا، و هو من أهل قنّسرين، قدم مصر سنة تسع و ثمانين أو سنة تسعين، و كان الوليد عزل أخاه عبد اللّه بن عبد الملك بن مروان، و ولى قرّة و أمره ببناء جامع مصر و الزيادة فيه سنة اثنتين و تسعين، فأقام فى بنائه سنتين. قلت: و قد قدّمنا فى ترجمة عمرو بن العاص عند ذكر بنائه جامعه نبذة من ذلك ا ه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۱۸

قال: و كان الناس يصلّون الجمعة فى قيساريّة العسل حتى فرغ قرّة من بنائه، و كان الصنّاع اذا انصرفوا من البناء دعا بالخمور و الزمور و الطبول فيشرب الخمر فى المسجد طول الليل، و يقول: لنا الليل و لهم النهار؛ و كان أشرّ خلق اللّه؛ و تحالفت الأزارقة على قتله فعلم فقتلهم؛ و كان عمر بن عبد العزيز يعتب على الوليد لتوليته مصر. و مات قرّة فى سنة خمس و تسعين بمصر. و ورد على الوليد البريد فى يوم واحد بموت الحجاج بن يوسف و موت قرّة، فصعد المنبر و هو حاسر شعثان الرأس فنعاهما الى الناس، و قال: و اللّه لأشفعنّ لهما شفاعة تنفعهما؛ فقال عمر بن العزيز رضى اللّه عنه و هو ابن عمّ الوليد المذكور: انظروا الى هذا الخبيث، لا أناله اللّه شفاعة محمد صلى اللّه عليه و سلم و ألحقه بهما، فاستجاب اللّه دعاءه و أهلك الوليد بعدهما بثمانية أشهر أو أقل. انتهى كلام صاحب «مرآة الزمان» بعد ما ساق وفاته فى سنة خمس و تسعين؛ و الأصحّ ما سنذكره فى وفاته من قول الذهبىّ و غيره من المؤرّخين.

و أمّا قوله: إنّ الوليد مات بعد وفاة قرّة بثمانية أشهر، فليس كذلك؛ لأن وفاة قرّة فى ليلة الخميس لستّ بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ست و تسعين؛ و وفاة الوليد فى نصف جمادى الآخرة، قاله خليفة بن خيّاط ا ه.

و قيل: إنّ عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه ذكر عنده ظلم الحجاج و غيره من ولاة الأمصار أيام الوليد بن عبد الملك، فقال: الحجاج بالعراق! و الوليد بالشأم! و قرّة بن شريك بمصر! و عثمان بالمدينة! و خالد بمكة! اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما و جورا فأرح؟؟؟ الناس!. فلم يمض غير قليل حتى توفّى الحجاج و قرّة بن؟؟؟ فى شهر واحد، ثم تبعهم الوليد، و عزل عثمان و خالد، فاستجاب اللّه لعمر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۱۹

قال ابن الأثير: و ما أشبه هذه القصة بقصة ابن عمر مع زياد بن أبيه حيث كتب الى معاوية يقول: قد ضبطت العراق بشمالى؛ و يمينى فارغة- يعرّض بذلك أنّ شماله للعراق و تكون يمينه بإمارة الحجاز- فقل ابن عمر لمّا بلغه ذلك: اللهم أرحنا من يمين زياد و أرح أهل العراق من شماله؛ فكان أوّل خبر جاءه موت زياد.

و لما كان قرّة على مصر أمره الوليد بهدم ما بناه عمه عبد العزيز بن مروان لما كان أمير مصر ففعل قرّة ذلك؛ ثم أخذ بركة الحبش و أحياها و غرس بها القصب، فقيل لها «إسطبل قرّة».

و قال الحافظ أبو سعيد بن يونس، بعد ما ذكر نسبه بنحو مما ذكرناه، كان أمير مصر للوليد بن عبد الملك و كان خليعا، روى عن سعيد بن المسيّب حديثا واحدا، رواه عنه حكيم بن عبد اللّه بن قيس. و توفى قرّة بمصر و هو وال عليها فى شهر ربيع الأوّل سنة ست و تسعين، و كان الوليد بن عبد الملك ولّى قرّة مصر و عزل عنها أخاه عبد اللّه ابن عبد الملك؛ فقال رجل من أهل مصر شعرا و كتب به الى الوليد بن عبد الملك:

عجبا ما عجبت حين أتانا أن قد امّرت قرّة بن شريك

و عزلت الفتى المبارك عنّا ثم فيّلت فيه رأى أبيك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۲۰

ثم قال ابن يونس: حدّثنى أبو أحمد بن يونس بن عبد الأعلى و كهمس ابن معمر و عيسى بن أحمد الصّدفىّ و غيرهم، قالوا: حدّثنا محمد بن عبد اللّه بن عبد الحكم ابن عبد اللّه بن قيس عن قرّة بن شريك: أنه سأل ابن المسيّب عن الرجل ينكح عبده وليدته ثم

يريد أن يفرّق بينهما؛ قال: ليس له أن يفرّق بينهما. قال ابن يونس: ليس لقرّة بن شريك غير هذا الحديث الواحد. انتهى كلام ابن يونس.

قلت: و كانت ولاية قرّة على مصر ست سنين إلا أياما. و تولى إمرة مصر بعده عبد الملك بن رفاعة الآتى ذكره؛ و كان من عظماء أمراء الوليد بن عبد الملك، و كان الوليد عند أهل الشأم من أفضل خلفائهم، بنى المساجد: مسجد دمشق و مسجد المدينة، و وضع المنابر، و أعطى المجذّمين أموالا و منعهم من سؤال الناس، و أعطى كل مقعد خادما، و كل ضرير قائدا، و فتح فى ولايته فتوحات عظاما: منها الأندلس و كاشغر و الهند؛ و كان يمر بالبقال فيقف عليه و يأخذ منه حزمة بقل فيقول:

بكم هذه؟ فيقول: بفلس، فيقول: زد فيها. و كان صاحب بناء و اتخاذ للمصانع؟؟؟

و الضّياع، فكان الناس يلتقون فى زمانه فيسال بعضهم بعضا عن البناء. و كان سليمان ابن عبد الملك صاحب طعام و نكاح. فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن النكاح و الطعام. و كان عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة، فكان الناس يسأل بعضهم بعضا فى أيامه: ما وزدك الليلة، و كم تحفظ من القرآن، و ما تصوم من الشهر؟

قلت: و لم أذكر هذا كله إلا لما قدّمناه من الحط على الوليد من أقوال المؤرّخين، فأردت أن أذكر من محاسنه أيضا ما نقله غيرهم ا ه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۱

*** السنة الأولى من ولاية قرّة بن شريك على مصر و هى سنة تسعين- فيها غزا قتيبة بن مسلم «وردان خذاه» الغزوة الثانية، فاستصرخ وردان خذاه على قتيبة بالترك، فالتقاهم قتيبة و هزمهم اللّه تعالى و فضّ جمعهم. ثم غزا قتيبة أيضا فى السنة أهل الطالقان بخراسان فقتل منهم مقتلة عظيمة. و فيها غزا العباس ابن الخليفة الوليد ابن عبد الملك بن مروان فبلغ الى أرزن ثم رجع. و فيها توفى خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان، أبو هاشم الأموىّ الدمشقىّ أخو معاوية الرجل الصالح و عبد اللّه.

قيل: إن خالدا هذا بويع بالخلافة بعد أخيه معاوية بن يزيد بن معاوية فلم يتم أمره، و وثب مروان بن الحكم على الأمر و خلع خالدا هذا و تزوّج بأمه، و قد مرّ ذكر قتلها له فى ترجمة مروان. و كان خالد المذكور موصوفا بالعلم و العقل و الشجاعة، و كان مولعا بالكيمياء. و قيل: إنه هو الذى وضع حديث السفيانىّ «إنه يأتى فى آخر الزمان » ... لمّا سمع بحديث المهدىّ. انتهى. و فيها توفى عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ابن نوفل بن أهيب بن عبد مناف، و هو من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة، و كان فقيها شاعرا. و فيها توفى أبو الخير مرثد بن عبد اللّه اليزنىّ. و فيها فتحت بخارا على يد قتيبة، ثم صالح قتيبة أهل الصّغد و رجع بهم ملكهم طرخون الى بلاده.

و فيها غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم و افتتح الحصون الخمسة [التى بسورية].

و فيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر، فأهداه ملكهم الى الوليد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۲

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و تسعة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و اثنان و عشرون إصبعا.

*** السنة الثانية من ولاية قرّة بن شريك على مصر و هى سنة إحدى و تسعين- فيها سار قتيبة بن مسلم الى أن وصل الى فارياب فخرج اليه ملكها سامعا مطيعا، فاستعمل عليها قتيبة عامر بن مالك و رجع. و فيها عزل الوليد عمّه محمد بن مروان عن الجزيرة و أذربيجان و ولّاها أخاه مسلمة بن عبد الملك بن مروان؛ فقدم مسلمة و انتدب إلى الغزو فغزا إلى أن وصل فى هذه السنة الى الباب من بحر أذربيجان، فافتتح مدائن و حصونا كثيرة. و فيها افتتح قتيبة بن مسلم أمير خراسان شومان و كشّ و نسف، و امتنع عليه أهل فارياب فأحرقها، و جهّز أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى طرخون ملك تلك البلاد، فجرت له معه حروب و مواقف؛ ثم صالحه عبد الرحمن و أعطاه طرخون أموالا و تقهقر إلى أخيه قتيبة الى بخارا، فانصرفوا حتى قدموا مرو؛ فقالت الصّغد لطرخون ملكهم: إنك رضيت بالذلّ و الجزية و أنت شيخ كبير لا حاجة لنا فيك، و عزلوه عنهم. و فيها غزا موسى بن نصير طليطلة (مدينة بالأندلس من بلاد

الغرب) بعد ما استولى على الجزيرة و افتتح حصونها، و دخل طليطلة عنوة، فوجد فى دار المملكة مائدة سليمان بن داود عليهما السلام؛ و هى من خليطين ذهب و فضة و عليها ثلاثة أطواق من لؤلؤ و جوهر. و قال الهيثم: افتتحها طارق فى سنة اثنتين و تسعين، و قيل غير ذلك. و فيها أيضا قتل قتيبة طرخان ملك الترك و بعث برأسه الى الحجاج ابن يوسف الثقفىّ. و فيها قدم محمد بن يوسف الثقفىّ أخو الحجاج من اليمن بهدايا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۳

عظيمة، فأرسلت أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد و بنت عمه تطلبها منه؛ فقال محمد أخو الحجاج: حتى يراها أمير المؤمنين فغضبت، ثم رآها الوليد و بعث بها إلى أمّ البنين فلم تقبلها، و قالت: قد غصبها من أموال الناس؛ فسأله الوليد؛ فقال: معاذ اللّه! فأحلقه الوليد بين الركن و المقام خمسين يمينا أنه ما ظلم أحدا و لا غصبه حتى قبلتها أمّ البنين. و كان محمد هذا عامل صنعاء، و كان يسبّ علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه على المنابر؛ و لهذا كان يقول عمر بن عبد العزيز: «الحجاج بالعراق! و أخوه محمد باليمن! و عثمان بن حيّان بالحجاز! و الوليد بالشأم! و قرّة بن شريك بمصر! امتلأت بلاد اللّه جورا!. و فيها حج بالناس الوليد ابن عبد الملك، فلما دخل إلى المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه و أخرج الناس منه و لم يبق غير سعيد بن المسيّب، فلم يجسر أحد من الحرس أن يخرجه، فقيل له:

لو قمت! فقال: لا- أقوم حتى يأتى الوقت الذى أقوم فيه؛ قيل: فلو سلّمت على أمير المؤمنين! قال: و اللّه لا أقوم إليه؛ قال عمر بن عبد العزيز: فجعلت أعدل بالوليد فى ناحية المسجد لئلا يراه، فالتفت الوليد إلى القبلة فقال: من ذلك الشيخ؟

أ هو سعيد؟ قال عمر: نعم، و من حاله كذا و كذا، و لو علم بمكانك لقام فسلّم عليك و هو ضعيف البصر؛ فقال الوليد: قد علمنا حاله و نحن نأتيه، فدار فى المسجد ثم أتاه، فقال: كيف أنت أيها الشيخ؟- فو اللّه ما تحرّك سعيد- فقال: بخير و الحمد للّه، فكيف أمير المؤمنين و كيف حاله؟ فانصرف الوليد و هو يقول: هذا بقيّة الناس. و صلّى الوليد الجمعة بالمدينة فخطب الناس الخطبة الأولى جالسا. ثم قام فخطب الثانية قائما.

قال إسحاق بن يحيى: فقلت لرجاء بن حيوة و هو معه: أ هكذا يصنعون؟ قال:

هكذا صنع معاوية و هلم جرّا؛ قال فقلت: ألا تكلّمه! قال: أخبرنى قبيصة بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۴

ذؤيب أنه كلّم عبد الملك فلم يترك القعود و قال: هكذا خطب عثمان؛ قال فقلت: و اللّه ما خطب إلا قائما؛ قال رجاء: روى لهم شىء فأخذوا به. و فيها توفى أنس بن مالك بن النّضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدىّ بن النجّار، أبو حمزة الأنصارىّ النجارىّ الخزرجىّ خادم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و آخرهم موتا، و هو من المكثرين، مات فى هذه السنة؛ قاله الإمام أحمد، و كذا قال الهيثم بن عدىّ و سعيد بن عفير و أبو عبيد.

و قال الواقدىّ: سنة اثنتين و تسعين، و تابعه معن بن عيسى عن ابن لأنس ابن مالك. و قال سعيد بن عامر و إسماعيل بن علية و أبو نعيم و المدائنى و الفلاس و خليفة و قعنب و غيرهم: سنة ثلاث و تسعين. و قال محمد بن عبد اللّه الأنصارىّ:

اختلف علينا مشيختنا فى سنّ أنس: فقال بعضهم: بلغ مائة و ثلاث سنين، و قال بعضهم: بلغ مائة و سبع سنين، و قال يحيى بن بكير: توفى أنس و هو ابن مائة و سنة، و مات له فى الطاعون الجارف ثمانون ولدا.

قلت: و هذا بدعاء النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فإنه دعا له: «اللهم ارزقه مالا و ولدا و بارك له فيه». قال أنس: فإنى لمن أكثر الأنصار مالا، و حدّثنى ابنتى آسية أنه دفن من صلبى الى مقدم الحجاج البصرة تسعة و عشرون و مائة. و فيها توفى محمد ابن يوسف الثقفىّ أخو الحجاج عامل صنعاء باليمن، و قد تقدّم ذكر هديته إلى الوليد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و اثنا عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و سبعة عشر إصبعا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۵

*** السنة الثالثة من ولایة قرّة بن شریک علی مصر و هی سنة اثنتین و تسعین- فیها حج بالناس الرجل الصالح عمر بن عبد العزیز. و فیها غزا عمر بن الولید و مسلمة ابن عبد الملک بلاد الروم و فتح مسلمة حصونا کثیرة، یقال: إنه بلغ الی الخلیج و فتح سوسنة. و فیها توفّی إبراهیم بن یزید بن شریک من تیم الرّباب، أبو أسماء، من الطبقة الثانیة من تابعی أهل الکوفة، و کان یقصّ علی الناس. و فیها توفّی بلال ابن أبی الدّرداء أبو محمد الأنصاریّ، من الطبقة الأولی من تابعی أهل الشأم، کان قاضیا علی دمشق فی زمان یزید بن معاویة و بعده الی أن عزله عبد الملک بن مروان بأبی إدریس الخولانیّ. و فیها توفی عبد الرحمن بن یزید بن جاریة بن عامر بن مجمّع أبو محمد الأنصاریّ، من الطبقة الأولی من تابعی أهل المدینة، و أمّه جمیلة بنت ثابت ابن أبی الأقلح، و أخوه لأمّه عاصم بن عمر بن الخطاب؛ و ولد علی عهد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم. و فیها توفی طویس المغنّی صاحب الألحان، و هو أوّل من غنّی بالألحان فی الإسلام، و هو تصغیر طاوس. و فیها فتحت جزیرة الأندلس علی ید طارق بن زیاد مولی موسی بن نصیر. و فیها فتحت جزیرة سردانیة علی ید جیش موسی بن نصیر، و هذه الجزیرة فی بحر الروم، و هی من أکبر الجزائر ما عدا جزیرة صقلّیّة و أقریطش، و هی کثیرة الفواکه.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمسة أذرع و اثنا عشر إصبعا، مبلغ الزیادة سبعة عشر ذراعا و عشرة أصابع.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۶

*** السنة الرابعة من ولایة قرّة بن شریک علی مصر و هی سنة ثلاث و تسعین- فیها افتتح قتیبة خوارزم و سمرقند، و کان ساکنها الصّغد، و بنی بها مسجدا و خطب بنفسه فیه، و أخذ من أهلها عن رقبتهم ستة آلاف ألف و ثلاثین ألفا، و وجد فی سمرقند جاریة من ولد یزدجرد فبعث بها إلی الحجاج فأرسلها الحجاج الی الولید بن عبد الملک فأولدها یزید بن الولید. و فیها غزا مسلمة بن عبد الملک بلاد الروم و فتح حصن الحدید و قلعة غزالة. و فیها غزا العباس بن الولید ففتح سمیساط و طرسوس و المرزبان. و فیها عزل الولید عمر بن عبد العزیز عن المدینة بسبب أنّ عمر کتب إلی الولید یخبره بظلم الحجاج و سفکه الدماء و ما یفعل بأهل العراق و خوّفه عواقبه.

و فیها توفّی وضّاح الیمن، و اسمه عبد اللّه بن إسماعیل بن عبد کلال، کان من أهل صنعاء من الأنبار، و قیل: اسمه عبد الرحمن بن إسماعیل بن عبد کلال؛ و وضّاح الیمن لقب له لجمال وجهه، و هو صاحب القصة مع أمّ البنین زوجة الولید بن عبد الملک بن مروان التی ذکرها ابن خلّکان فی تاریخه. و فیها فتحت طلیطلة.

قال أبو جعفر: و فی هذه السنة غضب موسی بن نصیر علی مولاه طارق، فسار إلیه فی رجب منها، و استخلف علی إفریقیّة ابنه عبد اللّه بن موسی، و عبر موسی إلی طارق فی عشرة آلاف، فتلّقاه طارق و ترضّاه فرضی عنه و قبل عذره و سیّره إلی طلیطلة، و هی من عظام مدائن الأندلس، و هی من قرطبة علی خمسة أیام، ففتحها و أصاب فیها مائدة سلیمان بن داود علیهما السلام، و فیها من الذهب و الجوهر ما اللّه أعلم به.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۷

و فیها غزا العباس بن الولید الروم ففتح سمیساط و المرزبان. و فیها حج بالناس عبد العزیز بن الولید.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ستة أذرع و إصبعان، مبلغ الزیادة ستة عشر ذراعا و عشرون إصبعا.

*** السنة الخامسة من ولایة قرّة بن شریک علی مصر و هی سنة أربع و تسعین- فیها غزا قتیبة بن مسلم بلد کابل فحصرها حتی فتحها، ثم افتتح أیضا فرغانة بعد أن حصرها و أخذها عنوة، و بعث جیشا فافتتحوا الشاش. و فیها قتل محمد الثقفیّ صصّة بن ذاهر. قیل: إنّ صصّة هذا هو الذی اقترخ الشّطرنج. و فیها افتتح مسلمة ابن عبد الملک سندرة من أرض الروم. و فیها غزا العباس بن الولید بن عبد الملک أرض الروم و افتتح أنطاکیة. و فیها افتتح القاسم بن محمد الثقفیّ أرض الهند. و فیها حج بالناس مسلمة بن عبد

الملك. و فى أيام الوليد بن عبد الملك فتح اللّه على الإسلام فتوحا عظيمة، و عاد الجهاد شبيها بأيام عمر رضى اللّه عنه. و فيها كانت بالشأم زلازل عظيمة دامت فى غالب البلاد أربعين يوما، و كان أوّلها من عشرين من آذار فهدمت الأبنية و وقع معظم أنطاكية. و فيها هرب يزيد بن المهلّب و إخوته من حبس الحجاج إلى الشأم. و فيها غزا قتيبة ما وراء النهر و فتح فرغانة و خجندة. و فيها توفى الحسن ابن محمد بن الحنفية، و أمّه جمال بنت قيس بن مخرمة، و كنيته أبو محمد، و هو من الطبقة الثالثة من تابعى أهل المدينة، و كان من ظرفاء بنى هاشم، و كان يقدّم على أخيه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۲۸

أبى هاشم عبد اللّه بن محمد فى الفضل و الهيبة. و فيها قتل الحجاج سعيد بن جبير مولى بنى والبة، و هو من الطبقة الثانية من تابعى أهل الكوفة، كان من كبار العلماء الزهّاد، و كان ابن عباس يعظّمه، و كان خرج مع محمد بن الأشعث على الحجاج، ثم انحاز بعد قتل ابن الأشعث إلى أصبهان، و كان عامل أصبهان ديّنا، فأمر سعيدا بالخروج من بلده بما ألحّ عليه الحجاج فى طلبه، فخرج الى أذربيجان مدّة ثم توجّه إلى مكة مستجيرا بالله و ملتجئا الى حرم اللّه، فبعث به خالد القسرىّ الى الحجاج.

و كان الحجاج كتب إلى الوليد أنّ جماعة من التابعين قد التجئوا إلى مكة، فكتب الوليد إلى عامل مكة خالد القسرىّ: احملهم الى الحجاج، و كانوا خمسة: سعيد بن جبير و عطاء و مجاهد و عمرو بن دينار و طلق بن حبيب، فأمّا عمرو و عطاء فأطلقا، و أمّا طلق فمات فى الطريق، و أما مجاهد فحبس حتى مات الحجاج، لا عفا اللّه عنه، و أما سعيد بن جبير فقتل. و قصة قتلته طويلة و هى أشهر من أن تذكر. و فيها توفى سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، و أمّه أمّ سعيد بنت عثمان بن حكيم السّلمىّ، و كنيته أبو محمد- أعنى ابن المسيّب- و هو من الطبقة الأولى من تابعى أهل المدينة، و كان يقال له فقيه الفقهاء و عالم العلماء، و هو أحد الفقهاء السبعة، و قد نظمهم بعض الشعراء:

ألا كلّ من لا يقتدى بأئمّة فقسمته ضيزى عن الحقّ خارجه

فخذهم: عبيد اللّه، عروة، قاسم سعيد، سليمان، أبو بكر، خارجه

و فيها توفى عروة بن الزبير بن العوّام، أبو عبد اللّه الأسدىّ، هو أيضا أحد الفقهاء السبعة و هو المشار اليه فى ثانى اسم من البيت الثانى، و هو من الطبقة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۲۹

الثانية من تابعى أهل المدينة، و أمه أسماء بنت أبى بكر الصدّيق، و هو شقيق عبد اللّه بن الزبير رضى اللّه عنهم؛ و بينه و بين عبد اللّه المذكور عشرون سنة، و كان ابتلى بالأكلة فى رجله فقطعت و هو صائم، فصبر على ذلك و حمد اللّه عليه، رضى اللّه عنه؛ و فى سنة وفاته اختلاف كثير. و فيها توفى عطاء بن يسار مولى ميمونة زوج النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و كنيته أبو محمد، و قيل أبو يسار، و هو من الطبقة الأولى من تابعى أهل المدينة.

قال ابن بكير: كان بالمدينة ثلاثة إخوة لا ندرى أيّهم أفضل: عطاء و سليمان و عبد اللّه بنو يسار، و ثلاثة إخوة: محمد و أبو بكر و عمر بنو المنذر، و ثلاثة إخوة:

بكير و يعقوب و عمر بنو عبد اللّه الأشج. و فيها توفى علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب الملقّب بزين العابدين، و كنيته أبو محمد، و هو من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة، و أمّه أم ولد يقال لها غزالة، و قيل سلامة، و قيل سلافة، و قيل شاه زنان، و كانت سنديّة، و كان علىّ هذا بارّا بها، رضى اللّه عنه و عن أسلافه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و خمسة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا و إصبع واحد.

*** السنة السادسة من ولاية قرّة بن شريك على مصر و هى سنة خمس و تسعين- فيها وفد موسى بن نصير من بلاد المغرب على الوليد بالشأم و معه الأموال و ثلاثون ألف رأس من الرقيق. و فيها افتتح مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب من إرمينية و خرّبها ثم بناها

بعد ذلك مسلمة المذكور. و فيها ولد أبو جعفر المنصور ثانى خلفاء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۳۰

بنى العباس. و فيها غزا العباس بن الوليد أرض الروم ففتح هرقلة و غيرها. و فيها حج بالناس بشر بن الوليد بن عبد الملك. و فيها توفّى جعفر بن عمرو بن أميّة الضّمرىّ و هو أخو عبد الملك بن مروان من الرّضاعة. و فيها توفّى الخبيث الحجاج بن يوسف ابن الحكم بن [أبى] عقيل بن مسعود بن عامر، أبو محمد الثقفىّ.

قال الشعبىّ: كان بين الحجاج و بين الجلندا الذى ذكره [اللّه] فى كتابه العزيز فى قوله تعالى: وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً سبعون جدّا. و قيل:

إنه كان من ولد عبد من عبيد الطائف لبنى ثقيف ولد أبى رغال دليل أبرهة الى الكعبة.

قلت: هو مشبئوم؟؟؟ هو و أجداده، و عليهم اللعنة و الخزى، فإنه كان مع ظلمه و إسرافه فى القتل مشئوم الطلعة؛ [و كان فى أيامه طاعون الإسراف، مات فيه خلائق لا تحصر؛ حتى قيل: لا يكون الطاعون و الحجاج! و كان معظم الطاعون بواسط].

و قيل: كان اسم الحجاج أوّلا- كليب، و مولده سنة تسع و ثلاثين، و قيل سنة أربعين، و قيل سنة إحدى و أربعين، بمصر بدرب السرّاجين، ثم خرج به أبوه يوسف مع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۳۱

مروان بن الحكم الى الشأم. و لم أدر ما أذكر من مساوئ هذا الخبيث فى هذا المختصر، فإن مساوئه لا تحصر، غير أننى أكتفى فيه بما شاع عنه فى الآفاق من قبيح الفعال، و سوء الخصال.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و سبعة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و اثنا عشر إصبعا.

ذكر ولاية عبد الملك بن رفاعة الأولى على مصر

هو عبد الملك بن رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمىّ المصرىّ أمير مصر، ولى مصر بعد موت قرّة بن شريك من قبل الوليد بن عبد الملك بن مروان، وليها فى شهر ربيع الآخر سنة ست و تسعين على الصلاة، فلم يكن بعد ولايته إلا أيام و مات الوليد ابن عبد الملك و تخلّف أخوه سليمان بن عبد الملك، فأقرّ عبد الملك هذا على عمل مصر، فدام على ذلك و حسنت سيرته، فإنه كان عفيفا عن الأموال ديّنا و فيه عدل فى الرعية، و كان ثقة أمينا فاضلا، روى عنه الليث بن سعد و غيره.

قال الليث بن سعد: كان يقول عبد الملك بن رفاعة: «إذا دخلت الهديّة من الباب خرجت الأمانة من الطاق» يعنى بهذا الكلام فى حقّ كل عامل على بلد.

قلت: و هذا أيضا فى حقّ كل حاكم كائن من كان. و فى الجملة فبينه و بين قرّة لبن شريك زحام. و كان المتولّى فى أيام عبد الملك بن رفاعة على خراج مصر أسامة ابن زيد التّنوخىّ، و على الشّرطة أخاه الوليد بن رفاعة.

قال الكندىّ: كتب سليمان بن عبد الملك بن مروان الى أسامة: احلب الدّرّ حتى ينقطع، و احلب الدم حتى ينصرم. قال: فذلك أوّل شدّة دخلت على أهل مصر. و قال يوما سليمان بن عبد الملك- و قد أعجبه فعل أسامة بن زيد المذكور-:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۳۲

هذا أسامة لا يرتشى دينارا و لا درهما؛ فقال له ابن عمه عمر بن عبد العزيز بن مروان: أنا أذلّك على من هو شرّ من أسامة و لا يرتشى دينارا و لا درهما؛ قال سليمان: و من هو؟ قال عمر: عدوّ اللّه إبليس؛ فغضب سليمان و قام من مجلسه.

و لما مات سليمان بن عبد الملك و تولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة وجّه فى عزل أسامة بن زيد المذكور قبل دفن سليمان، و أقرّ عبد الملك بن رفاعة على عمله بمصر مدّة، ثم عزله بأيّوب بن شرحبيل فى شهر ربيع الأوّل سنة تسع و تسعين. و كانت ولاية عبد

الملك بن رفاعة على مصر فى هذه المرّة ثلاث سنين تخمينا. و تأتى بقية ترجمته فى ولايته الثانية إن شاء اللّه تعالى. و فى أيام عبد الملك هذا قتل عبد العزيز ابن موسى بن نصير، و كان أبوه استعمله على الأندلس لمّا قدم الشأم، و كان سببه أنه تزوّج بامرأة رذريق فحملته على أن يأخذ أصحابه و رعيّته بالسجود له عند الدخول عليه كما كان يفعل لزوجها، فقال: إن ذلك ليس فى ديننا، و كان دينا فاضلا، فلم تزل به حتى أمر بفتح باب قصير، فكان أحدهم اذا دخل عليه طأطأ رأسه فيصير كالراكع له، فرضيت به و قالت له: الآن لحقت بالملوك، و بقى أن أعمل لك تاجا مما عندى من الذهب و اللؤلؤ فأبى، فلم تزل به حتى فعل، فانكشف ذلك للمسلمين، فقيل: إنه تنصّر، فثاروا عليه و قتلوه بدسيسة من عند عبد الملك هذا بأمر سليمان بن عبد الملك، فدخلوا عليه، و هو يصلّى الصبح فى المحراب و قد قرأ الفاتحة و سورة الواقعة، فضربوه بالسيوف ضربة واحدة و احتزّوا رأسه و سيّروه الى سليمان، فعرضه سليمان على أبيه فتجلّد للمصيبة و قال: هنيئا له الشهادة، فقد قتلتموه و اللّه صوّاما قوّاما. فعدّ الناس ذلك من زلّات سليمان بن عبد الملك ا ه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۳۳

*** السنة الأولى من ولاية عبد الملك بن رفاعة الأولى على مصر و هى سنة ست و تسعين- فيها غزا مسلمة بن عبد الملك الصائفة. و فيها افتتح العباس ابن الوليد بن عبد الملك طرسوس. و فيها عزم الوليد قبل موته بمدّة يسيرة على خلع أخيه سليمان بن عبد الملك من ولاية العهد، و كان الوليد قد شاور الحجاج فى ذلك فأشار عليه بخلعه، فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فامتنع، و كان بفلسطين، فعرض عليه الوليد أموالا كثيرة فأبى، فكتب الوليد الى عمّاله أن يخلعوا سليمان و يبايعوا لابنه عبد العزيز بن الوليد، فلم يجبه الى ذلك سوى الحجاج و قتيبة بن مسلم؛ ثم قال لعمر بن عبد العزيز: بايع لابن أختك عبد العزيز، فإنّ عبد العزيز ابن الوليد كانت أمّه أخت عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: إنما بايعناك و سليمان فى عقد واحد، فكيف نخلعه و نترككك! فأخذ الوليد منديلا و جعله فى عنق عمر بن عبد العزيز و لواه حتى كاد أن يموت، فصاحت أخته أمّ البنين زوجة الوليد حتى أطلقه و حبسه فى بيت ثلاثة أيام الى أن قالت له أمّ البنين: أخرج أخى فأخرجه و قد كاد أن يموت، و قد التوى عنقه، فقالت أمّ البنين: اللهم لا تبلّغ الوليد فى ولد عبد العزيز ما أمّله. و فيها قتل قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن أسيد بن زيد ابن قضاعة الباهلىّ، و هو من التابعين، و كنيته أبو صالح، كان من كبار أمراء بنى أمية، ولاه الحجاج خراسان، و فتح الفتوحات؛ فلما ولى سليمان بن عبد الملك الخلافة نقم عليه لكونه كان خلعه فى أيام أخيه الوليد، فبعث اليه من قتله بعد أمور و حروب.

و فيها توفّى الحكم بن أيّوب بن الحكم بن أبى عقيل ابن عم الحجاج، كان ولّاه الحجاج البصرة و زوّجه أخته زينب بنت يوسف. و فيها توفى عبد اللّه بن عمرو بن عثمان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۳۴

ابن عفان، و أمّه حفصة بنت عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، كان من الطبقة الثالثة من تابعى أهل المدينة. و فيها افتتح قتيبة مدينة كاشغر. و فيها حجّ بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم و هو أمير المدينة، و كان على مكة عبد العزيز بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد (بفتح الهمزة و كسر السين المهملة)، و كان على حرب العراق و صلاتها يزيد بن المهلّب، و على خراجها صالح بن عبد الرحمن، و على البصرة سفيان بن عبد اللّه الكندىّ من قبل يزيد بن المهلب، و على حرب خراسان وكيع بن أبى مسعود. و فيها توفى الحليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين أبو العباس الأموىّ الدمشقىّ، من الطبقة الثالثة من تابعى أهل الشأم، و كان الوليد عند أهل الشأم أفضل خلفائهم من كونه بنى المساجد و الجوامع و بنى جامع دمشق و مسجد المدينة، و هو أوّل من اتخذ دار الضيافة للقادمين، و بنى البيمارستانات للمرضى، و ساق المياه الى مكة و المدينة، و وضع المنابر فى الأمصار، غير أنه كان له مساوئ من كونه كان أقرّ الحجاج على العراق و أشياء غير ذلك؛ و تولى الخلافة من بعده أخوه سليمان بن عبد الملك.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و اثنا عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و ثلاثة و عشرون إصبعا.

*** السنة الثانية من ولاية عبد الملك بن رفاعة على مصر و هى سنة سبع و تسعين- فيها غزا يزيد بن المهلّب جرجان. قال المدائنىّ:

غزاها و لم تکن یومئذ [مدینة] إنما هی جبال محیطة بها. و فیها حج بالناس الخلیفة سلیمان بن عبد الملک. و فیها غزا مسلمة بن عبد الملک

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۳۵

برجمة و حصن ابن عوف و افتتح أیضا حصن الحدید و سردا، و شتّی بنواحی الروم. و فیها بعث سلیمان بن عبد الملک علی الغرب محمد بن یزید مولی قریش فولی سنتین و عدل، و لکنه عسف علی موسی بن نصیر و قبض علی ابنه عبد اللّه و سجنه ثم جاء البرید بأن یقتله؛ فتولّی قتله عبید اللّه بن خالد بن صابی، و کان أخوه عبد العزیز بن موسی علی الأندلس، ثم ثاروا علیه فقتلوه فی سنة تسع و تسعین لکونه خلع طاعة سلیمان، قتله و هو فی صلاة الفجر حبیب بن أبی عبید بن عقبة بن نافع الفهریّ.

ذکر وفاة موسی بن نصیر المذکور

هو صاحب فتوحات الغرب، و کنیته أبو عبد الرحمن. قیل: أصله من عین التمر، و قیل: هو مولی لبنی أمیة، و قیل: لامرأة من لخم، مات بطریق مکة مع الخلیفة سلیمان بن عبد الملک. مولده بقریة کفرتوثا من قری الجزیرة فی سنة تسع عشرة؛ و ولّاه معاویة بن أبی سفیان غزو البحر فغزا قبرس و بنی بها حصونا ثم غزا غیرها؛ و طالت أیامه و فتح الفتوحات العظیمة ببلاد المغرب، و کان شجاعا مقداما جوادا. و فیها جهّز الخلیفة سلیمان بن عبد الملک الجیوش الی القسطنطینیة و استعمل ابنه داود علی الصائفة فافتتح حصن المرأة. و فیها غزا عمر بن هبیرة أرض الروم فی البحر و شتّی بها. و فیها عزل سلیمان داود بن طلحة الحضرمیّ عن إمرة مکة، و کان عمله علیها ستة أشهر؛ و ولّی عوضه عبد العزیز بن عبد اللّه بن خالد بن أسید.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربعة أذرع و ثلاثة عشر إصبعا، مبلغ الزیادة سبعة عشر ذراعا و خمسة أصابع.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۳۶

*** السنة الثالثة من ولایة عبد الملک بن رفاعة علی مصر و هی سنة ثمان و تسعین- فیها غزا یزید بن المهلّب بن أبی صفرة طبرستان، فصالحه صاحبها الأصبهبذ علی سبعمائة ألف، و قیل: خمسمائة ألف فی السنة. و فیها غدر أهل جرجان و قتلوا عاملهم و جماعة من المسلمین، فسار الیهم یزید بن المهلّب بن أبی صفرة و قاتلهم شهرا حتی نزلوا علی حکمه، فقتل المقاتلة و صلب منهم فرسخین [عن یمین الطریق و یساره] وقاد منهم اثنی عشر ألف نفس الی وادی جرجان فقتلهم و أجری الدماء فی الوادی.

و فیها غزا داود بن سلیمان بن عبد الملک أرض الروم و فتح حصن المرأة مما یلی ملطیة.

و فیها عادت الزلازل أربعین یوما، و قیل: ستة أشهر، فهدمت القلاع و الأماکن العالیة.

و فیها استعمل سلیمان عروة بن محمد بن عطیة السعدیّ علی الیمن. و فیها توفّی أیّوب ابن الخلیفة سلیمان بن عبد الملک بن مروان؛ و أمّ أیوب المذکور أم أبان بنت سلیمان ابن الحکم، و قیل: بنت خالد بن الحکم، و کان شابّا جلیلا. و فیها توفی عبید اللّه ابن عبد اللّه بن عتبة بن مسعود، و کنیته أبو عبد اللّه، و هو من الطبقة الثانیة من تابعی أهل المدینة، و کان عالما زاهدا، و هو أحد الفقهاء السبعة المشار إلیه فی الأبیات السابقة بعبید اللّه، و کان الزهری یلازمه و یأخذ عنه. و فیها فتحت مدینة الصقالبة ببلاد المغرب. و فیها حجّ بالناس عبد العزیز بن عبد اللّه بن خالد ابن أسید و هو أمیر مکة.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ثلاثة أذرع و تسعة أصابع، مبلغ الزیادة سبعة عشرة ذراعا و ستة أصابع.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۳۷

ذکر ولایة أیوب بن شرحبیل علی مصر

هو أیّوب بن شرحبیل بن أکشوم بن أبرهة بن الصّبّاح أمیر مصر.

قال الحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس فى تاريخه: أيوب بن شرحبيل بن أكشوم بن أبرهة بن الصبّاح بن لهيعة بن شرحبيل بن مرثد بن الصبّاح ابن معديكرب بن يعفر بن ينوف بن شراحيل بن أبى شمر بن شرحبيل بن ياشر ابن أشغر بن ملكيكرب بن شراحيل بن يعفر بن عمير بن أبى كرب بن يعفر بن أسعد بن ملكيكرب بن شمير بن أشغر بن ينوف بن أصبح الأصبحىّ. و أمه أم أيوب بنت مالك بن نويرة بن الصبّاح. و أيّوب هذا أحد أمراء مصر وليها لعمر بن عبد العزيز. روى عنه أبو قبيل و عبد الرحمن بن مهران، و توفّى فى رمضان سنة إحدى و مائة.

حدّثنى موسى بن هارون بن كامل أخبرنا عبد اللّه بن محمد البردىّ حدّثنا أبى حدّثنا ابن أبى ذئب حدّثنا عبد الرحمن بن مهران عن أيّوب بن شرحبيل قال:

كتب عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه الى عامله على مصر: أن خذ من المسلمين من كلّ أربعين دينارا، و من أهل الكتاب من كلّ عشرين دينارا إذا قبلوها فى كل عام، فإنه حدّثنى من سمعه عمّن سمعه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. انتهى كلام ابن يونس باختصار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۳۸

قلت: و كانت ولاية أيوب هذا على مصر بعد عبد الملك بن رفاعة من قبل عمر ابن عبد العزيز فى شهر ربيع الأوّل سنة تسع و تسعين. فلما ولّى أيّوب هذا مصر جعل الفتيا بمصر الى جعفر بن ربيعة و يزيد بن أبى حبيب و عبيد اللّه بن أبى جعفر، و جعل على الشّرطة الحسن بن يزيد الرّعينى، و زيد فى عطايا الناس عامّة، و عطّلت حانات الخمر و كسرت بإشارة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، و نزحت القبط عن الكور، و استعملت [عليها] المسلمون، و نزعت أيديهم أيضا عن المواريث و استعمل عليها المسلمون، و حسنت أحوال الديار المصرية فى أيامه، و أخذ أيوب هذا فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و إصلاح الأمور. و بينما هو فى ذلك قدم عليه الخبر بموت الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه فى شهر رجب سنة إحدى و مائة و تولية يزيد بن عبد الملك بن مروان الخلافة، و أنّ يزيد أقرّ أيّوب بن شرحبيل المذكور على عمله بمصر على الصلاة على عادته؛ فلم تطل مدّة أيوب بعد ذلك، و مات فى يوم سابع عشر شهر رمضان من سنة إحدى و مائة المذكورة، و قيل: لإحدى عشرة خلت من شهر رمضان؛ فكانت ولايته على مصر سنتين و نصف سنة؛ و تولى مصر بعده بشر بن صفوان الآتى ذكره.

و قال صاحب كتاب «البغية و الاغتباط فيمن ولى الفسطاط»: إنه عزل (يعنى أيوب هذا) فى التاريخ المذكور من الشهر و السنة؛ غير أنه خالف ما ذكرناه من موته، و قال: «عزل» و اللّه أعلم، و وافقه غيره على ذلك. و الصحيح ما نقلناه، أنه توفّى. غير أن يزيد لما ولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز غيّر غالب ما كان قرّره عمر. و سببه أن عمر لما احتضر قيل له: اكتب الى يزيد ابن عمك و أوصه بالأمّة، قال: بماذا أوصيه! إنه من بنى عبد الملك؛ ثم كتب اليه: «أمّا بعد، فاتق اللّه يا يزيد، و اتق الصّرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة و لا تقدر على الرّجعة، إنك تترك ما تترك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۳۹

لمن لا يحمدك، و تصير إلى من لا يعذرك، و السلام». فلما ولى يزيد نزع أبا بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم عن المدينة، و استعمل عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهرىّ عليها، فاستقضى عبد الرحمن بن سلمة بن عبد اللّه بن عبد الأسد المخزومىّ، و أراد معارضة ابن حزم فلم يجد عليه سبيلا حتى شكا عثمان بن حيّان الى يزيد من ابن حزم أنه ضربه حدّين و طلب منه أن يقيده منه. ثم عمد يزيد الى كل ما صنعه ابن عمه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فردّه، و لم يخف شناعة عاجلة و لا إثما آجلا.

فمن ذلك أن محمد بن يوسف أخا الحجاج بن يوسف كان عاملا على اليمن، فجعل عليهم خراجا محدّدا، فلما ولى عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله باليمن يأمره بالاقتصار على العشر و نصف العشر و ترك ما حدّده محمد، و قال: لأن يأتينى من اليمن حفنة ذرة أحبّ الىّ من تقرير هذه الوظيفة. فلما ولى يزيد بعد عمر أمر بردّها، و قال لعامله: خذها منهم و لو صاروا حرضا، و السلام. ثم عزل

جماعة من العمال. فمن قال بعزل أيوب عن مصر فهو يستدلّ بما ذكرناه، و الأصح أنه مات فى التاريخ المذكور المقدّم ذكره.

*** السنة الأولى من ولاية أيوب بن شرحبيل على مصر و هى سنة تسع و تسعين- فيها أغارت الخزر على إرمينية و أذربيجان، و أمير تلك البلاد يوم ذاك عبد العزيز بن حاتم الباهلىّ، و كان بينهم وقعة قتل اللّه فيها عامة الخزر، و كتب عبد العزيز الباهلىّ الى الخليفة عمر بن عبد العزيز بذلك. و فيها حجّ بالناس أبو بكر بن حزم. و فيها استقضى عمر بن عبد العزيز الشّع؟؟؟ ىّ على الكوفة. و فيها قدم يزيد بن المهلّب بن أبى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۴۰

صفرة من خراسان، فما قطع الجسر إلا و هو معزول. و توجه عدىّ بن أرطاة واليا من قبل عمر بن عبد العزيز على البصرة، فأبى يزيد بن المهلّب أن يسلّم عليه، فقبض عليه عدىّ بن أرطاة و قيّده و بعث به الى عمر بن عبد العزيز، فحبسه عمر بن عبد العزيز حتى مات. و فيها أسلم ملك الهند.

قال ابن عساكر: كتب ملك الهند الى عمر بن عبد العزيز: «من ملك الهند و السند، ملك الأملاك الذى هو ابن ألف ملك و تحته ابنة ألف ملك، و الذى فى مملكته نهران ينبتان العود و الكافور و الأكرة التى يوجد ريحها من اثنى عشر فرسخا، و الذى فى مربطه ألف فيل و تحت يده ألف ملك، الى ملك العرب:

أمّا بعد، فإن اللّه قد هدانى الى الإسلام فابعث إلىّ رجلا يعلّمنى الإسلام و القرآن و شرائع الإسلام، و قد أهديت لك هديّة من المسك و العنبر و النّدّ و الكافور فاقبلها، فإنما أنا أخوك فى الإسلام، و السلام».

و فيها توفّى سعيد بن أبى الحسن أخو الحسن البصرىّ، و كان أصغر من الحسن، و هو من الطبقة الثانية من تابعى أهل البصرة، و حزن على موته أخوه الحسن حزنا عظيما و أمسك عن الكلام حتى كلّم فى ذلك، فقال أوّل ما تكلم:

الحمد للّه الذى لم يجعل الحزن عارا على يعقوب. و فيها توفى الخليفة سليمان بن عبد الملك ابن مروان الأموىّ الهاشمىّ، و أمه ولّادة بنت العبّاس، و هى أم الوليد أيضا، و كنيته أبو أيوب، ولى الخلافة بعد أخيه الوليد بن عبد الملك سنة ست و تسعين، و كان فصيحا لسنا جميلا حسن السّيرة مفتاحا للخير، أذهب اللّه به ظلم الحجّاج، و أطلق من كان فى حبس الحجاج، فأنصف المظلومين، و بنى مدينة الرّملة و؟؟؟؟ ها، ثم ح؟؟؟ م أفعاله باستخلافه ابن عمه عمر بن عبد العزيز على المسلمين قبل أخويه يزيد و هشام،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۴۱

و كان سليمان هذا أكولا، و حكاياته فى كثرة الأكل مشهورة، منها: أنه حجّ مرّة فنزل بالطائف فأكل سبعين رمّانة، ثم جاءوه بخروف مشوىّ و ست دجاجات فأكلها، ثم جاءوه بزبيب فأكل منه شيئا كثيرا؛ ثم نعس و انتبه فأتاه الطبّاخ فأخبره أن الطعام استوى، فقال: اعرضه علىّ قدرا قدرا، فصار يأكل من كل قدرة اللقمة و اللقمتين و اللحمة و اللحمتين، و كانت ثمانين قدرا؛ ثم مدّ السّماط فأكل على عادته كأنه ما أكل شيئا. ا ه، و كانت وفاته بدابق فى صفر سنة تسع و تسعين عن خمس و أربعين سنة. و كانت خلافته دون ثلاث سنين، رحمه اللّه. و فيها وجّه عمر بن عبد العزيز الى مسلمة و هو بأرض الروم يأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين، و وجّه لهم خيلا و طعاما كثيرا، و حثّ الناس على معونتهم. و فيها أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا من المسلمين جماعة؛ فوجّه عمر بن عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلىّ فقتل أولئك الترك، و لم يفلت منهم إلا اليسير. و فيها توفّى سهل بن عبد العزيز ابن مروان أخو الخليفة عمر بن عبد العزيز، و كان فاضلا ديّنا زاهدا. و فيها توفى قيس بن أبى حازم عوف بن الحارث الأحمسىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة، شهد مع خالد بن الوليد حين صالح أهل الحيرة و القادسيّة. و فيها توفى القاسم بن مخيمرة الهمدانىّ، و هو من الطبقة الثانية من تابعى أهل الكوفة، و كان يدعو بالموت، فلما نزل به كرهه، و كان ثقة مع علم و زهد و ورع.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و خمسة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۴۲

*** السنة الثانية من ولاية أيوب بن شرحبيل على مصر و هى سنة مائة- فيها حج بالناس أبو بكر بن حزم. و فيها غزا الصائفة الوليد بن هشام المعيطىّ؛ و فيها خرج شوذب الخارجىّ و اسمه بسطام من بنى يشكر. و فيها أمر عمر بن عبد العزيز أهل طرندة بالقفول عنها الى ملطية، و كان عبد اللّه بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة ثلاث و ثمانين، و ملطية يومئذ خراب، و كان يأتيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم إلى أن ينزل الثلج و يعودون إلى بلادهم؛ فلم يزالوا كذلك الى أن ولى عمر بن عبد العزيز فأمرهم بالعود الى ملطية و إخلاء طرندة خوفا على المسلمين [من العدوّ] و أخرب طرندة. و فيها تزوّج محمد بن علىّ بن عبد اللّه بن العباس الحارثية، فولدت له السفّاح أوّل خلفاء بنى العباس الآتى ذكرهم إن شاء اللّه تعالى.

و فيها كانت الزلازل، فكتب الخليفة عمر بن عبد العزيز الى الأمصار و واعدهم يوما بعينه، ثم خرج هو بنفسه رضى اللّه عنه فى ذلك اليوم و خرج معه الناس، فدعا عمر و تضرّع الى اللّه فسكنت الزلازل ببركته. و قيل: إنّ فى أول هذه السنة كانت أوّل دعوة بنى العباس بخراسان لمحمد بن علىّ بن عبد اللّه بن العباس، فلم يظهر أمره غير أنه شاع ذلك فى الأقطار، ثم وقعت أمور الى أن ظهرت دعوتهم فى سنة مائة و اثنتين و ثلاثين، كما سيأتى ذكره فى محله. و فيها توفّى خارجة بن زيد بن ثابت الأنصارىّ، و أمه جميلة بنت سعد بن الربيع الخزرجىّ، و هو من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة، و كذا جميع إخوته، و كنيته أبو زيد، و كان عالما زاهدا،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۴۳

و هو أحد الفقهاء السبعة. و فيها توفّى الشاب الصالح الناسك عبد الملك ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز بن مروان، مات فى خلافة أبيه عمر بن عبد العزيز. قال بعض أهل الشأم: كنا نرى أنّ عمر بن عبد العزيز إنما أدخله فى العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك المذكور هذا. و مات عبد الملك المذكور و له تسع عشرة سنة رحمه اللّه.

و فيها كان طاعون عدىّ بن أرطاة، و مات فيه خلائق. و فيها توفى أبو رجاء العطاردىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل البصرة، و اسمه عمران بن تيم، و قيل:

ابن ملحان، و قيل: عطارد بن ثور. و فيها توفى أبو طفيل عامر بن واثلة بن عبد اللّه ابن عمرو الليثىّ الكنانىّ الصحابىّ، آخر من رأى فى الدنيا النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم بالإجماع، و كان من شيعة علىّ، روى عن النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم استلامه الركن.

و فيها كتب عمر بن عبد العزيز إلى ملوك السند يدعوهم الى الإسلام على أن يملّكهم بلادهم، و لهم ما للمسلمين و عليهم ما عليهم؛ و قد كانت سيرته بلغتهم، فأسلم جيشبة بن ذاهر و عدّة ملوك و تسمّوا بأسماء العرب. و كان استعمل عمر على ذلك الثغر عمرو بن مسلم أخا قتيبة، فغزا عمرو بعض الهند و ظفر حتى بقى ملوك السند مسلمين، فبقوا على ذلك الى خلافة هشام، [ثم] ارتدّوا عن الإسلام لأمر وقع من هشام.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانية أذرع و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۴۴

ذكر ولاية بشر بن صفوان على مصر

هو بشر بن صفوان بن تويل (بفتح التاء المثناة) بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شرحبيل بن عرين بن أبى جابر بن زهير الكلبىّ، أمير مصر. وليها من قبل يزيد بن عبد الملك بعد موت أيّوب بن شرحبيل فى سابع عشر شهر رمضان سنة إحدى و مائة.

قال ابن يونس: و حدّث عنه عبد اللّه بن لهيعة، و يروى عن أبى فراس.

انتهى كلام ابن يونس، و لم يذكر وفاته و لا عزله.

و قال غيره: و فى أيّام بشر على مصر نزل الروم تنّيس و أقام بعد ذلك مدّة، و ولّاه الخليفة يزيد بن عبد الملك على إفريقيّة بالغرب، فخرج اليها من مصر فى شوّال سنة اثنتين و مائة و استخلف أخاه حنظلة بن صفوان على مصر، فأقرّه يزيد بن عبد الملك على إمرة

مصر عوضا عن أخيه بشر المذكور.

و قال صاحب كتاب «البغية و الاغتباط، فيمن ولى الفسطاط» بعد ما ذكر نسبه الى جدّه، قال: ولّاه يزيد بن عبد الملك، و قدمها (يعنى مصر) لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة إحدى و مائة، فجعل على شرطته شعيب بن حميد ابن أبى الرّبذاء البلوىّ. و فى إمرته نزلت الروم تنّيس، و كتب يزيد بمنع الزيادات التى زادها عمر بن عبد العزيز، و دوّن التدوين الرابع، ثم خرج الى إفريقيّة بإشارة يزيد بن عبد الملك فى شوّال سنة اثنتين و مائة، و استخلف أخاه حنظلة. ا ه. و سبب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۴۵

عزل بشر بن صفوان و توجّهه الى إفريقيّة قتل يزيد بن أبى مسلم؛ و كان الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان استعمل يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجّاج على إفريقيّة سنة إحدى و مائة، بعد عزل محمد بن يزيد مولى الأنصار، فلمّا ولى يزيد على إفريقيّة عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجّاج فى أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمّة فأسلم بالعراق؛ فإنّ الحجّاج كان ردّهم الى قراهم و وضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم و هم كفّار، فأراد يزيد بن أبى مسلم [أن] يفعل بأهل سواد إفريقيّة كذلك؛ فكلّموه فى ذلك فلم يسمع و عزم على ما عزم عليه؛ فلما تحقّقوا ذلك أجمع رأيهم على قتله، فوثبوا عليه و قاتلوه و قتلوه، و ولّوا على أنفسهم الوالى الذى كان عليهم قبل يزيد المذكور، و هو محمد بن يزيد مولى الأنصار، و كان عندهم؛ و كتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك: إنّا لم نخلع أيدينا من الطاعة، و لكنّ يزيد بن أبى مسلم سامنا ما لا يرضاه اللّه و المسلمون فقتلناه و أعدنا علينا محمد بن يزيد؛ فكتب اليهم يزيد: إنى لم أرض بما صنع يزيد بن أبى مسلم، و أقرّ محمد بن يزيد على عمله مدّة أيّام، ثم بدا له إرسال بشر بن صفوان هذا الى إفريقيّة فكتب اليه بالتوجّه، و أقر أخاه حنظلة بن صفوان على إمرة مصر عوضه برغبة أخيه بشر فى ذلك. و خرج بشر الى إفريقيّة و وقع له بها أمور يطول شرحها الى أن غزا جزيرة صقلّية فى سنة تسع و مائة و غنم منها شيئا كثيرا، ثم رجع من غزاته الى القيروان فتوفّى بها من سنته. فاستعمل هشام بعده عبيدة بن عبد الرحمن بن أبى الأغر السّلمىّ. انتهت ترجمة بشر بن صفوان.

*** السنة الأولى من ولاية بشر بن صفوان على مصر و هى سنة إحدى و مائة- فيها استخلف يزيد بن عبد الملك بعد موت ابن عمه عمر بن عبد العزيز فى شهر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۴۶

رجب. و فيها ولّى الخليفة يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهرىّ على المدينة، و عزل عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، فحجّ عبد الرحمن بالناس، و كان عامل مكّة فى هذه السنة عبد العزيز بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد، و كان على الكوفة عبد الحميد، و على قضائها الشعبىّ، و كانت البصرة قد غلب عليها [ابن] المهلّب، و كان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم. و فيها لحق يزيد بن المهلّب بن أبى صفرة بالبصرة و غلب عليها و حبس عاملها عدىّ بن أرطاة الفزارىّ و خلع يزيد بن عبد الملك من الخلافة و خرج عن طاعته- و كان يزيد هذا من حبسه عمر بن عبد العزيز فى أيّام خلافته كما تقدّم ذكره- فجهّز الخليفة يزيد بن عبد الملك لحرب يزيد بن المهلّب الجيوش، و وقع لجيش يزيد بن عبد الملك مع يزيد بن المهلّب وقائع آلت الى أن قتل يزيد بن المهلّب المذكور. و فيها توفّى أبو صالح السّمّان و هو المعروف بالزيّات، و اسمه ذكوان، مولى غطفان، من الطبقة الثانية من الموالى بالمدينة، أسند عن جماعة من الصحابة و روى عنه خلق كثير. و فيها توفّى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم القرشىّ الأموىّ أبو حفص، ولى الخلافة بعد موت ابن عمه سليمان بن عبد الملك بعهده اليه بحيلة وضعها سليمان بن عبد الملك حتى بايعه يزيد و هشام ابنا عبد الملك و تمّ أمره. و مولده بالمدينة سنة ستين عام توفّى الخليفة معاوية بن أبى سفيان أو بعدها بسنة، و أمّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، فسار عمر بن عبد العزيز فى الخلافة سيرة الخلفاء الراشدين رضى اللّه عنهم من التقلّل و التقشّف و العدل فى الرعيّة و الإنصاف، الى أن توفّى يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رجب بدير سمعان و صلّى عليه ابن عمّه

يزيد بن عبد الملك بن مروان الذى تخلّف بعده؛ و مات عمر بن عبد العزيز و له تسع و ثلاثون سنة و ستة أشهر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۴۷

قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبىّ: عن يوسف بن ماهك قال: بينما نحن نسوّى التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا كتاب رقّ من السماء فيه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أمان من اللّه لعمر بن عبد العزيز من النار.

قلت: و فى هذه كفاية عن ذكر شىء من مناقبه رحمه اللّه. و فيها توفّى عمر ابن عبد اللّه بن أبى ربيعة المخزومىّ الشاعر المشهور، و كنيته أبو الخطّاب؛ ولد فى الليلة التى مات فيها الخليفة عمر بن الخطاب. و كان الحسن البصرىّ يقول: أىّ حقّ رفع، و أىّ باطل وضع. و كانت العرب تقرّ لقريش بالتقدّم عليها فى كلّ شىء إلّا فى الشعر حتى أتى عمر هذا فأقرّت لها بالشعر. قال ابن خلّكان: لم يكن فى قريش أشعر منه، و هو كثير الغزل و النوادر و الوقائع و المجون و الخلاعة، و له فى ذلك حكايات مشهورة.

قلت: و تشبيبه بالنساء و حكايته مع فاطمة بنت عبد الملك بن مروان مشهورة.

و من شعره:

حىّ طيفا من الأحبّة زارا بعد ما صرّع الكرى السّمّارا

طارقا فى المنام تحت دجى اللّى ل ضنينا بأن يزور نهارا

قلت ما بالنا جفينا و كنّا قبل ذاك الأسماع و الأبصارا

قال إنّا كما عهدت و لكن «شغل الحلى أهله أن يعارا»

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۴۸

و فيها توفّى ذو الرّمّة الشاعر المشهور، و كنيته أبو الحارث، و اسمه غيلان بن عقبة، و هو من الطبقة الثانية من شعراء الإسلام.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و خمسة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و اثنان و عشرون إصبعا.

*** السنة الثانية من ولاية بشر بن صفوان على مصر و هى سنة اثنتين و مائة- فيها وقعة كانت بين يزيد بن المهلّب بن أبى صفرة و بين مسلمة بن عبد الملك بن مروان قتل فيها يزيد بن المهلّب المذكور و كسر جيشه و انهزم آل المهلّب، ثم ظفر بهم مسلمة فقتل فيهم و بدّع و قل من نجا منهم. و فيها غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية إرمينية و هو على الجزيرة قبل أن بلى العراق، فهزمهم و أسر منهم خلقا كثيرا نحو سبعمائة أسير. و فيها غزا العبّاس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الروم فافتتح دلسة. و فيها حجّ بالناس أمير المدينة عبد الرحمن بن الضحّاك. و فيها توفّى محمد بن مروان بن الحكم والد مروان الحمار آخر خلفاء بنى أميّة الآتى ذكره. و فيها توفى الضحاك بن مزاحم الهلالىّ، [و] هو من رهط زينب زوج رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و كنيته أبو القاسم، و هو من الطبقة الثالثة من تابعى أهل الكوفة. و فيها توفّى يزيد ابن [أبى] مسلم كاتب الحجّاج، و كنيته أبو العلاء، و كان على نمط الحجّاج فى الجبروت و سفك الدماء، و لما مات الحجاج أقرّه الوليد بن عبد الملك على العراق أربعة أشهر؛ فلما مات الوليد و ولى أخوه سليمان الخلافة عزله بيزيد بن المهلّب بن أبى صفرة المقدّم ذكره؛ و أمره سليمان بمسكه و إرساله اليه، فأرسله اليه فحبسه الى أن أخرجه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۴۹

يزيد بن عبد الملك و ولّاه إفريقيّة فقتل هناك فى هذه السنة. و قد حكينا ترجمته و قتلته فى أوّل ترجمة بشر بن صفوان. و فيها توفّى عدىّ بن زيد بن الخمار العبادىّ التميمىّ الشاعر المشهور، و هو جاهلىّ نصرانىّ من فحول الشعراء، ذكره محمد بن سلّام فى الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية، و قال: و هم أربعة فحول: طرفة بن العبد و عبيد بن الأبرص و علقمة بن عبدة و عدىّ بن زيد بن الخمار. قال أبو الفرج صاحب الأغانى: الخمار بخاء معجمة مضمومة. و فى وفاته أقوال: قيل إنه مات قبل الإسلام، و قيل فى زمن الخلفاء

الراشدين، و قيل غير ذلك. و من شعره:

أين أهل الديار من قوم نوح ثمّ عاد من بعدهم و ثمود

أين آباؤنا و أين بنوهم أين آباؤهم و أين الجدود

سلكوا منهج المنايا فبادوا و أرانا قد كان منّا ورود

بينما هم على الأسرّة و الأن؟؟؟ اط أفضت الى التراب الخدود

ثم لم ينقض الحديث و لكن بعد ذاك الوعيد و الموعود

و منها:

و صحيح أضحى يعود مريضا هو أدنى للموت ممّن يعود

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و اثنان و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و تسعة عشر إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۵۰

ذكر ولاية حنظلة بن صفوان الأولى على مصر

ولى حنظلة إمرة مصر باستخلاف أخيه بشر بن صفوان له لمّا ولّاه الخليفة يزيد بن عبد الملك إمرة إفريقية و كتب ليزيد بذلك، فأقرّه يزيد على إمرة مصر و ذلك فى شوّال سنة اثنتين و مائة. و حنظلة هذا من بنى كلب، و لمّا ولى مصر مهد أمورها و دام بها الى سنة ثلاث و مائة [ثم] خرج الى الإسكندرية و استخلف على مصر عقبة بن مسلم التّجيبىّ؛ ثم ورد عليه كتاب الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان بكسر الأصنام و التّماثيل، فكسرت كلّها و محيت التماثيل من ديار مصر و غيرها فى أيّامه.

قال الحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس: حنظلة بن صفوان الكلبىّ أمير مصر لهشام بن عبد الملك، روى عنه أبو قبيل آخر ما عندنا من أخباره.

و قدومه من الغرب سنة سبع و عشرين و مائة، و كان أخرجه عبد الرحمن بن حبيب الفهرىّ.

قلت: و قوله «أمير مصر» لهشام يعنى فى ولايته الثانية على مصر. ا ه.

قال: و كان حنظلة حسن السيرة فى سلطانه. حدّثنى مسلمة بن عمرو بن حفص المرادىّ و أبو قرّة محمّد بن حميد الرّعينىّ حدّثنى النّضر بن عبد الجبّار أخبرنا ضمام بن إسماعيل عن أبى قبيل، قال: أرسل الىّ حنظلة بن صفوان فأتيته فى حديث طويل. هذا ما ذكره ابن يونس فى ترجمة حنظلة بتمامه و كماله.

قلت: و استمرّ حنظلة على عمله بمصر حتى توفّى يزيد بن عبد الملك و استقرّ أخوه هشام بن عبد الملك فى الخلافة، [ثم] صرف حنظلة هذا بأخيه محمد بن عبد الملك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۵۱

ابن مروان، و ذلك فى شوّال سنة خمس و مائة؛ فكانت مدّته على مصر ثلاث سنين.

و تأتى بقية ترجمته فى ولايته الثانية على مصر إن شاء اللّه تعالى.

و سبب عزل حنظلة عن مصر أمور، منها: أنّ هشاما عزله و أراد أن يولّى عقفان على مصر عوضه ثم ثنى عزمه عن ذلك و ولّى عقفان الصدقة و ولّى أخاه محمدا مصر. و عقفان المذكور حرورىّ [اسمه عقفان]، خرج فى أيام يزيد بن عبد الملك فى ثلاثين رجلا، فأراد يزيد أن يرسل اليه جندا يقاتلونه، فقيل له: إن قتل عقفان بهذه البلاد اتخذها الخوارج دار هجرة، و الرأى أن تبعث لكلّ رجل من أصحابه رجلا من قومه يكلّمه فيردّه؛ ففعل يزيد ذلك؛ فقال لهم أهلوهم: إنا نخاف أن نؤخذ بكم؛ و أومنوا فرجعوا و بقى عقفان وحده، فبعث اليه يزيد أخاه فاستعطفه و ردّه. فلمّا ولى هشام الخلافة. ولّاه أمر العصاة بعد أن أراد أن يولّيه إمرة مصر، و لمّا ولى

عقفان أمر العصاة و عظم أمره قدم ابنه من خراسان عاصيا، فشدّه وثاقا و بعث به الى الخليفة هشام، فأطلقه هشام لأبيه، و قال: لو خاننا عقفان لكتم أمر ابنه عنا، فاستعمله على الصدقة، فبقى عقفان على الصدقة الى أن مات هشام و ولى الخلافة مروان الجعدىّ الحمار.

*** السنة الأولى من ولاية حنظلة بن صفوان الكلبىّ على مصر و هى سنة ثلاث و مائة- فيها قتل أمير الأندلس السّمح بن مالك الخولانىّ، قتله الروم يوم التروية. و فيها أغارت الترك على اللّان. و فيها غزا العباس بن الوليد الروم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۵۲

ففتح مدينة يقال لها رسلة. و فيها جمعت مكّة و المدينة لعبد الرحمن بن الضحّاك.

و فيها ولّى عبد الواحد بن عبد اللّه النضرىّ الطائف بعد عزل عبد العزيز بن عبد اللّه ابن خالد عنه و عن مكّة. و فيها حجّ بالناس عبد الرحمن بن الضحّاك، و كان أمير العراق فى هذه السنة عمر بن هبيرة، و على خراسان الحرشىّ. و فيها توفّى يحيى بن وثّاب الأسدىّ مولاهم قارئ الكوفة أحد القرّاء، أخذ القراءة عرضا عن علقمة و الأسود و عبيد و مسروق و غيرهم. قال الأعمش: كان يحيى بن وثاب لا يقرأ: بسم اللّه الرحمن الرحيم فى عرض و لا فى غيره. و فيها توفّى أبو الشّعثاء جابر بن زيد الأزدىّ، من الطبقة الثانية من تابعى أهل البصرة، و كان فقيها عالما يفتى أهل البصرة فى غيبة الحسن البصرىّ و فى حضوره. و فيها توفّى خالد بن معدان بن أبى كريب، أبو عبد اللّه الكلاعىّ، من الطبقة الثانية من تابعى أهل الشأم كان عابدا ورعا، و كان يكره الشهرة.

و فيها توفّى سليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى اللّه عليه و سلم، و قيل: إنه كان مكاتبا لها فأدّى و عتق، و وهبت ميمونة ولاءه لابن عباس، و هو من الطبقة الأولى من تابعى أهل المدينة، و كنيته أبو أيّوب، و قيل أبو محمد، و هو أحد الفقهاء السبعة، و كانوا يفضلونه على سعيد بن المسيّب. و فيها توفى أبو بردة بن أبى موسى الأشعرىّ، و اسمه عامر بن عبد اللّه بن قيس، من الطبقة الثانية من تابعى أهل الكوفة، و ولى قضاء الكوفة بعد شريح، و كان سعيد بن جبير قتيل الحجّاج كاتبه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۵۳

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و ثمانية عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و ستة أصابع.

السنة الثانية من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر و هى سنة أربع و مائة- فيها كانت وقعة نهر أرّان، فالتقى المسلمون و الكفّار و كان أمير المسلمين الجرّاح بن عبد اللّه الحكمىّ، و على الكفار ابن الخاقان، و كانت الوقعة بقرب باب الأبواب، و نصر اللّه المسلمين و ركبوا أقفية الترك قتلا و أسرا و سبيا. و فيها عزل الخليفة يزيد ابن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحّاك عن المدينة و مكّة و ولّى عليهما عبد الواحد النّضرىّ. و فيها توفّى أبان بن عثمان بن عفّان، و أمّه أمّ عمرو بنت جندب بن عمرو، و كنيته أبو سعيد، و هو من الطبقة الأولى من تابعى أهل المدينة، و كان فقيها، و ولى إمرة المدينة لعبد الملك بن مروان. و فيها توفى الشّعبىّ و اسمه عامر بن شراحيل أبو عمرو الشعبىّ، شعب همدان، كان علّامة أهل الكوفة فى زمانه، ولد فى خلافة عمر بن الخطاب، و روى عن علىّ يسيرا و عن المغيرة بن شعبة و عائشة و أبى هريرة و غيرهم. و قال أبو بكر بن عيّاش عن الحسن قال: ما رأيت أفقه من الشّعبىّ؛ قلت:

و لا شريح؟ قال: تريد أن تكذّبنى!.

و فيها توفى ربعىّ بن حراش بن جحش الغطفانىّ الكوفىّ، من الطبقة الثانية من تابعى أهل الكوفة، و كان لا يكذب قطّ؛ و كان له ابنان عاصيان على الحجّاج بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۵۴

يوسف الثقفىّ، فقيل للحجّاج: إن أباهما لا يكذب قط فسله عنهما؛ فأرسل اليه الحجّاج قال: أين ابناك؟ فقال: فى البيت، قال الحجّاج: قد عفونا عنهما بصدقك.

و فيها توفّى أبو قلابة الجرمىّ و اسمه عبد اللّه بن زيد، من الطبقة الثانية من تابعى أهل البصرة، و كان فقيها عابدا طلب الى القضاء فهرب الى الشأم و أقام به. و فيها حجّ بالناس عبد الواحد بن عبد اللّه النّضرىّ عامل الطائف، و كان عامل العراق كلّه فى هذه السنة

عمر بن هبيرة مضافا للمشرق كلّه، و كان على قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندىّ، و على قضاء البصرة أبو قلابة الجرمى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع سواء، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و أحد عشر إصبعا.

*** السنة الثالثة من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر و هى سنة خمس و مائة- فيها أيضا زحف الخاقان ملك الترك و خرج من الباب فى جمع عظيم من الترك و قصد إرمينية، فسار اليه الجرّاح الحكمىّ فاقتتلوا أياما ثم كانت الهزيمة على الكفّار، و كان ذلك فى شهر رمضان. و فيها غزا سعيد بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم فقتل و سبى. و فيها غزا الجرّاح الحكمى اللّان حتى جاز ذلك الى مدائن و حصون و أصاب غنائم كثيرة. و فيها غزا مروان بن محمد الصائفة اليمنى فافتتح قونية من أرض الروم و كماخ. و فيها حجّ بالناس ابراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك، فأرسل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۵۵

الى عطاء متى أخطب؟ قال: بعد الظهر قبل التروية بيوم، فخطب قبل الظهر و قال: أخبرنى رسولى عن عطاء؛ فقال عطاء: ما أمرته إلا بعد الظهر، فاستحيا إبراهيم. و فيها توفّى الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين، أبو خالد القرشىّ الأموىّ الدمشقىّ. ولى الخلافة بعد ابن عمه عمر بن عبد العزيز بن مروان بعهد من أخيه سليمان معقود فى تولية عمر بن عبد العزيز؛ و لهذا قلنا فى ترجمة عمر ابن عبد العزيز: «بحيلة من سليمان»، فإنّ سليمان كان عهد لعمر بن عبد العزيز بالخلافة فخاف من إخوته و من الناس، فأخفى ذلك و بايع الناس لما هو مكتتب، فقالوا:

نبايع على أن يكون فيه ولد عبد الملك، فبايعوا فإذا فيه عمر بن عبد العزيز، ثم من بعده ليزيد و هشام، فتمت البيعة؛ و أمّ يزيد هذا عاتكة بنت يزيد بن معاوية، و مولده سنة إحدى و سبعين أو اثنتين و سبعين. و دام فى الخلافة إلى أن مات فى الخامس و العشرين من شعبان بسواد الأردنّ. و كانت خلافته أربع سنين و شهرا، و تولى الخلافة بعده أخوه هشام بن عبد الملك.

و كان سبب موته أنه كان يحبّ جارية من جواريه يقال لها حبابة، و كانت مغنية، و كان يزيد صاحب لهو و طرب، فلمّا ولى يزيد الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز أقام يسير بسيرة عمر أربعين يوما و ترك اللهو و الشرب، فقالت حبابة المذكورة لخصىّ ليزيد، و هو صاحب أمره،: ويحك! قرّبنى منه حيث يسمع كلامى و لك عشرة آلاف درهم، ففعل، فلما مرّ بها يزيد أنشدت:

بكيت الصّبا جهدى فمن شاء لامنى و من شاء آسى فى البكاء و أسعدا

و أبياتا أخر بالألحان، و الشعر للأحوص، فلمّا سمعها يزيد قال: ويحك يا خصىّ! قل لصاحب الشّرطة يصلى بالناس، و دخل إليها و عاد إلى انهماكه و لذّاته. فلما كان بعض الليالى شرقت حبابة فماتت، فحزن عليها يزيد حزنا عظما،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۵۶

و خلّاها يزيد ثلاثة أيام لم يدفنها و هو ينظر إليها، ثم دفنها خمسة أيام فلم يطق ذلك، فنبشها و أخرجها من القبر و جعل يقلّبها و يبكى؛ فقوى عليه الحزن حتى قتله بعد سبعة عشر يوما. و فيها توفّى كثيّر عزّة، و اسمه كثيّر بن عبد الرحمن بن الأسود، و هو من الطبقة الثانية من شعراء المدينة، و كان شيعيّا، قال ابن ماكولا: كان يتقلّب فى المذاهب.

قلت: و لو لا تقلّبه فى المذاهب ما قرّبه بنو أميّة فإنهم كانوا يكرهون الشيعة.

قلت: و هو أحد العشّاق و صاحب عزّة. قيل: إنّ عزة دخلت على أمّ البنين أخت عمر بن عبد العزيز و زوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان، فقالت لها أمّ البنين: ما معنى قول كثيّر:

قضى كلّ ذى دين فوفّى غريمه و عزّة ممطول معنّى غريمها

ما كان هذا الدين؟ قالت: وعدته بقبلة ثم رجعت عنها، فقالت: أ نجزيها و علىّ إثمها، فأنجزته، فأعتقت أمّ البنين أربعين عبدا عند الكعبة، و قالت: اللهم إنى أبرأ إليك مما قلته لعزّة. و فيها توفّى سالم بن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، و كنيته أبو عمير، و قيل أبو عبد اللّه، من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة و أمّه أمّ ولد، و كان من خيار قريش و فقهائهم و زهّادهم. و فيها توفّى محمد بن شعيب

بن شابور- بالمعجمة- القرشىّ، و كان جدّه مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان.

و محمد هذا من الطبقة الخامسة، و قيل السادسة من تابعى أهل الشأم، و كان أحد الأئمة، و ذكره يحيى بن معين بالإرجاء. قاله صاحب المرآة. و الصحيح أنّ مولده سنة ست عشرة و مائة، و توفّى سنة مائتين، و قيل: سنة ثمان و تسعين و مائة، و قيل غير ذلك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۵۷

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و سبعة عشر إصبعا.

ذكر ولاية محمد بن عبد الملك على مصر

هو محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة بن عبد شمس القرشىّ الأموىّ أمير مصر. وليها بعد عزل حنظلة بن صفوان من قبل أخيه الخليفة هشام بن عبد الملك على الصلاة، و دخل إليها يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من شوّال من سنة خمس و مائة المقدّم ذكرها. و محمد هذا هو أخو سعيد ابن عبد الملك لأبويه، و هو من الطبقة الرابعة من تابعى أهل دمشق، و كان ناسكا كثير العبادة حسن السيرة جوادا، كان يكره من أخيه هشام و غيره حتى يلى الأعمال، و لما ولى مصر جعل على شرطته حفص بن الوليد الحضرمىّ. و حدّث عن رجل عن أبى هريرة و سمع من المغيرة بن شعبة.

و قال أبو حاتم: روى عمّن سمع معاوية و عن المغيرة مرسلا، و روى عنه الأوزاعىّ و غيره، و كان ثقة مأمونا. و حين وصوله إلى مصر وقع بها و باء ففرّ منها محمد إلى الصعيد فلم تطل مدّته بالصعيد و عاد بعد أيام إلى مصر؛ ثم خرج منها بسرعة إلى الأردنّ و استعفى فأعفى، و صرف عن إمرة مصر بالحرّ بن يوسف، فكانت ولايته شهرا واحدا؛ و سكن الأردنّ، و دام فى دولة أخيه هشام على ذلك الى أن حجّ بالناس فى سنة ثلاثين و مائة، و عاد من الحجّ فوجد الفتن قائمة بالشأم من جهة بنى العباس، فاستمرّ عند ابن عمه مروان بن محمد بن مروان المعروف بالحمار إلى أن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۵۸

هزم مروان المذكور فى وقعة العراق من أبى مسلم الخراسانىّ، و قبض على محمد هذا و على أخيه مع مروان الحمار، فقتلهما عبد اللّه بن علىّ بن عبد اللّه بن عبّاس؛ قتلهما بنهر أبى فطرس، و قيل: إنّه صاحب الواقعة مع عبد اللّه بن علىّ العباسىّ يوم هزم مروان عند نهر الزّاب، و هو أنّه لما كانت الهزيمة على بنى أميّة رأى عبد اللّه بن علىّ فتى عليه أبّهة الشرف يقاتل مستقتلا، فناداه عبد اللّه: يا فتى، لك الأمان و لو كنت مروان بن محمد، فقال الفتى: إن لم أكنه فلست بدونه؛ قال: فلك الأمان و لو كنت من كنت، فأطرق مليّا ثم رفع رأسه فقال:

أذل الحياة و كره الممات و كلّا أراه طعاما و بيلا

فإن لم يكن غير إحداهما فسيرا الى الموت سيرا جميلا

ثم قاتل حتى قتل، فإذا هو محمد بن عبد الملك، و قيل: ابن لمسلمة بن عبد الملك ابن مروان بن الحكم، عفا اللّه عنه.

ذكر ولاية الحرّ بن يوسف على مصر

هو الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة بن عبد شمس القرشىّ الأموىّ أمير مصر (و الحرّ بضم الحاء المهملة و تشديد الراء المهملة). وليها بعد عزل محمد بن عبد الملك من قبل هشام بن عبد الملك على الصلاة؛ و كان المتولّى على خراج مصر فى هذه السنين كلّها عبيد اللّه بن الحبحاب، فدخل الحرّ بن يوسف هذا الى مصر لثلاث خلون من ذى الحجة سنة خمس و مائة و باشر أمورها، و أقرّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۵۹

حفص بن الوليد على شرطة مصر على عادته. و فى أيامه تناقض القبط بمصر فى سنة سبع و مائة و وقع له معهم أمور طويلة، ثم خرج من مصر مرابطا الى دمياط، فأقام بها ثلاثة أشهر مغازيا؛ ثم عاد الى مصر و أقام بها أياما، ثم خرج منها و وفد على الخليفة هشام بن عبد الملك بالشأم، و استخلف حفص بن الوليد على الصلاة بمصر. فأقام عند الخليفة مدّة يسيرة و عاد الى مصر فى ذى القعدة من سنة سبع و مائة و قد انكشف أراضيها من النيل، فأخذ فى إصلاح أحوالها و تدبير أمورها.

و دام بها الى ذى القعدة من سنة ثمان و مائة، و صرف عنها فى ذى القعدة باستعفائه لمغاضبة وقعت بينه و بين عبيد اللّه بن الحبحاب متولى خراج مصر. فكانت ولاية الحرّ هذا على مصر ثلاث سنين سواء. و تولى من بعده على مصر حفص بن الوليد الذى كان استخلفه الحرّ هذا على الصلاة لمّا وفد على الخليفة هشام.

و لما عزل الحرّ عن إمرة مصر ولّاه هشام الموصل، و هو الذى بنى المنقوشة دارا ليسكنها، و إنما سمّيت المنقوشة لأنها كانت منقوشة بالساج و الرخام و الفصوص الملوّنة و ما شاكلها. و هو الذى عمل النهر الذى كان بالموصل. و سبب ذلك أنه رأى امرأة تحمل جرّة فيها ماء، و هى تحملها ساعة ثم تستريح قليلا لبعد [الماء]، فلما رأى الحرّ ذلك كتب الى هشام بذلك فأمره أن يحفر نهرا الى البلد، فحفره؛ فكان أكثر شرب أهل البلد منه؛ و عليه كان الشارع المعروف بشارع النهر، و بقى العمل فيه عدّة سنين. و مات الحرّ هذا فى سنة ثلاث عشرة و مائة، و كان أجلّ أمراء بنى أمية شجاعة و كرما و سؤددا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۶۰

*** السنة الأولى من ولاية الحرّ بن يوسف الأموىّ على مصر، و هى سنة ست و مائة- فيها عزل الخليفة هشام متولّى العراق عمر بن هبيرة الفزارىّ بخالد ابن عبد اللّه القسرىّ، فدخل خالد بغتة و بها ابن هبيرة يتهيأ لصلاة الجمعة و يسرّح لحيته، فقال عمر بن هبيرة: هكذا تقوم الساعة بغتة. فقيّده خالد القسرىّ و ألبسه مدرعة من صوف و حبسه؛ ثم إن غلمان ابن هبيرة اكتروا دارا الى جانب السجن فنقبوا سردابا الى السجن و أخرجوه منه، فهرب الى الشأم و استجار بالأمير مسلمة ابن عبد الملك بن مروان فأجاره، و كلّم أخاه هشاما فى أمره فعفا عنه، فلم تطل أيام عمر بن هبيرة و مات بعد مدّة يسيرة. و فيها غزا مسلمة بن سعيد بن أسلم فرغانة فلقيه ابن خاقان ملك الترك فى جمع كبير، فكانت بينهم وقعة قتل فيها ابن خاقان فى طائفة كبيرة من الترك. و فيها حجّ بالناس الخليفة هشام بن عبد الملك. و فيها استعمل خالد القسرىّ أخاه أسد بن عبد اللّه على إقليم خراسان نيابة عنه. و فيها توفى طاوس بن كيسان أبو عبد الرحمن اليمانىّ الجندىّ أحد الأعلام، كان من أبناء الفرس الذين سيّرهم كسرى الى اليمن، و هو من فقهاء التابعين. قال سفيان الثّورىّ عن رجل قال: كان من دعاء طاوس: اللهم اخرمنى المال و الولد و ارزقنى الإيمان و العمل. و فيها توفّى أبو مجلز لاحق بن حميد فى قول الذهبىّ. و فيها حجّ بالناس الخليفة هشام بن عبد الملك فلقيه ابراهيم بن محمد بن طلحة فى الحجر فقال له:

أسألك بالله و بحرمة هذا البيت الذى خرجت معظّما له إلّا رددت علىّ ظلامتى، قال هشام: أىّ ظلامة؟ قال: دارى؛ قال: فاين كنت من أمير المؤمنين عبد الملك؟

قال: ظلمنى، قال: فالوليد و سليمان؟ قال: ظلمانى، قال: فعمر؟ قال: [رحمه اللّه] ردّها علىّ، قال: فيزيد بن عبد الملك؛ قال: ظلمنى و قبضها منى بعد قبضى لها فهى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۶۱

فى يدك؛ فقال هشام: لو كان فيك ضرب لضربتك! فقال: فىّ و اللّه ضرب بالسيف و السوط، فانصرف هشام [و الأبرش خلفه فقال: أبا مجاشع]، كيف سمعت هذا اللسان؟ قال: ما أجوده! قال: هى قريش و ألسنتها. و لا يزال فى الناس بقايا! ما رأيت مثل هذا!.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و عشرة أصابع، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و أربعة أصابع.

*** السنة الثانية من ولاية الحرّ بن يوسف على مصر و هى سنة سبع و مائة- فيها عزل الجرّاح الحكمىّ عن إمرة أذربيجان بالأمير مسلمة بن عبد الملك بن مروان، فغزا مسلمة قيساريّة الروم و افتتحها بالسيف. و فيها غزا أسد بن عبد اللّه القسرىّ متولّى خراسان بلاد

سجستان، فانكسر المسلمون و استشهد طائفة و رجع الجيش مجهودين. و فيها كان بالشأم طاعون شديد فخاف الناس كثيرا. و فيها غزا أسد بن عبد اللّه القسرىّ جبال الطالقان و الغور، و كان أهلها خرجوا بأموالهم و أهلهم الى كهف عظيم فى جبل [شاهق] شامخ ليس فيه طريق مسلوك، فعمل أسد توابيت و ربطها بالسلاسل و دلّاها عليهم، فظفر بهم و عاد سالما غانما، فنزل بلخ و بنى مدينتها و ولّاها برمك أبا خالد البرمكىّ و نقل اليها الجند و الأمراء. و فيها غزا مسلمة بن عبد الملك الروم مما يلى الجزيرة ففتح قيساريّة و هى مدينة مشهورة. و فيها غزا معاوية بن هشام الخليفة و معه أهل الشأم و صحبته ميمون بن مهران فقطعوا البحر الى قبرس. و فيها حجّ بالناس إبراهيم بن هشام و هو على المدينة و مكة و الطائف. و فيها توفّى موسى بن محمد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۶۲

ابن على بن عبد اللّه بن عباس ببلاد الروم غازيا، و كان عمره سبعا و عشرين سنة، قاله ابن الأثير؛ و الأصحّ أنه مات فى القابلة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع سواء، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و إصبعان.

*** السنة الثالثة من ولاية الحرّ بن يوسف على مصر و هى سنة ثمان و مائة- فى ذى الحجة منها حكم بمصر حفص بن الوليد. و فيها غزا ولد الخليفة معاوية بن هشام أرض الروم و جهّز بين يديه الأبطال الى حنجر فافتتحها. و فيها غزا أخو الخليفة مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فافتتح قيساريّة. و فيها وقع حريق عظيم بدابق، احترقت المواشى و الدوابّ و الرجال. و فيها حجّ بالناس إبراهيم بن هشام المخزومىّ.

و فيها توفّى موسى بن محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس أبو عيسى الهاشمىّ و هو أخو السفّاح و المنصور لأبيهما و أخو إبراهيم لأمه و أبيه، مات فى حياة أبيه محمد غازيا فى بلاد الروم و له ثمان عشرة سنة. و فيها توفّى نصيب بن رباح أبو محجن الشاعر المشهور مولى عبد العزيز بن مروان، و أمّه نوبيّة فجاءت به أسود فباعه عمّه و كان من العرب من بنى الحاف بن قضاعة، و قيل: إنه هرب فدخل على عبد العزيز و مدحه، فقال: ما حاجتك؟ فقال: أنا عبد، فقال عبد العزيز للمقوّمين: قوّموه، فقالوا: عبد أسود ليس له قيمة، قيمته مائة دينار، قال أبو محجن عن نفسه:

إنه راعى إبل يحسن القيام عليها، قالوا: مائتا دينار، قال: إنه يبرى النّبل و يريشها، قالوا: ثلثمائة دينار، قال: إنه يرمى و يصيب، قالوا: أربعمائة دينار،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۶۳

قال: إنه راوية الأشعار، قالوا: خمسمائة دينار، قال: أصلح اللّه الأمير، أين جائزتى؟ فأعطاه ألف دينار، فاشترى أمّه و أهله و أعتقهم. و ذكره محمد بن سلّام فى الطبقة الثانيه من شعراء الاسلام. و فيها توفّى عطاء بن يسار أبو محمد المدنىّ الفقيه، مولى ميمونة أمّ المؤمنين؛ و عطاء أخو سليمان و عبد اللّه و عبد الملك، و كان قاصّا واعظا ثقة جليل القدر، و قال الذهبى: إنه مات فى الماضية. و فيها حج بالناس إبراهيم بن هشام المقدّم ذكره. و فيها توفّى عكرمة البربرىّ ثم المدنىّ أبو عبد اللّه مولى ابن عباس أحد العلماء الربّانيّين، روى عن ابن عباس و عائشة و علىّ بن أبى طالب و غيرهم؛ قال الهيثم بن عدىّ و غيره: مات سنة ست و مائة.

و قال أبو نعيم و أبو بكر بن أبى شيبة و جماعة: سنة سبع و مائة؛ و قال يحيى بن معين و المدائنىّ: سنة خمس عشرة و مائة، و قال غيرهم: فى هذه السنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع سواء، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و أربعة أصابع.

ذكر ولاية حفص بن الوليد الأولى على مصر

هو حفص بن الوليد بن سيف بن عبد اللّه بن الحارث بن جبل بن كليب ابن عوف بن معاهر بن عمرو بن زيد بن مالك بن زيد بن الحارث بن عمرو بن حجر ابن قيس بن كعب بن سهل بن زيد بن حضرموت، الأمير أبو بكر الحضرمىّ القارىّ أمير مصر، وليها بعد

عزل الحرّ بن يوسف من قبل هشام بن عبد الملك على الصلاة مكرها على ذلك. و كان حفص وجيها عند بنى أميّة و من أكابر أمرائهم، و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۶۴

فاضلا ثقة، روى عن الزهرىّ و غيره، و روى عنه الليث بن سعد و جماعة أخر، و لم تطل مدّته على ولاية مصر فى هذه المرّة و عزل بعد جمعتين يوم عيد الأضحى و قيل آخر ذى الحجة سنة ثمان و مائة.

قلت: و على القولين لم تطل ولايته بل و لا وصلت الى أربعين يوما، و كان سبب عزله عن إمرة مصر بسرعة شكوى عبيد اللّه بن الحبحاب صاحب خراج مصر عليه للخليفة هشام بن عبد الملك، و شكوى جماعة أخر من أوباش المصريين، فعزله هشام عن مصر بعبد الملك بن رفاعة، ثم ندم أهل مصر على عزله و طلبوا منه إعادته عليهم، يأتى ذكر ذلك كله فى ولايته الثانية على مصر فإنه وليها بعد ذلك ثانيا و ثالثا حتى قتله الحوثرة فى سنة ثمان و عشرين و مائة. و كان حفص شريفا مطاعا محبّبا للناس ولديه معرفة و فضيلة، و استقدمه هشام بعد عزله عن مصر و أراد أن يولّيه خراسان عوضا عن أسد بن عبد اللّه القسرىّ، فامتنع حفص من ذلك. و كان سبب عزل أسد عن خراسان أنه خطبهم يوما فقال: قبّح اللّه هذه الوجوه وجوه أهل الشّقاق و النّفاق و الشّغب و الفساد، اللهم فرّق بينى و بينهم و أخرجنى الى مهاجرى و وطنى؛ فبلغ قوله هشاما، فكتب الى خالد بن عبد اللّه القسرىّ: اعزل أخاك، فعزله. و أراد هشام أن يولّى حفصا فامتنع، فولّى خراسان الحكم بن عوانة الكلبىّ، ثم عزله هشام و استعمل عليها أشرس بن عبد اللّه و أمره أن يكاتب خالدا، و كان الأشرس فاضلا خيرا، كان يسمّونه الكامل لفضله، فلما قدم خراسان فرحوا.

و قد خرجنا عن المقصود استطرادا.

ذكر ولاية عبد الملك بن رفاعة الثانية على مصر

قلت: تقدّم التعريف بعبد الملك هذا فى أوّل ولايته على مصر بعد موت قرّة ابن شريك سنة ست و تسعين. و كانت ولاية عبد الملك أيضا على الصلاة لا غير،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۶۵

و الخراج عليه عبيد اللّه بن الحبحاب على عادته، فقدم عبد الملك المذكور من الشأم الى مصر عليلا فى أوّل المحرّم، و قيل: اثنتى عشرة ليلة خلت من المحرّم سنة تسع و مائة [و الأول أصح] و كان أخوه الوليد بن رفاعة يخلفه على الصلاة بمصر من أوّل المحرّم السنة المذكورة (أعنى من أوّل يوم ولايته)، فلما دخل عبد الملك الى مصر لم يطق الصلاة بالناس لشدّة مرضه، فاستمرّ أخوه الوليد بن رفاعة يصلّى بالناس و عبد الملك ملازم الفراش الى أن توفّى نصف المحرّم من السنة المذكورة، فكانت ولايته هذه الثانية على مصر خمس عشرة ليلة على أنه دخل مصر فى أوّل المحرّم؛ و تولّى مصر بعده أخوه الوليد بن رفاعة.

ذكر ولاية الوليد بن رفاعة على مصر

هو الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت [بن ظاعن] الفهمىّ المصرىّ أمير مصر، وليها باستخلاف أخيه عبد الملك اليه فأقرّه الخليفة هشام بن عبد الملك على إمرة مصر و على الصلاة. و جعل الوليد هذا على شرطة مصر عبد اللّه بن [أبى] سمير الفهمىّ ثم عزله و ولّى خالد بن عبد الرحمن الفهمىّ؛ و استمرّ على إمرة مصر و طالت أيامه و وقع له بها أمور و وقعت فى أيامه حوادث. و فى أيامه نقلت قيس الى مصر و لم يكن بها أحد منهم قبل ذلك. و فى أيامه أيضا خرج وهيب اليحصبىّ من مصر فى سنة سبع عشرة و مائة من أجل أنّ الوليد هذا أذن للنصارى فى عمارة كنيسة يوحنا بالحمراء، فلم يكن بعد أيام قليلة إلا و مرض الوليد و لزم الفراش حتى مات فى يوم الثلاثاء فى مستهلّ جمادى الآخرة سنة سبع عشرة و مائة، و استخلف عبد الرحمن بن خالد على الصلاة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۶۶

بمصر، و کانت إمرته علی مصر تسع سنین و خمسة أشهر، و ولی مصر بعده عبد الرحمن ابن خالد المذکور. و لم تطل مدّة الولید هذا علی مصر إلا لخروج عبید اللّه بن الحبحاب المتولی علی خراج مصر منها، و قد تقدّم عزل جماعة کبیرة من العمال بمصر بسبب عبید اللّه المذکور، فدبّر علیه الولید هذا حتی أخرجه هشام من مصر و استعمله علی إفریقیة، فسار الیها عبید اللّه بن الحبحاب و اشتغل بها عن خراج مصر، فإنه فی أوّل خروجه سیّر جیشا الی صقلّیّة، فلقیهم مراکب الروم فاقتتلوا قتالا شدیدا و انهزم الروم، و کانوا قد أسروا جماعة من المسلمین فیهم عبد اللّه بن زیاد فبقی أسیرا الی سنة إحدی و عشرین و مائة، ثم استعمل عبید اللّه بن الحبحاب عقبة بن الحجّاج العبسیّ علی الأندلس فسار الیها و ملکها، ثم سیّر عبید اللّه جیشا إلی السّوس و أرض السودان فغنموا و ظفروا و عادوا. و لما خرج عبید اللّه بن الحبحاب من مصر جمع له الخلیفة خراج مصر و صلاتها و عظم أمره و مهّد البلاد و ساس الناس و مالت إلیه الرعیة، ثم عزل عن الخراج أیضا و استقلّ بصلاة مصر علی عادته أوّلا إلی أن مات فی التاریخ المقدّم ذکره.

*** السنة التی حکم فی محرّمها عبد الملک بن رفاعة علی مصر ثم فی باقیها الولید بن رفاعة و هی سنة تسع و مائة- فیها غزا أسد بن عبد اللّه القسریّ الترک فهزم خاقان و افتتح قزوین. و فیها غزا معاویة ابن الخلیفة أمیر المؤمنین هشام بن

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۶۷

عبد الملک الروم و فتح حصنا یقال له: الطینة. و فیها توفّی لاحق بن حمید بن سعید السّدوسیّ البصریّ فی قول الفلّاس و هو أبو مجلز المقدّم ذکره، و هو من الطبقة الثانیة، و کان بمرو لما قتل قتیبة بن مسلم، فولّاه أهل مرو أمرهم حتی قدم وکیع ابن أبی سود، و کان لاحق هذا یرکب مع قتیبة فی موکبه فیسبّح اللّه اثنتی عشرة ألف تسبیحة یعدّها علی أصابعه لا یعلم به أحد. و فیها حجّ بالناس إبراهیم بن هشام و هو عامل مکة و المدینة و الطائف، و خطب الناس و قال: سلونی فإنکم لا تسألون أحدا أعلم منی؛ فسأله رجل من أهل العراق [عن] الأضحیّة [أ] واجبة هی؟ فما دری و لا أجاب و نزل و لم یتکلّم.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربعة أذرع و خمسة عشر إصبعا مبلغ الزیادة سبعة عشر ذراعا و خمسة أصابع.

*** السنة الثانیة من ولایة الولید بن رفاعة علی مصر و هی سنة عشر و مائة- فیها غزا مسلمة بن عبد الملک بلاد الخزر، و تسمّی هذه الغزوة غزوة الطّین، و التقی مسلمة مع ملک الخزر و اقتتلوا أیاما و کانت ملحمة عظیمة هزم اللّه فیها الکفّار فی سابع جمادی الآخرة. و فیها افتتح معاویة ابن الخلیفة هشام بن عبد الملک حصنین کبیرین من أرض الروم. و فیها توفّی الحسن بن أبی الحسن یسار أبو سعید المعروف بالحسن البصریّ، کنیته أبو سعید مولی زید بن ثابت، و یقال: مولی حمید بن قحطبة.

و کان الحسن إمام أهل البصرة، و هو من الطبقة الثانیة من تابعی أهل البصرة؛ قال

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۶۸

الذهبیّ: بل کان إمام أهل العصر، ولد بالمدینة سنة إحدی و عشرین فی خلافة عمر، و کانت أمّه مولاة لأم سلمة أمّ المؤمنین، فکانت تذهب أمّه لأمّ سلمة فی الحاجة فتشاغله أمّ سلمة بثدیها فربما درّ علیه. قال: و قد سمع من عثمان و هو یخطب و شهد یوم الدّار، و رأی طلحة و علیّا، و روی عن عمران بن حصین و المغیرة بن شعبة و عبد الرحمن بن سمرة و أبی بکرة و النّعمان بن بشیر و خلق کثیر من الصحابة و غیرهم؛ و مناقب الحسن کثیرة و محاسنه غزیرة و علومه مشهورة. و فیها توفی محمد بن سیرین أبو بکر الأنصاریّ البصریّ الإمام الربّانیّ، من الطبقة الثانیة من تابعی أهل البصرة، مولی أنس بن مالک، و هو صاحب التعبیر، و کان أبوه سیرین من سبی جرجرایا فکاتب أنسا علی مال جزیل فوفّاه له؛ و مولده لسنتین بقیتا من خلافة عمر رضی اللّه عنه. و فیها جمع خالد القسریّ الصلاة و الأحداث و الشّرطة و القضاء بالبصرة لبلال ابن أبی بردة و عزل ثمامة عن القضاء. و فیها حجّ بالناس إبراهیم بن هشام. و فیها توفّی الفرزدق مقدّم شعراء عصره، و کنیته أبو فراس، و اسمه همّام بن غالب بن صعصعة ابن ناجیة التّمیمیّ البصریّ، روی عن علیّ بن أبی طالب و غیره، و کان یرسل، و روی عن أبی هریرة و عن جماعة، و کان یقال: الفرزدق أشعر الناس عامّة و جریر أشعر الناس خاصّة.

قال محمد بن سلّام: أتى الفرزدق إلى الحسن البصرىّ فقال: إنى قد هجوت إبليس فاسمع، قال: لا حاجة لنا بما تقول، قال: لتسمعنّ أو لأخرجنّ فلأقولنّ للناس إنّ الحسن ينهى عن هجاء إبليس، قال: فاسكت فإنك عن لسانه تنطق.

و للفرزدق هذا مع زوجته النّوار حكايات ظريفة. و من شعره:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۶۹

إنّ المهالبة الكرام تحملوا دفع المكاره عن ذوى المكروه

زانوا قديمهم بحسن حديثهم و كريم أخلاق بحسن وجوه

و فيها توفى جرير [بن] الخطفى، و هو جرير بن عطيّة بن حذيفة بن بدر بن سلمة أبو حزرة التميمىّ البصرىّ الشاعر المشهور، هو من الطبقة الأولى من شعراء الإسلام، مدح يزيد بن معاوية و من بعده من الأمويّين.

قال محمد بن سلّام: ذاكرت مروان بن أبى حفصة فقال:

ذهب الفرزدق بالفخار و إنما حلو القريض و مرّه لجرير

و عن هشام بن الكلبىّ عن أبيه: أنّ أعرابيا مدح عبد الملك بن مروان فأحسن فقال له عبد الملك: [هل] تعرف أهجى بيت فى الإسلام؟ قال: نعم، قول جرير:

فغضّ الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت و لا كلابا

قال: أصبت، فهل تعرف أرقّ بيت قيل فى الإسلام؟ قال: نعم، قول جرير:

إن العيون التى فى طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللّبّ حتى لا حراك به و هنّ أضعف خلق اللّه إنسانا

قال: أحسنت؛ فهل تعرف جريرا؟ قال: لا- و اللّه؟ و إنى إلى رؤيته لمشتاق، قال: فهذا جرير و هذا الأخطل و هذا الفرزدق، فأنشأ الأعرابىّ يقول:

فحيّا الإله أبا حزرة و أرغم أنفك يا أخطل

وجدّ الفرزدق أتعس به ودقّ خياشيمه الجندل

فأنشأ الفرزدق يقول:

بل أرغم اللّه أنفا أنت حامله ياذا الخنا و مقال الزّور و الخطل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۷۰

ما أنت بالحكم الترضى حكومته و لا الأصيل و لا ذى الرأى و الجدل

فغضب جرير و قال أبياتا، ثم وثب و قبّل رأس الأعرابىّ و قال: يا أمير المؤمنين جائزتى له، و كانت كلّ سنة خمسة عشر ألفا، فقال له عبد الملك: و له مثلها منّى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و خمسة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و ستة عشر إصبعا.

*** السنة الثالثة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر و هى سنة إحدى عشرة و مائة- فيها عزل الخليفة هشام بن عبد الملك أشرس بن عبد اللّه السّلمىّ عن خراسان و ولاها الجنيد بن عبد الرحمن المرّىّ، و سبب عزل أشرس لما فعله بالمدينة و كيف انتقضت عليه السّغد، و تخلّف أهل بخارا و استجاشوا عليه بخاقان ملك الترك، و فتح على المسلمين بابا واسعا ذهبت فيه الأموال و ضعفت العساكر من سوء تدبيره.

و فيها غزا معاوية ابن الخليفة هشام الصائفة و وغل فى بلاد الروم، و غزا أيضا أخوه سعيد بن هشام فوصل الى قيساريّة. و فيها ولّى هشام الجرّاح بن عبد اللّه الحكمىّ على إرمينيّة. و فيها حجّ بالناس إبراهيم بن هشام. و فيها توفّى يزيد بن عبد اللّه بن الشّخّير أبو العلاء

من الطبقة الثانية من تابعى أهل البصرة، و كان من كلامه يقول: لأن أعافى فأشكر، أحبّ إلىّ من أن أبتلى فأصبر. و فيها غزا فى البحر عبد اللّه بن أبى مريم. و فيها سارت الترك الى أذربيجان فلقيهم الحارث بن عمرو فهزمهم بعد قتال كثير و استباح عسكرهم. و فيها عزل عبيدة بن عبد الرحمن عامل إفريقيّة عثمان ابن أبى نسعة عن الأندلس و استعمل عليها الهيثم بن عبد اللّه الكنانى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۷۱

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع سواء، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و ستة عشر إصبعا.

*** السنة الرابعة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر و هى سنة اثنتا عشرة و مائة- فيها زحف الجرّاح بن عبد اللّه الحكمىّ بالمسلمين من برذعة إلى ابن خاقان ليدفعه عن أردبيل، فالتقى الجمعان و عظم القتال و اشتدّ البلاء و انكسر المسلمون و قتل منهم خلق، منهم أمير الجيش الجرّاح بن عبد اللّه الحكمىّ المذكور، و كان أحد الأبطال، و غلبت الخزر على أذربيجان و حصل وهن عظيم على الإسلام. و فيها توفّى رجاء بن حيوة أبو المقدام الكندىّ الأزدىّ، كان ثقة فاضلا كثير الحديث و كان سيّد أهل زمانه؛ قال ابن عون: ثلاثة لم أر مثلهم كأنهم التقوا فتواصوا: ابن سيرين بالعراق، و القاسم بن محمد بالحجاز، و رجاء بن حيوة بالشأم. و كان رجاء عظيما عند بنى أميّة لا سيما عند عمر بن عبد العزيز، كان إذا قدّمت لعمر بن عبد العزيز حلل يعزل منها حلّة و يقول: هذه لخليلى رجاء بن حيوة. و فيها توفّى شهر بن حوشب أبو عبد اللّه الأشعرىّ و قيل أبو الجعد، من الطبقة الثانية من تابعى أهل الشأم، قرأ القرآن على عبد اللّه بن عباس سبع مرّات. و فيها توفّى طلحة بن مصرّف بن عمرو أبو عبد اللّه و قيل أبو محمد، الكوفىّ الهمدانىّ، من الطبقة الثالثة من تابعى أهل الكوفة، كان قارئ أهل الكوفة يقرءون عليه، فلما كثروا عليه كأنه كره ذلك، فمشى الى الأعمش و قرأ عليه، فمال الناس الى الأعمش و تركوه. و فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۷۲

فافتتح مدينة خرشنة. و فيها حجّ بالناس إبراهيم بن هشام المخزومىّ، و قيل: سليمان بن هشام بن عبد الملك، أعنى ابن الخليفة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع سواء، مبلغ الزيادة سنة عشر ذراعا و أربعة عشر إصبعا.

*** السنة الخامسة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر و هى سنة ثلاث عشرة و مائة- فيها غزا الجنيد المرّىّ ناحية طخارستان، فجاشت الترك بسمرقند فالتقاهم الجنيد بقرب سمرقند فاقتتلوا قتالا شديدا، فكتب الجنيد من البحر الى سورة الدّارمىّ، بنجدة على سمرقند، فخرج سورة فى جنده، فلقيته الترك على غرّة فقتلته، فعاد الجنيد أيضا لقتال الترك بعد قتل سورة ثانيا و قاتلهم حتى هزمهم و دخل سمرقند.

و فيها توفّى مكحول الشامىّ أبو عبد اللّه، من الطبقة الثانية من تابعى أهل الشأم، قال: كنت مولى لعمرو بن سعيد بن العاص فوهبنى لرجل من هذيل، فأنعم علىّ بها، فما خرجت من مصر حتى ظننت أنه ليس بها علم إلا سمعته، ثم أتيت المدينة، و قال كما قال أوّلا، ثم أتيت الشّعبىّ و لم أر مثله. و فيها حجّ بالناس الخليفة هشام بن عبد الملك. و فيها دخل جماعة من دعاة بنى العباس إلى خراسان فأخذهم الجنيد و مثّل بهم و قتلهم. و فيها توفى أبو محمد البطّال و قيل: أبو يحيى، و اسمه عبد اللّه، أحد الموصوفين بالشجاعة و الإقدام، و من سارت بذكره الرّكبان، كان أحد أمراء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۷۳

بنى أميّة، و كان على طلائع مسلمة بن عبد الملك بن مروان فى غزواته، و كان ينزل بأنطاكية، شهد عدّة حروب و أوطأ الروم خوفا و ذلّا.

قلت: و العامّة تكذب على أبى محمد هذا بأقوال كثيرة، و يسمونه البطّال، فى سير كثيرة لا صحّة لها. و فيها حجّ بالناس سليمان بن [هشام بن] عبد الملك و قيل إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومىّ. و فيها توفّى حرام بن سعد بن محيّصة أبو سعيد، و عمره سبعون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع سواء، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا سواء.

*** السنة السادسة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر و هى سنة أربع عشرة و مائة- فيها عزل الخليفة هشام أخاه مسلمة بن عبد الملك عن إمرة أذربيجان و الجزيرة بابن عمه مروان بن محمد المعروف بالحمار آخر خلفاء بنى أمية الآتى ذكره، فسار مروان بن محمد المذكور بجيشه حتى جاوز الروم فقتل و سبى من الترك. و فيها غزا الجنيد بلاد الصّغانيان من الترك فرجع و لم يلق كيدا. و فيها ولى إمرة المغرب عبيد اللّه بن الحبحاب السّكونىّ صاحب خراج مصر، فتوجّه اليها و بقى عليها تسع سنين.

و فيها توفّى عطاء بن أبى رباح المكّى أبو محمد بن أسلم مولى قريش أحد أعلام التابعين، ولد فى خلافة عثمان، و سمع من كبار الصحابة. و فيها توفّى محمد الباقر، و كنيته أبو جعفر بن علىّ زين العابدين بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب، الهاشمىّ العلوىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۷۴

سيّد بنى هاشم فى زمانه، روى عن ابن عباس و غيره، و هو أحد [الأئمة] الاثنى عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم، مولده فى سنة ست و خمسين. و لمحمد هذا إخوة أربعة، و هم: زيد الذى صلب، و عمر، و حسين، و عبد اللّه، الجميع بنو زين العابدين، رضى اللّه عنهم. و فيها عزل الخليفة هشام بن عبد الملك إبراهيم بن هشام عن إمرة المدينة و ولّاها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبى العاص؛ و إبراهيم المعزول هو خال الخليفة هشام بن عبد الملك. و فيها غزا معاوية ابن الخليفة هشام ابن عبد الملك الصائفة اليسرى فأصاب شيئا كثيرا، و أن عبد اللّه البطّال التقى هو و قسطنطين فى جمع فهزمهم البطّال و أسر قسطنطين. و فيها غزا سليمان ابن الخليفة هشام الصائفة اليمنى فبلغ قيساريّة. و فى هذه السنة عزل هشام إبراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومى عن إمرة المدينة و استعمل عليها خالد بن عبد الملك بن الحارث ابن الحكم فى ربيع الأوّل، و كانت إمرة إبراهيم على المدينة ثمان سنين، و عزل ابراهيم أيضا عن مكة و عن الطائف، و استعمل عليها محمد بن هشام المخزومىّ. و فيها وقع الطاعون بواسط.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و خمسة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و عشرون إصبعا.

*** السنة السابعة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر و هى سنة خمس عشرة و مائة- فيها خرج الحارث بن سريج عن طاعة الخليفة و تغلّب على مرو و جوزجان،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۷۵

فسار اليه أسد بن عبد اللّه القسرىّ، فالتقوا فانهزم الحارث، و أسر أسد عدّة من أصحاب الحارث و بدّع فيهم. و فيها وقع بخراسان قحط شديد و مجاعة عظيمة. و فيها توفّى عمرو بن مروان بن الحكم الأمير أبو حفص، و أمه زينب بنت عمر بن أبى سلمة المخزومىّ؛ كان عمرو من خيار بنى أميّة، و لم يكن بمصر فى أيام بنى أميّة أفضل منه. و فيها غزا معاوية ابن الخليفة هشام أرض الروم و افتتح حصونا. و فيها وقع الطاعون بالشأم. و فيها حجّ بالناس محمد بن هشام المخزومىّ، و كان الأمير بخراسان الجنيد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع سواء، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا و عشرون إصبعا.

*** السنة الثامنة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر و هى سنة ست عشرة و مائة- فيها بعث عبيد اللّه بن الحبحاب أمير إفريقية ببلاد المغرب جيشا الى بلاد السودان فغنموا و سبوا. و فيها غزا المسلمون فى البحر مما يلى صقلّية فأصيبوا. و فيها تزوّج الجنيد فاضلة بنت المهلّب بن أبى صفرة، و بلغ [ذلك] الخليفة هشاما فغضب و عزل الجنيد عن خراسان و ولّاها عاصم بن عبد اللّه بن يزيد الهلالىّ، و قال له: إن أدركته حيا فأزهق نفسه، فقدم عاصم خراسان و قد مات الجنيد، و كان بالجنيد مرض البطن. و فيها توفّيت حفصة بنت سيرين أخت محمد بن سيرين؛ و كانت زاهدة عابدة، قرأت القرآن و هى بنت اثنتى عشرة سنة و ماتت و هى بنت تسعين سنة. و فيها توفى نافع مولى عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، و هو من الطبقة الثالثة من التابعين، و كان عبد اللّه بن جعفر أعطى ابن عمر فيه اثنى عشر ألف درهم فأبى و أعتقه، و كان نافع عند عبد اللّه بن عمر كبعض ولده، و كان نافع ثقة كثير الحديث. و فيها غزا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۷۶

معاوية بن هشام بن عبد الملك أرض الروم الصائفة. و فيها كان الطاعون بالعراق و كان أشدّه بمدينة واسط و سواحلها.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع سواء، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا و نصف إصبع.

*** السنة التاسعة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر و هى سنة سبع عشرة و مائة- فيها جاشت الترك بخراسان، و معهم الحارث بن سريج الخارجىّ، و عليهم الخاقان الكبير، فعاثوا و أفسدوا و وصلوا إلى بلد مرو الرّوذ، فسار إليهم أسد القسرىّ فالتقاهم و قاتلهم حتى هزمهم، و كانت وقعة هائلة قتل فيها من الترك خلائق. و فيها افتتح مروان بن محمد المعروف بالحمار متولى أذربيجان ثلاثة حصون، و أسر تومانشاه و بعث به إلى الخليفة هشام بن عبد الملك، فمنّ عليه و أعاده إلى مملكته.

و فيها غزا عبيد اللّه بن الحبحاب أمير إفريقيّة عدّة بلاد من المغرب فغنم و سلم.

و فيها توفّيت سكينة بنت الحسين بن علىّ بن أبى طالب، و اسمها آمنة، و أمّها الرّباب بنت امرئ القيس بن عدىّ، و كانت من أجمل نساء عصرها. و فيها توفّى عبد الرحمن بن هرمز الأعرج مولى محمد بن ربيعة، و كنيته أبو داود، من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة. و ذكر الذهبىّ فى هذه السنة وفاة جماعة أخر، قال:

و توفّى سعيد بن يسار، و قد ذكره عبد اللّه بن أبى زكريا الخزاعىّ، و توفى شريح ابن صفوان بمصر، و عبد اللّه بن عبيد اللّه بن أبى مليكة، و عائشة بنت سعد، و عمر ابن الحكم بن ثوبان، و فاطمة بنت علىّ بن أبى طالب، و قتادة بن دعامة المفسّر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۷۷

و قيل بعدها، و محمد بن كعب القرظىّ فى قول الواقدىّ، و توفّى موسى بن وردان القاضى بمصر، و ميمون بن مهران أو فى عام أوّل.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و أربعة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا و عشرون إصبعا و نصف إصبع.

ذكر ولاية عبد الرحمن بن خالد على مصر

هو عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، الأمير أبو خالد، و قيل أبو الوليد، الفهمىّ المصرىّ، أمير مصر لهشام بن عبد الملك بن مروان، و كان استخلفه الوليد بن رفاعة قبل موته على صلاة مصر، و كان قبل ذلك أيضا ولى شرطتها مدّة سنين، فلما مات الوليد بن رفاعة أقرّه الخليفة هشام على إمرة مصر عوضا عن الوليد بن رفاعة على الصلاة، و كان ذلك فى جمادى الآخرة من سنة سبع عشرة و مائة، و لما تمّ أمره جعل على شرطته عبد اللّه بن بشّار الفهمىّ. و كان فى عبد الرحمن هذا لين.

و فى ولايته على مصر نزلت الروم بنواحى مصر و أسروا منها خاتما كثيرا، فلما بلغ هشاما ذلك عزله عن إمرة مصر و أعاد حنظلة بن صفوان ثانيا على مصر، و ذلك فى سنة ثمان عشرة و مائة، فكانت مدّة ولايته على مصر سبعة أشهر و خمسة أيام.

و قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبىّ فى كتابه «تذهيب التهذيب» بعد ما قال أمير مصر لهشام: و الليث بن سعد أحد مواليه، قال: روى عن الزهرى و روى عنه اللّيث بن سعد و يحيى بن أيوب. قال ابن معين: كان عنده عن الزهرىّ كتاب فيه مائتا حديث أو ثلثمائة حديث كان الليث يحدّث بها عنه. و قال النّسائىّ: ليس به بأس. و قال ابن يونس: ولى مصر سنة ثمان عشرة و مائة و عزل سنة تسع عشرة و مائة. قلت:

و الذى ذكرناه فى تاريخ ولايته و عزله هو الأشهر. قال: و كان ثبتا فى الحديث، و توفّى سنة سبع و عشرين و مائة. ا ه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۷۸

و قيل: إنّ سبب عزله عن مصر أنّ دعاة بنى العباس أرسلوا إليه سرّا، فأكرمهم و وعدهم، فبلغ ذلك هشاما فعزله. و كان من أمر دعاة بنى العباس أنه وجّه بكير ابن ماهان عمّار بن زيد إلى خراسان واليا عليها على شيعة بنى العباس، فنزل مرو و غيّر اسمه و تسمّى بخداش و دعا الناس إلى محمد بن علىّ بن عبد اللّه بن عباس، فتسارع الناس إليه و أطاعوه، ثم غيّر ما دعاهم إليه و أظهر دين الخرّميّة و رخّص لبعضهم فى نساء بعض، و قال: إنه لا صوم و لا صلاة و لا حجّ، و أن تأويل الصوم أن يضام عن ذكر الإمام فلا يباح باسمه،

و الصلاة: الدعاء له، و الحجّ: القصد إليه؛ و كان يتأوّل من القرآن قوله تعالى: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ، فنفر من كان أطاعه عنه.

و كان خداش المذكور نصرانيّا بالكوفة و أسلم و لحق بخراسان، و كان ممّن اتّبعه على مقالته مالك بن الهيثم و الحريش بن سليم الأعجميّ و غيرهما و أخبرهم أنّ محمد بن علىّ أمره بذلك، فبلغ خبره أسد بن عبد اللّه القسرىّ فظفر به، فأغلظ القول لأسد فقطع لسانه و سمل عينيه بعد أن سأله عمّن وافقه، فذكر جماعة، منهم أمير مصر عبد الرحمن هذا، و ليس ذلك بصحيح، ثم أمر أسد بيحيى بن نعيم الشّيبانىّ فصلب، ثم أتى أسد بحزوّر مولى المهاجر بن دارة الضّبىّ فضرب عنقه بشاطئ النهر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۷۹

*** ذكر السنة التى حكم فى أوّلها عبد الرحمن بن خالد ثم فى باقيها حنظلة بن صفوان و هى سنة ثمان عشرة و مائة- فيها غزا معاوية ابن الخليفة هشام أرض الروم و قتل و سبى.

و فيها غزا مروان الحمار ناحية ورتنيس و ظفر بملكهم و قتل و سبى. و فيها حجّ بالناس محمد ابن هشام بن إسماعيل و هو أمير المدينة، و قيل: كان هذه السنة على المدينة خالد بن عبد الملك. و فيها توفّى على بن عبد اللّه بن عباس بن عبد المطلب أبو محمد الهاشمىّ المدنىّ العباسىّ المعروف بالسّجّاد، كان يصلّى كل يوم ألف ركعة، و هو والد الخلفاء العباسيّة، و كانت كنيته أبا الحسن، فكنّاه عبد الملك بن مروان أبا محمد، و قال:

لا أحتمل لك الاسم و الكنية جميعا. و كان لعلّى هذا أولاد كثيرة و هم: محمد والد الخلفاء، و عيسى و داود و سليمان و إسماعيل و عبد الصمد و صالح و عبد اللّه. و ولد علىّ هذا فى أيام قتل علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه فسمّى باسمه. و فيها توفى عبد اللّه ابن عامر بن يزيد بن تميم أبو عمران اليحصبىّ مقرئ أهل الشأم، قيل: إنه قرأ القرآن على أبى الدرداء و تولى قضاء دمشق بعد أبى إدريس الخولانىّ، و مات يوم عاشوراء و له سبع و تسعون سنة. و فيها عزل الخليفة هشام بن عبد الملك خالد ابن عبد اللّه القسرىّ عن المدينة و استعمل عليها محمد بن هشام. و فيها توفى ثابت بن أسلم البنانىّ، و بنانة اسم امرأة كانت تحت سعد بن لؤىّ بن غالب بن فهر، و هو من الطبقة الثالثة (أعنى ثابتا) من أهل البصرة؛ و كان ثابت من أعبد أهل زمانه، و به يضرب المثل فى العبادة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۰

قال أنس بن مالك رضى اللّه عنه: «إن لكل شىء مفتاحا و إن ثابتا من مفاتيح الخير» و كانت عيناه تشبه عينى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم؛ فقال له أنس ابن مالك: ما أشبه عينيك بعينى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم! فما زال يبكى حتى عمشت.

و ذكر الذهبىّ وفاة جماعة أخر، قال: و توفّى فى هذه السنة أبو صخرة جامع ابن شدّاد، و حكيم بن عبد اللّه بن قيس، و أبو عشّانة حىّ بن يؤمن المعافرىّ، و عبادة بن نسىّ الكندىّ، و عبد اللّه بن عامر مقرئ الشأم.

قلت: هو الذى ذكرناه آنفا. قال: و عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمىّ، و عبد الرحمن بن سابط الجمحىّ (بضم الجيم نسبة لبنى جمح) و عثمان بن عبد اللّه بن سراقة المدنىّ، و علىّ بن عبد اللّه بن العباس الهاشمىّ. قلت: و قد تقدّم ذكره فى غير هذه السنة. قال: و معاذ بن عبد اللّه الجهنىّ، و معبد بن خالد الجدلىّ الكوفىّ، و أبو جعفر محمد بن علىّ الباقر فى قول ابن معين. قلت: و قد تقدّم ذكره فى غير هذه السنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و ستة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و عشرون إصبعا.

ذكر ولاية حنظلة بن صفوان الثانية على مصر

قلت: تقدّم التعريف به فى ولايته الأولى على مصر فى سنة اثنتين و مائة، و كان سبب ولايته هذه على مصر ثانيا أنه لما ضعف أمر عبد الرحمن بن خالد أمير مصر المقدّم ذكره شكا منه أهل مصر الى هشام بن عبد الملك، و كان شكواهم من لينه لا لسوء سيرته، فعزله

الخليفة هشام لهذا المقتضى و غيره و ولّى حنظلة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۱

ابن صفوان هذا ثانيا على إمرة مصر على صلاتها، فقدمها حنظلة فى خامس المحرّم سنة تسع عشرة و مائة، و تمّ أمره و رتّب أمور الديار المصرية و دام بها الى سنة إحدى و عشرين و مائة، [و] فيها انتقض عليه قبط مصر، فحاربهم حنظلة المذكور حتى هزمهم، ثم فى سنة اثنتين و عشرين و مائة قدم عليه بمصر رأس زيد بن علىّ زين العابدين فأمر حنظلة بتعليقها و طيف بها؛ ثم استمرّ على إمرة مصر الى أن عزله عنها الخليفة هشام بن عبد الملك و ولّاه إفريقيّة، فاستخلف حنظلة على صلاة مصر حفص بن الوليد الحضرمىّ المعزول عن إمرة مصر قبل تاريخه، و خرج حنظلة من مصر لسبع خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع و عشرين و مائة، فكانت ولايته على مصر فى هذه المرّة الثانية خمس سنين و ثمانية أشهر.

و ذكر صاحب كتاب «البغية و الاغتباط، فيمن ولى الفسطاط» قال بعد ما سمّاه: ولّى ثانيا من قبل هشام على الصلاة، فقدم يوم الجمعة لخمس خلون من المحرّم سنة تسع عشرة و مائة، و جعل على شرطته عياض بن خترمة بن سعد الكلبىّ. ثم ذكر نحوا مما ذكرناه من عزله و خروجه الى إفريقيّة. و لما ولّى حنظلة إفريقيّة أمره الخليفة هشام بتولية أبى الخطّار حسام بن ضرار الكلبىّ إمرة الأندلس، فولّاه فى شهر رجب. و كان أبو الخطّار لما تتابع ولاة الأندلس من قيس قال شعرا و عرّض فيه بيوم مرج راهط، و ما كان من بلاء كلب فيه مع مروان بن الحكم، و قيام القيسيّة مع الضّحاك بن قيس الفهرىّ على مروان، فلما بلغ شعره هشام ابن عبد الملك سأل عنه فأعلم أنه رجل من كلب، فأمر هشام بن عبد الملك حنظلة أن يولّى أبا الخطّار الأندلس فولّاه و سيّره اليها، فدخل قرطبة فرأى ثعلبة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۲

ابن سلامة أميرها قد أحضر الألف الأسارى من البربر ليقتلهم، فلما دخل أبو الخطّار دفع الأسارى اليه، فكانت ولايته سببا لحياتهم. و مهّد أبو الخطّار بلاد الأندلس.

و فى ولايته خرج عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع بالأندلس، فأرسل اليه حنظلة رسالة يدعوه الى مراجعة الطاعة فقبضهم و أخذهم معه الى القيروان، و قال: إن رمى أحد من أهل القيروان بحجر قتلت من عندى أجمعين فلم يقاتله أحد، و استفحل أمره. و كان حنظلة لا يرى القتال إلا لكافر أو خارجىّ.

فلما قوى أمر عبد الرحمن خرج حنظلة الى الشأم و دعا على عبد الرحمن و أهل إفريقيّة فاستجيب له، فوقع الوباء و الطاعون ببلادهم سبع سنين لم يفارقهم إلا فى أوقات متفرّقة، و ثار على عبد الرحمن هذا جماعة من العرب و البربر ثم قتل بعد ذلك. هذا بعد أن وقع له مع أبى الخطّار حروب و وقائع. و كان ممن خرج على عبد الرحمن عروة بن الوليد الصّدفىّ و استولى على تونس، و ثابت الصنهاجىّ بناحية أخرى، و أما حنظلة فإنه استمرّ بالشأم الى أن مات.

السنة الاولى من ولاية حنظلة الثانية على مصر و هى سنة تسع عشرة و مائة- فيها حجّ بالناس مسلمة بن عبد الملك أخو الخليفة هشام. و فيها غزا مروان بن محمد المعروف بالحمار غزوة السابحة فدخل بجيشه من باب اللّان، فلم يزل حتى خرج من بلاد الخزر، ثم انتهى الى البيضاء مدينة الخاقان. و فيها جهّز عبيد اللّه بن الحبحاب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۳

أمير إفريقية جيشا، عليهم قثم بن عوانة، فأخذوا قلعة سردانية من بلاد المغرب و رجعوا، فغرق قثم بن عوانة و جماعته فى البحر. و فيها توفّى عبد اللّه بن كثير مقرئ أهل مكة أبو معبد مولى عمرو بن علقمة الكنانىّ، أصله فارسىّ، و يقال له: الدارىّ (و الدارىّ: العطار، نسبة الى عطر دارين)، و قال البخارىّ: هو مولى قريش من بنى عبد الدار، و قال أبو بكر بن أبى داود: الدار: بطن من لخم، منهم تميم الدارىّ، قرأ القرآن على مجاهد و غيره، و قيل: إن وفاته سنة عشرين، و هو الأصحّ.

و فيها قصد خاقان أسد بن عبد اللّه القسرىّ بجموع الترك، فالتقاهم أسد بن عبد اللّه و واقعهم فقتل خاقان و أصحابه، و غنم أسد

أموالا عظيمة و فتح بلادا لم يصل اليها غيره. و فيها خرج المغيرة بن سعيد بالكوفة، و كان ساحرا متشيّعا، فحكى عنه الأعمش أنه كان يقول: لو أراد علىّ بن أبى طالب أن يحيى عادا و ثمودا و قرونا بين ذلك كثيرا لفعل. و بلغ خالد بن عبد اللّه القسرىّ خبره، فأرسل اليه فجىء به و أمر خالد بالنار و النّفط و أحرقه و من كان معه. و فيها غزا أسد بن عبد اللّه الختّل و قتل ملكها بدير طرخان. و فيها توفّى حبيب بن محمد العجمىّ، و يعرف بالفارسىّ، البصرىّ، من الطبقة الرابعة من تابعى أهل البصرة، و هو أحد الزهّاد الذى يضرب بزهده المثل. و فيها حجّ بالناس مسلمة بن عبد الملك.

و أما الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة فهم جماعة كثيرة، قال: و توفّى إياس بن سلمة بن الأكوع، و حبيب بن أبى ثابت فى قول، و حمّاد بن أبى سليمان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۸۴

الفقيه فى قول، و سليمان بن موسى الفقيه بدمشق، و قيس بن سعد الفقيه بمكة، و معاوية بن هشام الأمير بأرض الروم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و نصف، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و ستة أصابع.

*** السنة الثانية من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر و هى سنة عشرين و مائة- فيها عزل خالد بن عبد اللّه القسرىّ عن إمرة العراق بيوسف بن عمر الثقفىّ، و كانت مدّة ولاية خالد على العراق أربع عشرة سنة، فلما استخلف الوليد ابن يزيد بن عبد الملك بعد موت عمه هشام بن عبد الملك بعث بخالد الى يوسف هذا فقتله. و فيها توفّى أسد بن عبد اللّه بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر البجلىّ القسرىّ، و هو أخو خالد بن عبد اللّه القسرىّ المقدّم ذكره أعلاه. و كان أسد هذا ولى خراسان مرّتين، و غزا عدّة غزوات و افتتح البلاد، و بنى مدينة بلخ، و توفّى قبل عزل أخيه خالد بن عبد اللّه القسرىّ بيسير. و فيها توفّى حمّاد بن أبى سليمان فقيه أهل الكوفة، و قد ذكر الذهبىّ وفاته فى الخالية، و هو من الطبقة الثالثة من التابعين.

قيل لإبراهيم النّخعىّ: من نسأل بعدك؟ قال: حمّاد بن أبى سليمان. و عنه أخذ أبو حنيفة العلم، و هو أوّل من حلّق حلقة للاشتغال. و فيها توفّى سليمان بن ثابت الدّارانىّ الدمشقىّ المحاربىّ من الطبقة الثالثة من التابعين، كان يقال له: قاضى الخلفاء لأنه أقام قاضيا على دمشق ثلاثين سنة، قضى لتسعة من خلفاء بنى أمية، و قيل لسبعة، و هو الأصحّ. و فيها توفى محمد بن واسع بن جابر أبو عبد اللّه الأزدىّ، من الطبقة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۸۵

الثالثة من تابعى أهل البصرة، كان لا يقدّم عليه أحد فى زمانه فى العبادة و الزهد و الورع، كان يصوم الدهر و يخفيه. قيل: إنه دخل هو و مالك بن دينار الى دار الحسن البصرىّ فلم يجداه فى الدار، فرأى محمد بن واسع طعاما للحسن فأكل منه من غير إذن الحسن، و عزم على مالك فلم يوافقه مالك و قال: حتى يأذن لى صاحبه، و بينما هما فى ذلك دخل الحسن البصرىّ فأعجبه فعل محمد بن واسع و قال:

هكذا كنا نفعل مع أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حتى جئتنا يامويلك.

و ذكر الذهبىّ جماعة أخر و فيهم من تكرّر ذكره لاختلاف المؤرّخين، قال:

و توفّى أنس بن سيرين على الصحيح، و أسد بن عبد اللّه القسرىّ الأمير، و الجلاح أبو كثير القاضى، و الجارود الهذلىّ، و حماد بن أبى سليمان فى قول، و أبو معشر زياد ابن كليب الكوفىّ، و عاصم بن عمر بن قتادة الظّفرىّ، و عبد اللّه بن كثير مقرئ أهل مكة، و عبد الرحمن بن ثروان الأودىّ، و عدىّ بن عدىّ بن عميرة الكندىّ، و علقمة بن مرثد الكوفىّ، و على بن مدرك النّخعىّ الكوفىّ، و قيس بن مسلم الجدلىّ الكوفىّ، و محمد بن ابراهيم التّيمى المدنىّ الفقيه فى قول، و محمد بن كعب القرظىّ فى قول، و مسلمة بن عبد الملك، و واصل الأحدب، و يزيد بن رومان على الصحيح، و أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم على الصحيح.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع سواء، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و إصبعان و نصف.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۶

*** السنة الثالثة من ولایة حنظلة بن صفوان علی مصر و هی سنة إحدی و عشرین و مائة- فیها غزا مروان الحمار من إرمینیة الی أن بلغ قلعة بیت السریر من بلاد الروم فقتل و سبی، ثم أتی قلعة ثانیة فقتل أیضا و أسر، ثم دخل الحصن الذی فیه سریر الملک فهرب منه الملک حتی صالحوا مروان فی السنة علی ألف رأس و مائة ألف مدی، ثم سار مروان فی السنة حتی دخل أرض أرز و بلاد بطران فصالحوه ثم صالحه أهل بلاد تومان، ثم أتی حمزین فقاتلهم و لازم الحصار علیهم شهرین حتی صالحوه، ثم افتتح مروان مسدار و غیرها. و ذکر خلیفة بن خیاط أنّ أبا محمد البطّال قتل فیها. و فیها غزا الصائفة مسلمة ابن الخلیفة هشام بن عبد الملک فسار حتی أتی ملطیة، و مات مسلمة هذا فی دولة أبیه هشام. و فیها غزا نصر بن سیّار ما وراء النهر و قتل ملک الترک کورصول، و کان کورصول المذکور ملکا عظیما غزا فی المسلمین اثنتین و سبعین غزوة، و لما قبض علیه نصر أراد أن یفدی نفسه بألف جمل بختیّ و بألف برذون، فلم یقبل نصر و قتله. و فیها خرج زید بن علیّ بن الحسین بن علی بن أبی طالب رضی اللّه عنهم، و وقع له مع جیش الخلیفة أمور و حروب و آل أمره الی أن انکسر و اختفی حتی ظفر به و قتل فی سنة اثنتین و عشرین و مائة. و فیها توفّی الربیع بن أبی راشد أبو عبد اللّه الزاهد، من الطبقة الثالثة من تابعی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۷

أهل الکوفة، کان یقول: لو فارق ذکر الموت قلبی ساعة لخشیت أن یفسد علیّ قلبی. و فیها توفی عطاء السّلیمیّ، من الطبقة الرابعة من تابعی أهل البصرة، و کان من التابعین المجتهدین، أقام أربعین سنة لم یرفع رأسه الی السماء حیاء من اللّه تعالی و لم یضحک، و رفع رأسه مرّة ففتق فی بطنه فتق؛ و کان اذا أراد أن یتوضّأ ارتعد و بکی، فقیل له: فی ذلک، فقال: إنی أرید أن أقدم علی أمر عظیم قبل أن أقوم بین یدی اللّه تعالی. و فیها توفّی نمیر بن أوس الأشعریّ قاضی دمشق، من الطبقة الرابعة من التابعین، ولّاه الخلیفة هشام القضاء ثم استعفاه فأعفاه. و فیها توفّی محارب ابن دثار السّدوسیّ الشّیبانیّ أبو المطرّف؛ من الطبقة الثالثة من تابعی أهل الکوفة؛ قال: لما أکرهت علی القضاء بکیت و بکی عیالی، فلما عزلت عن القضاء بکیت و بکی عیالی.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ذراعان و عشرون إصبعا، مبلغ الزیادة ستة عشر ذراعا و ثلاثة عشر إصبعا.

*** السنة الرابعة من ولایة حنظلة بن صفوان علی مصر و هی سنة اثنتین و عشرین و مائة- فیها خرج بالمغرب میسرة الحقیر و عبد الأعلی مولی موسی بن نصیر متعاضدین و معهما خلائق [من الصّفریّة]، فخرج لقتالهم متولّی إفریقیّة عبید اللّه بن الحبحاب و قاتلهم و استظهر علیهم والی إفریقیّة، لکن قتل ابنه إسماعیل، ثم جهّز لهم عبید اللّه بن الحبحاب جیشا ثانیا علیه أبو الأصمّ خالد، فقتل أبو الأصمّ المذکور

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۸

فی جماعة من الأشراف فی آخر السنة، و استفحل أمر الصّفریّة و بایعوا الشیخ عبد الواحد بالخلافة، فلم یتم أمره و قتل بعد حروب کثیرة. و قتل فی هذه الواقعة و غیرها فی هذه السنة خلائق کثیرة. و کان عبید اللّه بن الحبحاب قد جهّز جیشا آخر مع حبیب بن أبی عبیدة بن عقبة الفهری الی جزیرة صقلیّة فظفر حبیب المذکور ظفرا ما سمع بمثله، و سار حتی نزل علی أکبر مدائن صقلیة، و هی مدینة سرقوسة، و هابته النصاری و ذلّوا لإعطاء الجزیة، و وقع بالمغرب فی هذه السنة حروب مهولة متداولة. و فیها توفّی شهیدا زید بن علی زین العابدین بن الحسین بن علی بن أبی طالب رضی اللّه عنهم و صلب مدّة طویلة، و قد تقدّم ذکر واقعته فی سنة إحدی و عشرین و مائة.

و فیها توفّی إیاس بن معاویة بن قرّة بن إیاس المزنیّ البصریّ، من الطبقة الثالثة من تابعی أهل البصرة، و کنیته أبو واثلة، و کان قاضیا علی البصرة، و کان سیّدا فاضلا ذکیا، له نوادر غریبة، کان یقول: أذکر لیلة ولدت وضعت أمی علی رأسی جفنة.

قال إیاس: قلت لأمّی: ما شیء سمعته عند ولادتی یا أمی؟ فقالت: طست وقع من أعلی الدار ففزعت فولدتک فی تلک الساعة. قلت:

و على هذا يكون سماعه لذلك و هو فى بطن أمه، فإنها لما سمعت الضجّة ولدت من الفزع. فيكون سماع إياس لذلك قبل أن ينزل من بطن أمه. ا ه. و فيها توفى بلال بن سعد بن تميم السّكونى (بفتح السين المهملة) من الطبقة الرابعة من تابعى أهل الشأم، كان بالشأم مثل الحسن البصرى فى العراق، و كان إمام جامع دمشق، فكان اذا كبّر سمع صوته من الأوزاع (قرية على باب الفراديس) و لم يكن البنيان يومئذ متصلا؛ هكذا نقل أبو المظفّر فى تاريخه «مرآة الزمان». و فيها توفى الأمير مسلمة ابن الخليفة عبد الملك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۸۹

ابن مروان أبو شاكر، و قيل: أبو سعيد و قيل: أبو الاصبغ، كان شجاعا صاحب همّة و عزيمة، و له غزوات كثيرة من ولاية أبيه عبد الملك الى هذه السنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و ستة أصابع، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و ثمانية عشر إصبعا.

*** السنة الخامسة من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر و هى سنة ثلاث و عشرين و مائة- فيها كانت وقعة عظيمة بين البربر و بين كلثوم بن عياض، فقتل كلثوم فى المصافّ و استبيح عسكره، كسرهم أبو يوسف الأزدى رأس الصّفريّة (و الصفريّة هم منسوبون الى بنى المهلب بن أبى صفرة)، ثم وقعت أمور و وقائع بالمغرب فى هذه السنة أيضا يطول شرحها. و فيها حجّ بالناس يزيد ابن الخليفة هشام بن عبد الملك و صحبه الزّهرىّ بن شهاب، فهناك لقى الزهرىّ مالك بن أنس و سفيان ابن عيينة. و فيها خرج خمسة و عشرون ألفا من الروم و نزلوا بملطية، فبعث اليهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۹۰

هشام بن عبد الملك الجيوش فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، و للّه الحمد. و فيها توفيت عائشة بنت طلحة بن عبيد اللّه التّيمىّ، و أمها أم كلثوم بنت أبى بكر الصدّيق؛ و أوّل أزواج عائشة عبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق، ثم تزوّجها مصعب ابن الزبير فأصدقها مائة ألف دينار. و عن الكلبىّ قال: قال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه: من أشجع العرب؟ قيل: شبيب، و قيل: فلان و فلان؛ فقال: إن أشجع العرب رجل ولى العراقين خمس سنين فأصاب ألف ألف و ألف ألف و ألف ألف، و تزوّج سكينة بنت الحسين بن علىّ و عائشة بنت طلحة، و ابنة الحميد بنت عبد اللّه بن عامر بن كريز، و ابنة ريان بن أنيف الكلبىّ، و أعطى الأمان فأبى و مشى بسيفه حتى مات، ذاك مصعب بن الزبير. و أظنها تزوّجت بعد مصعب.

و أما الذين ذكر وفاتهم الذهبىّ فى هذه السنة فجماعة مختلف فيهم، قال: توفّى ثابت البنانىّ، و قد تقدّم ذكره، و توفى ربيعة بن يزيد القصير بدمشق، و أبو يونس سليم مولى أبى هريرة، و سماك بن حرب الذهلىّ، و سعيد بن أبى سعيد المقبرىّ، و شرحبيل بن سعد المدنىّ، و أبو عمران الجونىّ عبد الملك بن حبيب، و ابن محيصن مقرئ مكة، و محمد بن واسع عابد البصرة، و قد تقدّم ذكره، و مالك بن دينار، يأتى ذكره.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان سواء، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و ثلاثة عشر إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج ۱؛ ص ۲۹۰

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۹۱

ذكر ولاية حفص بن الوليد ثانيا على مصر

قلت: تقدّم التعريف بحفص هذا فى أوّل ترجمته لما ولى مصر فى سنة ثمان و مائة. و كان سبب ولايته هذه الثانية على مصر أن حنظلة بن صفوان لما ولّى إفريقيّة أقرّ حفصا هذا على صلاة مصر و توجّه الى إفريقيّة، فأقرّه الخليفة هشام ابن عبد الملك على إمرة مصر على الصلاة، و ذلك فى سابع شهر ربيع الآخر سنة أربع و عشرين و مائة. و قال صاحب «البغية»: فأقرّه هشام (يعنى على إمرة مصر)، ثم جمع له بين الصلاة و الخراج فى ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة أربع و عشرين و مائة، فجعل على شرطته

عقبة بن نعيم الرّعينىّ، و جعل على الديوان يحيى بن عمرو العسقلانىّ، و على الزّمام عيسى بن عمرو، ثم صرفه الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك عن الخراج و ولّاه عيسى بن أبى عطاء يوم الثلاثاء لسبع بقين من شوال سنة خمس و عشرين و مائة، و انفرد بالصلاة، ثم استعفى مروان بن محمد بن مروان فأعفاه، فكانت ولايته هذه ثلاث سنين إلا شهرا. ا ه. و قال غيره: جمع له هشام بن عبد الملك الصلاة و الخراج معا، و كان لأمراء مصر مدّة سنين [أن] يلى الأمير على الصلاة لا غير، فلما جمع لحفص بين الصلاة و الخراج وقع فى أيامه شراقىّ و قحط بالديار المصرية، فاستسقى حفص بالناس و خطب و دعا اللّه سبحانه و تعالى و صلّى، ثم عاد الى منزله، فلم يكن إلا القليل و ورد عليه موت الخليفة هشام بن عبد الملك، و استخلف من بعده الوليد بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان، فأقرّ الوليد حفصا هذا على ما كان عليه من إمرة مصر على الصلاة و الخراج أياما قليلة، ثم صرفه عن الخراج بعيسى بن أبى عطاء فى ثالث عشرين شوال سنة خمس و عشرين و مائة و انفرد حفص بالصلاة. ثم خرج حفص

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۹۲

من مصر الى الشأم و وفد على الوليد بن يزيد بعد أن استخلف على صلاة مصر عقبة ابن نعيم الرّعينىّ، و عند وصول حفص الى دمشق اختلف الناس على الوليد و خلعوه من الخلافة ثم قتلوه، لسوء سيرته و قبيح أفعاله، كلّ ذلك و حفص بالشأم، و بويع بالخلافة ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. و لما ولى يزيد المذكور الخلافة اقرّ حفصا هذا على عمله و أمره بالعود الى مصر و أن يفرض للجند ثلاثين ألفا، فعاد حفص الى مصر و فرض الفروض و بعث بيعة أهل مصر الى يزيد بن الوليد.

فلم تطل مدّة أيام يزيد و توفّى و بويع بالخلافة من بعده ابراهيم بن الوليد، فلم يتمّ عليه أمره و تغلّب عليه مروان بن محمد بن مروان الجعدىّ المعروف بالحمار، و دعا لنفسه و تمّ له ذلك؛ فلما بلغ حفصا ذلك بعث يستعفيه من ولاية مصر فأعفاه مروان و ولّى مكانه حسّان بن عتاهية. ا ه. و كانت ولاية حفص هذه الثانية نحو ثلاث سنين.

و قال الحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس فى تاريخه بعد ما ذكر نسبه بنحو ما ذكرناه فى ولايته الأولى على مصر لكنه زاد فقال: الحضرمىّ، ثم من بنى عوف بن معاذ، كان أشرف حضرمىّ بمصر فى أيامه، و لم يكن خليفة من بعد الوليد إلا و قد استعمله، كان هشام بن عبد الملك قد شرّفه و نوّه بذكره و ولّاه مصر بعد الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم نحوا من شهر ثم عزله، فدخل على هشام فألفاه فى التجهيز الى الترك فولّاه الصائفة فغزا ثم رجع فولّى نحو مصر سنة تسع عشرة و مائة و سنة عشرين و مائة و سنة إحدى و عشرين و مائة و سنة اثنتين و عشرين و مائة، فلما قتل كلثوم بن عياض القشيرىّ عامل هشام على إفريقيّة، و كان قتله فى ذى الحجّة سنة ثلاث و عشرين و مائة، كتب هشام الى حنظلة بن صفوان الكلبىّ عامله على جند مصر بولايته على إفريقية فشخص اليها، و كتب الى حفص بن الوليد بولاية جند مصر و أرضها، فولى حفص عليها بقيّة خلافة هشام، و خلافة الوليد بن يزيد، و خلافة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۹۳

يزيد بن الوليد، و ابراهيم بن الوليد، و مروان بن محمد الى سنة ثمان و عشرين و مائة؛ و حدّث عنه يزيد بن أبى حبيب، و عمرو بن الحارث، و اللّيث بن سعد، و عبد اللّه ابن لهيعة و غيرهم، و كان ممن خلع مروان مع رجاء بن الأشيم الحميرىّ و ثابت بن نعيم ابن زيد بن روح بن سلامة الجذامىّ و زامل بن عمرو الحرّانى فى عدّة من أهل مصر و الشام، فقتله حوثرة بن سهيل الباهلىّ بمصر فى شوّال سنة ثمان و عشرين و مائة، و خبر مقتله يطول.

و قال المسور الخولانىّ يحذّر ابن عمّ له من مروان و يذكر قتل مروان حفص ابن الوليد و رجاء بن الأشيم و من قتل معهما من أشراف أهل مصر:

و إن أمير المؤمنين مسلّط على قتل أشراف البلاد فأعلم

فإياك لا تجنى من الشر غلطة فتودى كحفص أو رجاء بن الاشيم

فلا خير فى الدنيا و لا العيش بعدهم و كيف و قد أضحوا بسفح المقطّم

قال ابن يونس: حدّثنا أحمد بن شعيب حدّثنا عبد الملك بن شعيب بن اللّيث حدّثنى أبى عن جدّى عن يزيد بن أبى حبيب عن حفص بن الوليد عن محمد بن مسلم عن عبيد اللّه بن عبد اللّه حدّثه أن ابن عباس حدّثه: أن شاة ميّتة كانت لمولاة ميمونة من الصّدقة فأبصرها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقال: «انزعوا جلدها فانتفعوا به» قالوا: إنها ميّتة، قال: «إنما حرم أكلها».

قال أبو سعيد بن يونس: أسند حفص غير هذا الحديث: حدّثنى أبى عن جدّى أنه حدّثه ابن وهب حدّثنى اللّيث: أن حفص بن الوليد أوّل ولايته بمصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۹۴

أمر بقسم مواريث أهل الذّمّة على قسم مواريث المسلمين، و كانوا قبل حفص يقسمون مواريثهم بقسم أهل دينهم، انتهى كلام ابن يونس. و قد ساق ابن يونس ترجمة حفص على سياق واحد و لم يدع لولايته الثالثة على مصر شيئا. و لا بدّ من ذكر ولايته الثالثة هنا لما شرطناه فى كتابنا هذا من ذكر كلّ وال فى وقته و زمانه، و نذكره إن شاء اللّه تعالى بزيادات أخر.

*** السنة الأولى من ولاية حفص بن الوليد الثانية على مصر و هى سنة أربع و عشرين و مائة- فيها عاثت الصّفريّة ببلاد المغرب و حاصروا قابسا و نصبوا عليها المجانيق، و افترقت الصفرية بعد قتل ميسرة فرقتين، ثم ولّى الخليفة حنظلة أمير مصر أمر إفريقيّة لمّا بلغه قتل كلثوم، كما تقدّم ذكره. و فيها قدم جماعة من شيعة بنى العباس من خراسان الى الكوفة يريدون أخذ البيعة لبنى العباس فأخذوا و حبسوا ثم أطلقوا. و فيها غزا سليمان بن هشام الصائفة و التقاه ملك الروم فهزمه سليمان و غنم. و فيها قتل كلثوم بن عياض أمير المغرب، من الطبقة الرابعة من تابعى أهل الشأم، و كان جليلا نبيلا فصيحا له خطب و مواعظ، قتل بالمغرب فى وقعة كانت بينه و بين ميسرة الصّفرىّ، ثم مات ميسرة أيضا فى آخر السنة. و فيها توفّى الزّهرىّ و اسمه محمد بن مسلم بن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن شهاب بن عبد اللّه بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرّة، الإمام أبو بكر القرشىّ الزّهرىّ المدنىّ أحد الأعلام، من تابعى أهل المدينة من الطبقة الرابعة، كان حافظ زمانه. قال اللّيث بن سعد قال

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۹۵

ابن شهاب: ما صبر أحد على العلم صبرى، و لا نشره أحد نشرى، ولد سنة خمسين، و طلب العلم فى أواخر عصر الصحابة، و له نيّف و عشرون سنة، فروى عن ابن عمر حديثين، و روى عن جماعة كثيرة من الصحابة و التابعين، و روى عنه الجمّ الغفير ا ه.

و ذكر الذهبىّ جماعة أخر، قال: توفّى عبد اللّه بن قيس الجهنىّ، و عمرو بن سليم الزّرقى أبو طلحة، و القاسم بن أبى بزة المكىّ، و محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، و محمد بن مسلم بن شهاب الزّهرىّ، و قد تقدّم ذكره، و محمد بن على بن عبد اللّه ابن عبّاس، و أبو جمرة (بالجيم و الراء) نصر بن عمران الضّبعىّ.

أمر النيل فى هذه السنة الماء القديم ثلاثة أذرع و اثنا عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و ثلاثة عشر إصبعا.

*** السنة الثانية من ولاية خفص بن الوليد الثانية على مصر و هى سنة خمس و عشرين و مائة:

فيها كانت فتن كثيرة بالمغرب بين الأمير حنظلة بن صفوان المعزول عن إمرة مصر و المتولّى إفريقيّة و بين عكّاشة الخارجىّ، فكانت بينهم وقعة لم يسمع بمثلها، و انهزم عكّاشة و قتل من البربر ما لا يحصى، ثم التقى حنظلة ثانيا مع عبد الواحد على فرسخ من القيروان، و جمع عبد الواحد ثلثمائة ألف مقاتل، فبذل حنظلة الأموال و ضجّ الناس و النساء و الأطفال بالدعاء، و بقى حنظلة يسير بين الصفوف بنفسه و يحرّض على القتال، و كسر أصحاب حنظلة أغماد سيوفهم و التحمت الحرب و انكسرت ميسرة الإسلام، و حنظلة على تحريضه حتى تراجعوا، و هزم اللّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۹۶

عبد الواحد و جيوشه ثم قتل، و أتى حنظلة برأسه، و قتل من البربر مقتلة عظيمة لم يسمع بمثلها، فكانت هذه ملحمة مشهودة، ثم أسر عكّاشة و أتى به الى حنظلة فقتله و قتل جماعة كثيرة من أصحابه. و قيل: أحصى من قتل فى هذه الوقعة فبلغوا مائة ألف و ثمانين ألفا.

و هذه الملحمة أعظم ملحمة وقعت فى الإسلام بالمغرب.

و فيها عقد الوليد بن يزيد بن عبد الملك البيعة لابنيه الحكم و عثمان فى شهر رجب بعد أن ولى الخلافة بشهر واحد، و كتب بذلك الى الآفاق. و فيما؟؟؟ توفّى محمد بن على ابن عبد اللّه بن عباس العبّاسى الهاشمى، و محمد هذا هو والد السفاح أوّل خلفاء بنى العباس، و كنيته أبو عبد اللّه، و كان أصغر من أبيه على بأربع عشرة سنة، فلما شابا خضّب أبوه علىّ بالسواد و ابنه محمد هذا بالحنّاء، فلم يفرّق بينهما إلا بالخضاب لتشابههما. و مولد محمد هذا بالقرب من أرض البلقاء سنة ثمان و خمسين و قيل:

سنة ستين. و فى الليلة التى مات فيها محمد هذا ولد فيها محمد المهدىّ بن أبى جعفر المنصور، فسمى المهدىّ على اسم جدّه محمد المذكور و كنى بكنيته. و كان محمد هذا بويع بالخلافة سرّا و فرّق الدعاة فى البلاد، فلم يتمّ أمره و مات. و فيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة ابن عبد شمس، الأموى القرشىّ الدمشقىّ أبو الوليد، ولد سنة نيّف و سبعين و استخلف بعهد من أخيه يزيد بن عبد الملك، و استخلف و عمره أربع و ثلاثون سنة، و دام فى الخلافة تسع عشرة سنة و سبعة أشهر و أياما، و كان جميل الصورة يخضب بالسواد، و بعينيه حول مع كيس، و أمه فاطمة بنت هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۹۷

قال مصعب الزّبيرىّ: زعموا أن عبد الملك رأى فى منامه أنه بال فى المحراب أربع مرّات، فدسّ من يسأل سعيد بن المسيّب عنها، و كان يعبّر الرؤيا، و عظمت على عبد الملك، فقال سعيد بن المسيّب: يملك من ولده لصلبه أربعة، فكان هشام هذا آخرهم، لأن أوّلهم الوليد، ثم سليمان، ثم يزيد، ثم هشام.

قال حمّاد الراوية: لما ولى هشام الخلافة طلبنى فحضرت عنده فوجدته جالسا فى فرش قد غرق فيه، و بين يديه صحفة من ذهب مملوءة مسكا مذوبا بماء ورد و هو يقلّبه بيده فتفوح رائحته، فسلّمت عليه فردّ علىّ السلام، و قال: يا حمّاد، إنى ذكرت بيتا من الشعر ما عرفت قائله و هو هذا:

و دعوا بالصّبوح يوما فجاءت قينة فى يمينها إبريق

فقلت: هو لعدىّ بن زيد، فقال: أنشدنى القصيدة، فأنشدته إياها، فقال:

سل حاجتك، و كان على رأسه جاريتان كأنهما أقمار، و فى أذن كل واحدة منهما جوهرتان يضىء منهما المنزل، فقلت: يا أمير المؤمنين، جارية من هاتين، فقال:

هما لك، و أمر لى بمائة ألف درهم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و ثمانية أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و ثلاثة عشر إصبعا.

السنة الثالثة من ولاية حفص بن الوليد الثانية على مصر و هى سنة ست و عشرين و مائة- فيها خرج يزيد بن الوليد بن عبد الملك على ابن عمه الخليفة الوليد ابن يزيد بن عبد الملك لما انتهك الوليد المذكور الحرمات و كثر فسقه و سئمته الرعية على قصر مدّته، فبويع يزيد هذا بالمزّة و وثب على دمشق و جهّز عسكرا لقتال الخليفة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۹۸

الوليد، و كان الوليد بتدمر قد انهزم اليها عاكفا على المعاصى بها، فخرج الوليد و قاتل العسكر و انكسر و قتل بنواحى تدمر، على ما يأتى ذكره، و تمّ أمر يزيد فى الخلافة، و سمّى بالناقص، لكنه لم تطل مدّته أيضا و مات، على ما يأتى ذكره أيضا. و فيها توفّى خالد ابن عبد اللّه بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر البجلىّ القسرىّ، ولى خالد المذكور أعمالا جليلة مثل مكّة المشرّفة و العراق و غيرهما، و كانت أمّه نصرانيّة فكان يعيّر بها، و كان بخيلا على الطعام جدّا، ذكر عنه أبو المظفّر أمورا شنيعة من هذا الباب. و فيها توفّى الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة (الهاشمىّ) الأموىّ الدمشقىّ المعروف بالفاسق، ولد سنة

تسعين و قيل سنة اثنتين و تسعين.

و لما احتضر أبوه يزيد بن عبد الملك لم يمكنه أن يستخلفه لأنه صبيّ، فعهد الى أخيه هشام بن عبد الملك و جعل ابنه هذا الوليد وليّ العهد من بعد هشام، و أمّ الوليد بنت محمد بن يوسف الثقفيّ، فالحجّاج عمّ أمه. و لما مات عمّه هشام ولى الخلافة و صدرت عنه تلك الأمور القبيحة المشهورة عنه: من شرب الخمر و الفجور و تخريق المصحف بالنّشّاب. و ذكر عنه بعض أهل التاريخ أمورا أستبعد وقوعها، منها: أنه دخل يوما فوجد ابنته جالسة مع دادتها فبرك عليها و أزال بكارتها، فقالت له دادتها: هذا دين المجوس، فأنشد:

من راقب الناس مات غمّا و فاز باللّذة الجسور

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۹۹

قال: و أخذ يوما المصحف و فتحه، فأوّل ما طلع له وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، فقال: أ توعدنى! ثم علّقه و لا زال يضربه بالنّشاب حتى خرقه و مزّقه و هو ينشد:

أتوعد كلّ جبّار عنيد فهأنا ذاك جبّار عنيد

إذا لاقيت ربّك يوم حشر فقل يا ربّ خرّقنى الوليد

و لما كثر فسقه خلعوه من الخلافة بابن عمه يزيد بن الوليد و قتلوه فى جمادى الآخرة، و كانت خلافته سنة و ثلاثة أشهر، و توفّى ابن عمّه يزيد المذكور بعده بمدّة يسيرة، كما سيأتى ذكره. و فيها توفّى سعيد بن مسروق والد سفيان الثّورى؛ و فيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، الهاشمىّ الأمويّ الدمشقىّ أبو خالد، المعروف بيزيد الناقص، لأنه نقص الجند من عطائهم لمّا ولى الخلافة، و كان الوليد ابن عمه زاد الجند زيادات كثيرة فنقصها يزيد هذا لمّا ولى الخلافة و مشّى الأمور على عاداتها. وثب يزيد على الخلافة لمّا كثر فسق ابن عمه الوليد، و تمّ أمره بعد قتل الوليد، و بويع بالخلافة فى جمادى الآخرة من سنة ست و عشرين و مائة المذكورة. و أم يزيد هذا شاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد، حكى أن قتيبة بن مسلم ظفر بما وراء النهر بابنتى فيروز فبعث بهما الى الحجّاج بن يوسف، فبعث الحجاج بإحداهما، و هى شاه فرند، الى الخليفة الوليد بن عبد الملك فأولدها يزيد هذا، و كانت أم فيروز بن يزدجرد بنت شيرويه بن كسرى، و أم شيرويه بنت خاقان، و أمّ أمّ فيروز هى بنت قيصر عظيم الروم، و لهذا كان يزيد يفتخر و يقول:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۰۰

أنا ابن كسرى و جدّى مروان و قيصر جدّى و جدّى خاقان

قلت: و كان يزيد هذا لا بأس به، غير أن أيامه لم تطل، و مات فى سابع ذى الحجّة من سنة ست المذكورة. و ذكر الذهبىّ وفاة جماعة كثيرة فى هذه السنة مختلف فى وفاتهم، كما هى عادة سياقه، فإنه يذكر الواحد فى عدّة أماكن، فنحن نذكر مقالته و لا نتقيّد بها، و من وقع لنا ممّن ذكره ترجمناه على عادة كتابنا هذا فى محله، قدّمه الذهبى أو أخّره، فقال: توفى جبلة بن سحيم، و خالد بن عبد اللّه القسرىّ الأمير، و درّاج أبو السّمح، و سعيد بن مسروق والد سفيان الثورىّ، و سليمان بن حبيب المحاربىّ، و قد تكرّر فى عدّة سنين، و عبد الرحمن بن القاسم بن محمد، و الكميت بن زيد الشاعر، و عبيد اللّه بن أبى يزيد المكّى، و عمرو بن دينار، و الوليد قتل فى جمادى الآخرة فكانت خلافته خمسة عشر شهرا، و يزيد بن الوليد الناقص مات فى ذى الحجة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و ستة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و اثنى عشر إصبعا.

ذكر ولاية حسّان بن عتاهية على مصر

هو حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن بن حسّان بن عتاهية بن خزز بن سعد ابن معاوية التّجيبىّ؛ و قال صاحب «البغية»: حسان بن

عتاهية بن عبد الرحمن. ا ه.

ولّاه مروان بن محمد بن مروان المعروف بالحمار على إمرة مصر و هو بالشأم، فأرسل حسّان من الشأم بكتاب الى ابن نعيم باستخلافه على صلاة مصر الى أن يحضر من الشأم، فسلّم حفص بن الوليد الأمر الى ابن نعيم، ثم قدم حسّان المذكور الى مصر فى ثانى عشر جمادى الآخرة سنة سبع و عشرين و مائة على الصلاة لا غير.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۰۱

و زاد صاحب «البغية» و قال: قدم فى يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة. ا ه.

و كان عيسى بن أبى عطاء على الخراج، فلما استقرّ أمر حسّان فى إمرة مصر أسقط الفروض التى كان قرّرها حفص بن الوليد فى ولايته و قطع [فروض] الجند كلها، فوثبوا عليه و قاتلوه و قالوا: لا نرضى إلا بحفص، و ركبوا الى المسجد و دعوا الى خلع مروان الحمار من الخلافة و حصروا حسّان فى داره، و قالوا له: اخرج عنا، فإننا لا نقيم معك ببلد، ثم أخرجوا عيسى بن أبى عطاء صاحب الخراج من مصر، كل ذلك فى آخر جمادى الآخرة، ثم أخرجوا حفصا من سجنه و ولّوه أمرهم. و توجّه حسان هذا الى الشأم و دام بها من جملة أمراء بنى أميّة الى أن زالت دولة بنى أميّة و تولّت العباسيّة. قتل حسّان هذا مع من قتل بمصر من أعوان بنى أميّة فى سنة اثنتين و ثلاثين و مائة. و كانت ولاية حسّان على مصر ستة عشر يوما و قيل: إن حسان كان من أعوان بنى العباس، و الأوّل أشهر، و تولّى بعده حفص بن الوليد ثالثا.

و قال الحافظ أبو سعيد بن يونس: شهد حسان بن عتاهية جدّ عتاهية والد صاحب الترجمة فتح مصر و صحب عمر بن الخطاب؛ و ابنه عبد الرحمن بن حسان ابن عتاهية يروى عنه مخيّس بن ظبيان، و فى نسخة: عبد الغنى.

و حدّثنى أحمد بن على بن دارح بن رجب الخولانىّ حدّثنى عمى عاصم بن دارح حدّثنا عبيد اللّه بن سعيد بن كثير بن عفير حدّثنى أبى حدّثنى عمرو بن يحيى السّدّى حدّثنى عبد اللّه بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج قال: سألنى أبو جعفر المنصور:

ما فعل حسّان بن عتاهية؟ قلت: قتله شعبة. قال: قتله اللّه. كان لنا جليسا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۰۲

عند عطاء بن أبى رباح. قال سعيد بن كثير: شعبة هذا هو ابن عثمان التميمى، كان على المصريّة، و هو أوّل من قدم مصر من قوّاد المسوّدة، و كان على مقدّمة عامر بن اسماعيل المرادىّ الجرجانىّ الذى قتل مروان بن محمد الحمار.

ضبط الأسماء الغريبة فى هذه الترجمة: (عتاهية) بفتح العين المهملة و التاء المثناة، و (خزز) بفتح الخاء المعجمة و الزاى الأولى و سكون الزاى الثانية، و (التجيبى) بضم التاء المثناة من فوق و كسر الجيم و ياء ساكنة و باء ثانية الحروف.

ذكر ولاية حفص بن الوليد الثالثة على مصر

و لما ثار أهل مصر على حسّان بن عتاهية و أخرجوه منها لحق بالخليفة مروان ابن محمد بن مروان المعروف بالحمار فى الشأم، و ذكر له حسان ما وقع له مع أهل مصر؛ و استمرّ حفص بن الوليد على صلاة مصر شهر رجب و شعبان، و قدم الأمير حنظلة بن صفوان من إفريقيّة، و قد أخرجه أهلها فنزل بالجيزة غربىّ مدينة مصر، و دام هناك الى أن قدم عليه كتاب الخليفة مروان الحمار بولايته على مصر، فامتنع المصريّون من ولاية حنظلة بن صفوان عليهم، و منعوه من الدخول الى مصر و أظهروا الخلاف، ثم أخرجوا حنظلة من الجيزة الى الوجه الشرقىّ، و منعوه من المقام بالفسطاط، و حاربوه فحاربهم فهزم، و تمّ أمر حفص؛ و سكت مروان عن مصر بقية سنة سبع و عشرين و مائة، ثم عزل حفص فى مستهلّ سنة ثمان و عشرين و مائة و ولّى عوضه على مصر الحوثرة بن سهيل أخو عجلان الباهلىّ، و واقع الحوثرة حفصا و قتله، كما ذكره ابن يونس و غيره فى ترجمته الثانية، و كان قتل حفص المذكور فى يوم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۰۳

الثلاثاء لليلتين خلتا من شوّال سنة ثمان و عشرين و مائة، ورثاه صديقه أبو بحر مولى عبد اللّه بن إسحاق مولى آل الحضرميّ من حلفاء عبد شمس بعدّة قصائد، و كان أبو بحر إماما فى النحو و اللغة، تعلّم ذلك من يحيى بن يعمر، و مات فى سنة سبع و عشرين و مائة، و كان أبو بحر يعيب الفرزدق فى شعره و ينسبه إلى اللحن، فهجاه الفرزدق بقوله:

فلو كان عبد اللّه مولى هجوته و لكنّ عبد اللّه مولى مواليا

فقال له أبو بحر عبد اللّه المذكور: قد لحنت أيضا يا فرزدق فى قولك: مولى مواليا، بل كان ينبغى أن تقول: مولى موال.

*** السنة الأولى من ولاية حفص بن الوليد الثالثة على مصر و هى سنة سبع و عشرين و مائة، على أنّ حسّان بن عتاهية حكم منها على مصر ستة عشر يوما فى جمادى الآخرة- فيها وقع بالشأم و غيره عدّة فتن و حروب من قبل مروان الحمار و غيره حتى ولى الخلافة و خلع إبراهيم بن الوليد الذى كان تخلّف بعد موت أخيه يزيد بن الوليد الناقص و لم يتمّ أمره، و كان مروان المذكور متولّى أذربيجان و إرمينية، فلما بلغه موت يزيد جمع الأبطال و العساكر و أنفق عليهم الأموال حتى بلغ قصده و ولى الخلافة و تمّ أمره، و فى آخر السنة المذكورة بايع مروان لابنيه عبيد اللّه و عبد اللّه بالعهد من بعده و زوّجهما بابنتى هشام بن عبد الملك، و لم يدر ما خبئ له فى الغيب من زوال دولته ببنى العباس. و فيها حجّ بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز الأموىّ و هو أمير مكة و المدينة و الطائف. و فيها خلع سليمان بن هشام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۰۴

مروان الحمار من الخلافة، و كان سليمان بمدينة الرّصافة، و وقع له مع مروان أمور و حروب. و فيها توفّى الحكم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموىّ، و كان الوليد عقد له و لأخيه عثمان ولاية العهد بعده، و استعمل الحكم هذا على دمشق و عثمان على حمص حتى عزلهما يزيد بن الوليد الناقص. و فيها توفّى عبد العزيز بن عبد الملك بن مروان أبو الإصبع، و هو الذى تولّى قتل الوليد بن يزيد، فولّاه يزيد الناقص العهد بعد أخيه إبراهيم. و فيها توفّى مالك بن دينار العابد الزاهد أبو يحيى البصرىّ، أحد الأعلام الزهّاد، قيل: إن أدم مالك المذكور كان فى السنة بفلسين ملحا، و كان يلبس إزار صوف و عباءة خفيفة و فى الشتاء فروة، و كان ينسخ المصحف فى أربعة أشهر، و فى شهرته ما يغنى عن الإطناب فى ذكره.

و فى هذه السنة أيضا كان الطاعون بالشأم و مات فيه خلائق لا تحصى، و كان هذا الطاعون يسمى «بطاعون غراب».

ذكر الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم على القاعدة المتقدّم ذكرها فى سنة ست و عشرين و مائة، قال: و توفى إسماعيل بن عبد الرحمن السّدّىّ، و بكير بن عبد اللّه بن الأشجّ على الأصح، و سعد بن إبراهيم فى قول، و عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهرىّ، و عبد الكريم بن مالك الجزرىّ، و عبد اللّه بن دينار المدنىّ، و عمرو بن عبد اللّه أبو إسحاق السّبيعىّ، و عمير بن هانئ العنسىّ، و مالك بن دينار الزاهد فى قول، و محمد ابن واسع فى قول خليفة، و وهب بن كيسان أيضا.

أمر النيل- الماء القديم ذراعان و ثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و اثنا عشر إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۰۵

ذكر ولاية حوثرة بن سهيل على مصر

هو حوثرة بن سهيل أخو عجلان بن سهيل الباهلىّ أمير مصر، ولّاه مروان الحمار على إمرة مصر بعد أن عزل عنها حفص بن الوليد المقدّم ذكره، و جهّز صحبته العساكر لقتال حفص بن الوليد، فخرج حوثرة من الشأم و سار منها بالعساكر حتى وصل الى مصر فى يوم الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من المحرّم سنة ثمان و عشرين و مائة و زاد صاحب «البغية» فقال: و معه سبعة آلاف فارس، و ولّاه مروان على الصلاة و عيسى بن أبى عطاء على الخراج. ا ه. و لما وصل حوثرة الى مصر أجمع جند مصر و أهلها على منعه من الدخول الى مصر فأبى عليهم حفص بن الوليد و نهاهم عن ذلك فخافوا حوثرة و سألوه الأمان فأمّنهم و نزل بظاهر الفسطاط، و قد اطمأنوا اليه،

فخرج اليه حفص بن الوليد فى وجوه الجند فقبض حوثرة عليهم و قيّدهم و أوسع الجند سبّا فانهزم الجند، فقام حوثرة من وقته و دخل الى مصر و معه عيسى بن أبى عطاء و هو على الخراج على عادته و حوثرة على الصلاة لا غير، و بعث حوثرة فى طلب رؤساء مصر فجمعوا له فضرب أعناقهم و فيهم رجاء بن الأشيم الحميرىّ من كبار المصريين، ثم أخذ حفص بن الوليد فقتله و أخذ فى تمهيد أمور مصر، و تمّ أمره الى سنة إحدى و ثلاثين و مائة [ثم] عزله مروان الحمار عن إمرة مصر و بعثه الى العراق لقتال الخراسانية دعاة بنى العباس فقتل هناك، و كان استخلف على مصر أبا الجرّاح بشر بن أوس، و كان خروجه من مصر لعشر خلون من شهر رجب سنة إحدى و ثلاثين و مائة، فكانت ولايته على مصر ثلاث سنين و ستة أشهر، و ولى مصر من بعده

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰۶

المغيرة بن عبيد اللّه الآتى ذكره. و لما توجّه حوثرة الى الشأم و وجّهه مروان الحمار الى العراق نجدة لابن هبيرة فتوجه الى العراق و وقع له بها أمور، و لم يزل مع مروان الحمار الى أن انكسر مروان من أبى مسلم الخراسانىّ صاحب دعوة بنى العباس، و قيل:

فقتل حوثرة هذا مع من قتل من أعوان بنى أميّة فانه كان مولى لبنى أميّة و من كبار أمرائهم، يقال: إنهم طحنوه طحنا لما ظفروا به حتى مات، فإنه كان شجاعا مقداما صاحب رأى و تدبير و قوّة و خبرة بالحروب. ا ه. و أما أمر حوثرة لما توجّه الى العراق لابن هبيرة فإنه وصل اليه و فى وصوله له قدم على يزيد بن هبيرة ابنه داود منهزما، فخرج يزيد بن هبيرة و معه حوثرة هذا الى نحو قحطبة فى عدد كثير لا يحصى و ساروا حتى نزلوا جلولاء، و احتفر ابن هبيرة الخندق الذى كانت العرب اختفرته أيام وقعة جلولاء، و أقام به، و أقبل قحطبة الى جهة ابن هبيرة فارتحل ابن هبيرة و حوثرة بمن معهما الى الكوفة لقحطبة، و قدم حوثرة هذا أمامه فى خمسة عشر ألفا الى الكوفة، و قيل: إن حوثرة لم يفارق يزيد بن هبيرة، و أرسل قحطبة طائفة من أصحابه الى الأنبار و غيرها و أمرهم بإحدار ما فيها من السفن ليعبر الفرات فبعثوا اليه كل سفينة كانت هناك، فقطع قحطبة الفرات حتى صار فى غربيّه، ثم سار يريد الكوفة حتى انتهى الى الموضع الذى فيه ابن هبيرة و حوثرة، و ذلك فى محرّم سنة اثنتين و ثلاثين و مائة لثمان مضين منه، و كان ابن هبيرة قد عسكر على فم الفرات من [أرض] الفلّوجة العليا على ثلاثة و عشرين فرسخا من الكوفة، و كان قدم عليه أيضا ابن ضبارة نجدة بعد حوثرة بن سهيل الباهلىّ المذكور، فقال حوثرة لابن هبيرة:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰۷

إن قحطبة قد مضى يريد الكوفة فاقصد أنت خراسان ودعه و مروان فإنك تكسره و بالحرى أن يتبعك، قال ابن هبيرة: ما كان ليتبعنى و يدع الكوفة، و لكن الرأى أن أبادره الى الكوفة، فعبر الدجلة من المدائن يريد الكوفة، و استعمل على مقدّمته حوثرة المذكور و أمره أن يسير الى الكوفة، و الفريقان يسيران على جانبى الفرات، و قد قال قحطبة لأصحابه: إن الامام أخبرنى أن لى بهذا المكان وقعة يكون النصر [فيها] لنا، ثم عبر قحطبة من مخاضة و قاتل حوثرة و محمد بن نباتة فانهزم حوثرة و محمد بن نباتة و أخوه و لحقوا بابن هبيرة، فانهزم ابن هبيرة بهزيمتهم و لحقوا بواسط و تركوا عسكرهم و ما فيه من الأموال و السلاح و غير ذلك، و قيل: إن حوثرة كان بالكوفة فبلغه هزيمة يزيد بن هبيرة فسار اليه بمن معه. و أما أمر قحطبة فانه فقد من عسكره بعد هزيمة عساكر ابن هبيرة، فقال أصحاب قحطبة: من عنده عهد من قحطبة فليخبر به، فقال مقاتل بن مالك العكىّ: سمعت قحطبة يقول: إن حدث بى حدث فالحسن ابنى أمير الناس، فبايع الناس حميد بن قحطبة لأخيه الحسن، و كان قد سيّره أبوه قحطبة فى سريّة؛ ثم أرسلوا إليه و أحضروه و سلّموا اليه الأمر ثم بعثوا على قحطبة فوجدوه فى جدول هو و حرب بن سالم بن أحوز قتيلين، فظنوا أن كل واحد منهما قتل صاحبه. و قيل: إن معن بن زائدة ضرب قحطبة على عاتقه فسقط فى الماء فأخرجوه، فقال: شدّوا يدىّ إذا أنا متّ و ألقونى فى الماء لئلا يعلم الناس بقتلى ثم كونوا فى أمركم، فوقع ذلك حتى انهزم عسكر ابن هبيرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰۸

*** السنة الأولى من ولاية حوثرة بن سهيل على مصر و هى سنة ثمان و عشرين و مائة- فيها بعث ابراهيم العباسىّ أبا مسلم الى

خراسان و أمّره على أصحابه و كتب اليهم بذلك، فأتاهم فلم يقبلوا منه، و خرج من قابل إلى مكة و أخبره أبو مسلم بذلك، ثم أرسله ثانيا كما سيأتى ذكره. و فيها توفى اسماعيل بن عبد الرحمن السّدّى صاحب التفسير و المغازى و السّير، كان إماما عارفا بالوقائع و أيام الناس، من الطبقة الثانية من تابعى أهل الكوفة، و قيل: إنه مات سنة سبع و عشرين و مائة، و فيها توفّى جابر بن يزيد الجعفىّ، من الطبقة الرابعة من تابعى أهل الكوفة و قد تكلم فيه و ضعّفه بعضهم. و فيها توفى حيىّ بن هانئ المعافرىّ، أبو قبيل (و أبو قبيل بفتح القاف و كسر الموحدة) غزا أبو قبيل البحر مع جنادة و الغرب فى زمان معاوية، و كان شجاعا ديّنا متواضعا، يخرج الى السوق الى حاجته بنفسه، روى عنه اللّيث بن سعد و غيره و مات بمصر. و فيها توفّى سعيد بن مسروق الثّورىّ أبو سفيان، من الطبقة الثالثة من تابعى أهل الكوفة، كان عالما زاهدا. و فيها توفّى عبد الواحد بن زيد أبو عبيدة واعظ البصرة، من الطبقة الرابعة من تابعى أهل البصرة، كان من الزهّاد و كان يحضر مجالس مالك بن دينار. قال أبو نعيم: صلّى عبد الواحد الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة. و فيها توفى عثمان بن عاصم بن حصين [أبو حصين] (بفتح الحاء) الأسدى، من الطبقة الرابعة من تابعى أهل الكوفة، قرئ القرآن عليه بمسجد الكوفة خمسين سنة. و فيها توفى يزيد بن أبى حبيب، من الطبقة الثالثة. من تابعى أهل مصر، و هو أوّل من أظهر بها الحلال و الحرام و الفقه، و إنما كانوا يتحدّثون بالملاحم و الفتن، و كان اللّيث بن سعد يثنى عليه و يقول: ابن أبى حبيب سيّدنا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰۹

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و اثنان و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و إصبع واحد.

*** السنة الثانية من ولاية حوثرة على مصر و هى سنة تسع و عشرين و مائة- فيها خرج بحضرموت طالب الحق عبد اللّه بن يحيى الكندىّ الأعور، تغلّب عليها و اجتمع عليه الإباضية، ثم سار الى صنعاء و بها القاسم بن عمر الثقفىّ فوقع بينهم قتال كثير، انتصر فيه طالب الحق و هرب القاسم و قتل أخوه الصّلت، و استولى طالب الحق على صنعاء و أعمالها، ثم جهّز إلى مكة عشرة آلاف و بها عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك بن مروان فغلبوا على مكة و خرج منها عبد الواحد المذكور.

و فيها كتب ابن هبيرة أمير العراق إلى عامر بن ضبارة فسار حتى أتى خراسان و قد ظهر بها أبو مسلم الخراسانى صاحب دعوة بنى العباس فى شهر رمضان، و كان قد ظهر هناك عبد اللّه بن معاوية الهاشمى فقبض عليه أبو مسلم و سجنه و سجن معه خلقا من شيعته.

و فيها توفى سالم بن أبى أميّة أبو النّضر مولى عمر بن عبيد اللّه ابن معمر التّيمىّ، من الطبقة الرابعة من تابعى أهل المدينة، كان يفد على عمر بن عبد العزيز و يعظه، فقال له يوما: يا أمير المؤمنين، عبد خلقه اللّه بيده، و نفخ فيه من روحه، و أسجد له ملائكته، و أسكنه جنّته عصاه مرة واحدة فأخرجه من الجنّة بتلك الخطيئة الواحدة، و أنا و أنت نعصى اللّه كل يوم مرارا، و نتمنّى على اللّه الجنّة! و كانت وفاته بالمدينة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۰

ذكر من ذكر الذهبىّ وفاته فى هذه السنة، قال: فيها توفى أزهر بن سعيد الحرازىّ بحمص، و الحارث بن عبد الرحمن بالمدينة، و خالد بن أبى عمران التّجيبىّ قاضى إفريقية، و سالم أبو النّضر المدنىّ، و على بن زيد بن جدعان التّيمىّ، و قيس ابن الحجاج السّلفىّ، و مطر بن طهمان الورّاق، و يحيى بن أبى كثير اليمانىّ، و بشر ابن حرب الندبىّ و آخرون.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و تسعة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و ثلاثة عشر إصبعا.

*** السنة الثالثة من ولاية حوثرة بن سهيل على مصر و هى سنة ثلاثين و مائة- فيها اصطلح نصر بن سيّار و جديع بن علىّ الكرمانىّ على قتال أبى مسلم الخراسانىّ، فدس أبو مسلم الخراسانىّ إلى ابن علىّ الكرمانىّ من خدعه و اجتمعا و قاتلا نصر بن سيّار فقوى جيش أبى مسلم الخراسانى و تقهقر نصر بن سيّار بين يديه، فأخذ أبو مسلم أثقاله ثم أخذ مرو و قتل عاملها شيبان الحرورىّ، فأقبلت سعادة بنى العباس و أخذ من يومئذ أمر بنى أميّة فى إدبار، ثم استولى أبو مسلم فى هذه السنة على أكثر مدن خراسان، ثم ظفر بعبد اللّه بن معاوية الهاشمىّ فقتله، ثم كتب نصر بن سيّار إلى ابن هبيرة نائب العراق يستنجده و يستصرخ به إلى الخليفة مروان الحمار. و

فيها استولى جيش طالب الحق على مكة، فكتب عبد الواحد أمير المدينة إلى الخليفة مروان الحمار يخبره بخذلان أهل مكة، ثم جهّز جيشا إلى مكّة فبرز لحربهم أعوان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۱

طالب الحق و عليهم أبو حمزة و التقى الجمعان بقديد فى صفر فانهزم جيش عبد الواحد و ساق أبو حمزة فاستولى على المدينة أيضا، و قتل يوم وقعة القديد هذه ثلثمائة نفس من قريش: منهم حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوّام، و ابنه عمارة، و ابن أخيه مصعب حتى قالت بعض النوائح:

ما للزمان و ما ليه أفنى قديد رجاليه

ثم إنّ مروان الحمار بعث جيشا عليه عبد الملك بن محمد بن عطية، فسار ابن عطيّة المذكور و التقى مع أبى حمزة مقدّم عساكر طالب الحق فكسره، و قتل أبرهة الذى كان ولّاه طالب الحق على مكة عند بئر ميمونة، فبلغ طالب الحقّ فأقبل من اليمن فى ثلاثين ألفا، فخرج إليه عبد الملك بن محمد المذكور بعساكر مروان فكانت بينهم وقعة عظيمة انهزم فيها طالب الحقّ، ثم التقوا ثانيا، و ثالثا قتل فيها طالب الحقّ فى نحو من ألف حضرميّ، و بعث عبد الملك بن محمد برأسه إلى الخليفة مروان الحمار. و فيها كانت زلازل شديدة بالشام و أخربت بيت المقدس و أهلكت أولاد شدّاد بن أوس فيمن هلك، و خرج أهل الشأم إلى البريّة و أقاموا أربعين يوما على ذلك، و قيل: كان ذلك فى سنة إحدى و ثلاثين و مائة. و فيها توفّى الخليل ابن أحمد بن عمرو الفراهيدى أبو عبد الرحمن النحويّ البصريّ.

قال ابن قرأوغلى: و لم يكن بعد الصحابة أذكى من الخليل هذا و لا أجمع، و كان قد برع فى علم الأدب، و هو أوّل من صنّف العروض، و كان من أزهد الناس.

قلت: و لعل ابن قرأوغلى واهم فى وفاة الخليل هذا، و الذى أعرفه أنه كان فى عصر أبى حنيفة و غيره. و ذكر الذهبيّ وفاته فى سنة ستين و مائة، و قال ابن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۲

خلّكان: كانت ولادته يعنى الخليل فى سنة مائة من الهجرة و توفّى فى سنة سبعين و مائة و قيل خمس و سبعين و مائة، و قال ابن قانع فى تاريخه المرتّب على السنين: إنه توفى سنة ستين و مائة، و قال ابن الجوزى فى كتابه الذى سماه «شذور العقود»: إنه مات سنة ثلاثين و مائة و هذا غلط قطعا، و الصحيح انه عاش لبعد الستين و مائة، و يقال:

إنه كان له ولد فدخل عليه فوجده يقطّع بيت شعر بأوزان العروض، فخرج إلى الناس فقال: إنّ أبى جنّ فدخلوا إليه و أخبروه، فقال مخاطبا لابنه:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتى فعذلتنى و علمت أنك جاهل فعذرتكا

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و ثلاثة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و أربعة أصابع و نصف إصبع.

*** السنة الرابعة من ولاية الحوثرة على مصر الى شهر رجب، و من رجب حكمها المغيرة بن عبيد اللّه الآتى ذكره و هى سنة إحدى و ثلاثين و مائة- فيها كانت وقعة بين ابن هبيرة و بين عامر بن ضبارة، فالتقوا بنواحى أصبهان فى شهر رجب فقتل ابن ضبارة فى المصافّ.

و ذكر محمد بن جرير الطبرىّ: أن عامر بن ضبارة كان فى مائة ألف، ثم بعث ابن هبيرة الى مروان الحمار يخبره بقتله عامر بن ضبارة و طلب منه المدد فأمدّه بأمير مصر صاحب الترجمة حوثرة بن سهيل الباهلىّ بعد أن عزله عن إمرة مصر و بعثه فى عشرة آلاف من قيس، ثم تجمّعت جيوش مروان الحمار بنهاوند و عليهم مالك ابن أدهم فضايقهم قحطبة أربعة أشهر حتى خرجوا بالأمان فى شوّال،

ثم قتل قحطبة وجوها من عسكر أهل مصر، ثم أقبل قحطبة يريد العراق فخرج اليه متولّيها ابن هبيرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۳

و انضم اليه المصريون و المنهزمون حتى صار فى ثلاثة و خمسين ألفا و نزل جلولاء، و نزل قحطبة فى آخر العام بخانقين، فوقع بين الطائفتين عدّة وقائع و بقوا على ذلك الى السنة الآتية. و فيها كان الطاعون العظيم، هلك فيه خلق كثير، حتى قيل: إنه مات فى يوم واحد سبعون ألفا قاله ابن الجوزىّ، و كان هذا الطاعون يسمّى:

«طاعون أسلم بن قتيبة».

قال المدائنىّ: كان بالبصرة فى شهر رجب و اشتدّ فى رمضان ثم خف فى شوّال و بلغ كلّ يوم ألف جنازة، و هذا خامس عشر طاعونا وقع فى الإسلام حسبما تقدّم ذكره فى هذا الكتاب، قال المدائنىّ: و هذا كله فى دولة بنى أميّة، بل نقل بعض المؤرّخين أن الطواعين فى زمن بنى أمية كانت لا تنقطع بالشأم حتى كان خلفاء بنى أميّة اذا جاء زمن الطاعون يخرجون الى الصحراء، و من ثمّ اتّخذ هشام بن عبد الملك الرّصافة منزلا، و كانت الرّصافة بلدة قديمة للروم، ثم خفّ الطاعون فى الدولة العباسية، فيقال: إن بعض أمراء بنى العباس بالشأم خطب فقال:

احمدوا اللّه الذى رفع عنكم الطاعون منذ ولينا عليكم، فقام بعض من له جرأة فقال:

إن اللّه أعدل من أن يجمعكم علينا و الطاعون ا ه. و فيها تحوّل أبو مسلم الخراسانىّ عن مرو و نزل نيسابور و استولى على عامة خراسان. و فيها توفّى واصل بن عطاء أبو حذيفة البصرىّ مولى بنى مخزوم، و قيل: مولى بنى ضبّة، ولد سنة ثمانين بالمدينة، و كان أحد البلغاء لكنه كان يلثغ بالراء يبدلها غينا، و كان لاقتداره على العربية و توسّعه فى الكلام يتجنّب الراء فى خطابه، و فى هذا المعنى يقول بعض الشعراء:

و جعلت و صلى الراء لم تنطق به و قطعتنى حتى كأنك واصل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۴

و واصل هذا هو رأس المعتزلة، و الخوارج لما كفّرت بالكبائر، قال واصل:

بل الفاسق لا- مؤمن و لا كافر منزلة بين المنزلتين، فلذلك طرده الحسن البصرىّ، عن مجلسه، فجلس عند واصل عمرو بن عبيد و اعتزلا مجلس الحسن البصرىّ فمن يومئذ قيل لهم: المعتزلة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و تسعة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و أربعة أصابع.

ذكر ولاية المغيرة بن عبيد اللّه على مصر

هو المغيرة بن عبيد اللّه بن المغيرة بن عبيد اللّه بن سعد بن حكم [بن مالك] بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جويّة بن لوذان بن ثعلبة بن [عدىّ] بن فزارة الفزارىّ.

و قال صاحب «البغية»: المغيرة بن عبيد اللّه بن مسعدة خالف فى الجدّ. ا ه.

ولّاه الخليفة مروان الحمار على مصر بعد عزل حوثرة و توجّهه الى العراق نجدة لابن هبيرة، فقدم المغيرة الى مصر فى سادس عشر من شهر رجب سنة إحدى و ثلاثين و مائة على الصلاة. و قال صاحب «البغية»: ولّاه مروان بن محمد على الصلاة فقدم يوم الأربعاء لست بقين من رجب سنة إحدى و ثلاثين و مائة فجعل على شرطته ابنه عبد اللّه و كان ليّنا محبّبا للناس.

و قال غيره: و لما دخل مصر أقام بها مدّة يسيرة و خرج الى الاسكندرية و استخلف على صلاة مصر أبا الجراح الحرشى، ثم عاد بعد مدّة و لم تطل مدّته،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۵

و توفى يوم السبت ثانى عشر جمادى الأولى سنة اثنتين و ثلاثين و مائة و استخلف ابنه الوليد بن المغيرة على إمرة مصر و صلاتها فلم يقرّه الخليفة مروان الحمار على ذلك، و ولّى مصر عبد الملك بن مروان بن موسى، فكانت ولاية المغيرة على مصر عشرة أشهر إلا أياما ثلاثة.

و قال صاحب «البغية»: و توفّى يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى و ذكر السنة، فكانت ولايته عشرة أشهر، فأجمع الجمع على أن يولّوا عبد اللّه بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج على الشرطة الى أن يأتى أمر مروان ابن محمد، و انصرف الوليد للنصف من جمادى الآخرة، و كان المغيرة ديّنا فاضلا عدلا محبّبا للرعيّة، و هو أجلّ أمراء بنى أميّة و ولى لهم الأعمال الجليلة، و حضر وقعة شهرزور، لما وجّه قحطبة أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراسانى و مالك بن طريف الخراشى فى أربعة آلاف الى شهرزور و بها عثمان بن سفيان، و المغيرة هذا على مقدّمة عبد اللّه بن مروان بن محمد فنزلوا على فرسخين من شهرزور و قاتلوا عثمان و انهزم عثمان و قتل، و قام أبو عون ببلاد الموصل، و قيل إن عثمان لم يقتل و هرب هو و المغيرة هذا الى عبد اللّه بن مروان و غنم أبو عون عسكره و قتل من أصحابه مقتلة عظيمة، ثم سير خطبة العساكر الى أبى عون فاجتمع معه ثلاثون ألفا، و لما بلغ مروان الخليفة خبر أبى عون سار بنفسه بجميع عساكر ممالكه و أقبل نحو أبى عون فوقع له حروب و أمور يطول شرحها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۶

ذكر ولاية عبد الملك بن مروان على مصر

هو عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير اللّخمى أمير مصر، ولّاه الخليفة مروان بن محمد بن مروان المعروف بالحمار على الصلاة و الخراج معا بعد موت المغيرة ابن عبيد اللّه الفزارىّ، و كان عبد الملك هذا قد ولى خراج مصر قبل أن يلى الإمرة و الصلاة، فلما مات المغيرة جمع له مروان الخراج و الصلاة، و ذلك فى جمادى الآخرة سنة اثنتين و ثلاثين و مائه، و لما تمّ أمره جعل أخاه معاوية على الشّرطة، ثم ولى عكرمة بن عبد اللّه الخولانىّ، ثم إن عبد الملك المذكور أمر باتّخاذ المنابر فى الجوامع و لم يكن قبل ذلك منبر، و إنما كانت ولاة مصر يخطبون على العصى إلى جانب القبلة، ثم خرج عليه قبط مصر بعد ذلك و اجتمعوا على قتاله فحاربهم و قتل كثيرا منهم و انهزم من بقى [منهم] ثم خالف بعد ذلك فى أيامه عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان على مروان الحمار و دعا لنفسه و اجتمع عليه جمع من قيس فى الحوف الشرقى من أعمال مصر، فبعث اليهم عبد الملك هذا [بجيش] فلم تقع بينهم حرب، و بينما هم فى ذلك إذ قدم عليهم الخليفة مروان الحمار من أرض الشام و قد انهزم من أبى مسلم الخراسانى صاحب دعوة بنى العباس فى يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوّال، و قيل لثلاث بقين من شوّال سنة اثنتين و ثلاثين و مائة. و لما دخل مروان مصر وجد أهل الحوف الشرقى من بلاد مصر و أهل الاسكندرية [و الصعيد] قد صاروا مسوّدة- أعنى صاروا من أعوان بنى العباس و لبسوا السواد- فعزم مروان الحمار على تعدية النيل فعدّى الى الجيزة و أحرق الجسرين و الدار المذهّبة و بعث بجيش الى الاسكندرية

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۷

فاقتتلوا مع من كان بها بالكريون، و بينما هو فى ذلك خالفت القبط، فبعث اليهم مروان من قاتلهم أيضا و هزمهم، ثم بعث جيشا الى الصعيد، و بينما هو فى ذلك قدم صالح بن على بن عبد اللّه بن عباس فى طلب مروان و مع صالح أبو عون عبد الملك بن يزيد، و كان قدوم عبد الملك الى الديار المصرية فى يوم الثلاثاء النصف من ذى الحجة سنة اثنتين و ثلاثين و مائة المذكورة فلم يثبت مروان الحمار لصالح المذكور، و توجّه الى بوصير بالجيزة و معه عبد الملك صاحب مصر و غيره من حواشيه و أمرائه و أقار به من بنى أمية، فلحقه صالح بها فالتقاه مروان الحمار بمن معه و قاتله حتى انهزم و قتل فى يوم الجمعة لتسع بقين من ذى الحجة، ثم عاد صالح بن على المذكور و دخل الفسطاط فى يوم الأحد لثمان خلون من المحرّم سنة ثلاث و ثلاثين و مائة، و بعث برأس مروان الى الشام و العراق و زالت دولة بنى أمية.

و أما عبد الملك بن مروان أمير مصر صاحب الترجمة فانه كان لما ولى مصر أحسن السيرة و لم يفحش فى حق بنى العباس فأمّنه صالح و أمّن أخاه معاوية و عفا عنهما، ثم قتل حوثرة بن سهيل و حسّان بن عتاهية اللذين كانا كل منهما ولى على مصر قبل عبد الملك، و عبد الملك هذا هو آخر أمير ولى مصر من قبل بنى أمية و زالت فى هذه السنة بقتل مروان الحمار دولة بنى أمية، و بويع السفّاح عبد اللّه بن محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس بالخلافة، و هو أوّل خلفاء بنى العباس، و لا بد من ذكر كيفية انفصال دولة بنى أمية و ابتداء دولة بنى العباس فى هذه الترجمة فإن ذلك من أعظم ما يذكر من الوقائع و إن كان ذلك غير ما نحن فيه من شرط هذا الكتاب فنذكره على سبيل الاستطراد فى ترجمة عبد الملك أمير مصر فانه آخر من ولى من أمراء بنى أميّة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۸

ذكر بيعة السفّاح بالخلافة

لما كان المحرّم سنة اثنتين و ثلاثين و مائة بلغ ابن هبيرة أمير العراقين لبنى أمية أن قحطبة أحد دعاة بنى العباس توجّه نحو الموصل يريد الكوفة فرحل ابن هبيرة بأصحابه نحو الكوفة، و سار كل منهما حتى تواقعا، فجاءت قحطبة طعنة فوقع فى الفرات فهلك و لم يعلم به قومه، و انهزم أيضا أصحاب ابن هبيرة و غرق خلق منهم فى المخايض.

و قال بيهس بن حبيب: [قلت] لجمع الناس بعد أن جاوزنا الفرات: من أراد الشام فهلمّ فذهب معه جمع من الناس، و نادى آخر: من أراد الجزيرة، فتبعه خلق، و نادى آخر: من أراد الكوفة، فذهب كل جند الى ناحية، فقلت: من أراد واسط فهلم فاجتمعنا على ابن هبيرة و سرنا حتى دخلنا واسط يوم عاشوراء و أصبح و أصبحوا المسوّدة و قد فقدوا قائدهم قحطبة، ثم استخرجوه من الماء و أمّروا عليهم ابنه الحسن فقصد بهم الكوفة فدخلوها يوم عاشوراء أيضا و هرب متولّيها من قبل بنى أميّة و هو زياد بن صالح، فاستعمل ابن قحطبة على الكوفة أبا سلمة الخلّال ثم قصد واسط فنزلها و خندق على جيشه، فعبّا ابن هبيرة عساكره فالتقوا فانهزم عسكر ابن هبيرة و تحصّنوا بواسط، و قتل فى الوقعة حكيم بن المسيّب الجدلى، ثم وثب أبو مسلم صاحب دعوة بنى العباس على ابن الكرمانى فقتله بنيسابور و جلس فى دست الملك و خطب للسفّاح و أخذ فى أسباب بيعة السفّاح بالخلافة، فلما كان يوم ثالث شهر ربيع الأوّل من سنة اثنتين و ثلاثين و مائة بويع بالخلافة فى دار مولاهم الوليد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۹

ابن سعد و لم ينتطح فى ذلك عنزان، و بلغ ذلك خليفة الوقت مروان بن محمد بن مروان الأموى المعروف بالحمار، فسار من الشام فى مائة الف حتى نزل الرأس دون الموصل، فجهز السفاح عمّه عبد اللّه بن على فى جيش فالتقى الجمعان على كشاف فى جمادى الآخرة فانكسر مروان و تقهقر الى الجزيرة و قطع وراءه الجسر و قصد الشام ليتقوى و يلتقى ثانيا بالمسوّدة، و دخل عبد اللّه بن على العبّاسى الجزيرة فاستعمل عليها موسى بن كعب التميمى ثم طلب الشام مجدّا، و أمدّه السفّاح بعمّه الآخر صالح ابن على، فسار عبد اللّه حتى نزل دمشق فعجز مروان عن ملاقاته، و فرّ الى غزّة فحوصرت دمشق مدّة ثم أخذت فى شهر رمضان، و قتل خلق من بنى أميّة و جندهم لا يدخل تحت حصر، فلما بلغ مروان ذلك هرب الى مصر ثم قتل فى آخر السنة ببوصير حسبما ذكرناه، و هرب ابناه عبد اللّه و عبيد اللّه الى النّوبة، و وقع ما ذكرناه فى ترجمة عبد الملك أمير مصر من قتل حوثرة و حسّان و غير ذلك.

قال محمد بن جرير الطبرى: كان بدء أمر بنى العباس أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فيما ذكر عنه، أعلم العباس عمّه أن الخلافة تؤول الى ولده، فلم يزل ولده يتوقّعون ذلك. و عن رشيد بن كريب أن أبا هاشم عبد اللّه بن محمد بن الحنفيّة خرج الى الشام فلقى محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس فقال: يا بن عمّ، إن عندى علما أريد أن أبديه اليك فلا تطلعنّ عليه أحدا، إن هذا الأمر الذى يرتجيه الناس فيكم، قال: قد علمته فلا يسمعنّه منك أحد.

و روى المدائنى عن جماعة أن الامام محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس قال:

لنا ثلاثة أوقات: موت يزيد بن معاوية، و رأس المائة، و فتق بإفريقيّة، فعند

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲۰

ذلك يدعو لنا دعاة ثم تقبل أنصارنا من المشرق حتى ترد خيولهم المغرب؛ فلما قتل يزيد بن أبى مسلم بإفريقيّة و نقضت البربر، بعث محمد الإمام رجلا الى خراسان و أمره أن يدعو الى الرّضى من آل محمد صلى اللّه عليه و سلم و لا يسمّى أحدا ثم توجّه أبو مسلم و غيره و كتب الى النّقباء فقبلوا كتبه، ثم وقع فى يد مروان الحمار كتاب إبراهيم بن محمد الإمام الى أبى مسلم، جواب كتاب يأمره بقتل كل من يتكلّم بالعربيّة بخراسان فقبض مروان على ابراهيم، و قد كان مروان وصف له صفة السّفّاح التى كان يجدها فى الكتب، فلما جىء بابراهيم قال: ليست هذه الصفة التى وجدت، ثم ردّهم و شرع فى طلب الموصوف له، فإذا بالسفاح و إخوته و عمومته قد هربوا الى العراق، فيقال: إن ابراهيم كان قد نعى اليهم نفسه و أمرهم بالهرب فساروا حتى نزلوا فى الحميمة فى أرض البلقاء، ثم قدموا الكوفة فأنزلهم أبو سلمة الخلّال دار الوليد بن سعد، فبلغ الخبر أبا الجهم، فاجتمع بموسى بن كعب و عبد الحميد بن ربعىّ و سلمة بن محمد و ابراهيم بن سلمة و عبد اللّه الطائى و اسحاق بن ابراهيم و شراحيل [و عبد اللّه] بن بسّام و جماعة من كبار شيعتهم، فدخلوا على آل العباس فقالوا: أيكم عبد اللّه بن محمد ابن الحارثيّة؟ فأشاروا الى السفاح فسلّموا عليه بالخلافة، ثم خرج السفاح يوم جمعة على برذون أبلق فصلّى بالناس بالكوفة ثم عاد السفاح الى المنبر ثانيا و قال: الحمد للّه الذى اصطفى الاسلام لنفسه فشرّفه، و كرّمه و عظّمه، و اختاره لنا، و أيّده بنا، و جعلنا أهله و كهفه و حصنه، و القوّام به و الذابّين عنه. ثم ذكر قرابتهم فى آيات من القرآن الشريف الى أن قال: فلما قبض اللّه نبيّه قام بالأمر أصحابه الى أن وتب بنو حرب و بنو مروان، فجاروا و استأثروا فأملى اللّه لهم حينا حتى آسفوه فانتقم منهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲۱

بأيدينا، و ردّ علينا حقّنا، ليمنّ بنا على الذين استضعفوا فى الأرض، و ختم بنا كما افتتح بنا؛ و ما توفيقنا أهل البيت إلا بالله. يأهل الكوفة، أنتم محل محبّتنا، و منزل مودّتنا؛ أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك و لم يثنكم عنه تحامل أهل الجور، فأنتم أسعد الناس بنا، و أكرمهم علينا، و قد زدت فى أعطياتكم مائة مائة فاستعدوا فأنا السفاح المبيح و الثائر المبير.

و كان السفاح موعوكا فجلس، فقام عمّه داود بن علىّ فخطب و أبلغ و قال: إن أمير المؤمنين نصره اللّه نصرا عزيزا إنما عاد الى المنبر لأنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، و إنما قطعه عن استتمام الكلام شدّة الوعك فادعوا له بالعافية، فقد أبدلكم اللّه بمروان عدوّ الرحمن و خليفة الشيطان المتّبع لسلفه المفسدين فى الأرض الشابّ المتكهّل و سمّاه، فضجّ الناس له بالدعاء.

و أما ابراهيم بن محمد (أعنى أخا السفاح) الذى وقع له مع مروان ما ذكرناه، فان مروان قتله بعد ذلك غيلة، و قيل: بل مات فى السجن بحرّان بالطاعون، انتهى ما أوردناه من انفصال الدولتين

*** السنة الأولى من ولاية عبد الملك بن مروان بن موسى على مصر و هى سنة اثنتين و ثلاثين و مائة- فيها كانت وقائع كثيرة بالعراق و غيره قتل فيها خلائق، ففى المحرّم كانت الوقعة بين قحطبة و ابن هبيرة حسبما تقدّم ذكره فى أوّل بيعة السفّاح.

و فيها فى ثالث شهر ربيع الأوّل بويع السفاح عبد اللّه بن محمد بن على بن عبد اللّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲۲

ابن عباس بالخلافة، و قد تقدّم أيضا. و فيها كانت قتلة مروان الحمار، و قد تقدّم ذكره أيضا، و هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة بن عبد شمس آخر خلفاء بنى أميّة، و كنيته أبو عبد الملك، القائم بحق اللّه، و أمّه أمّ ولد كرديّة، كان يعرف بالحمار و بالجعدىّ، و تسميته بالجعدىّ نسبة لمؤدّبه جعد بن درهم، و بالحمار، يقال فلان أصبر من حمار فى الحروب، و لهذا لقّب بالحمار، فانه كان لا يفترّ عن محاربة الخوارج، و قيل: سمّى بالحمار لأن العرب تسمّى كل مائة سنة حمارا، فلما قارب ملك بنى أمية مائة سنة لقبوا مروان هذا بالحمار، و أخذوا ذلك من قوله تعالى فى موت حمار العزيز: وَ انْظُرْ إِلى حِمارِكَ ... الآية و كان مولد

مروان الحمار سنة اثنتين و سبعين بالجزيرة و أبوه متولّ عليها من قبل ابن عمه الخليفة عبد الملك بن مروان، فنشأ مروان فى دولة أقار به و ولى الولايات الجليلة، و افتتح عدّة فتوحات حتى وثب على الأمر بعد ابراهيم بن الوليد، و بويع بالخلافة سنة سبع و عشرين و مائة، فلم يتهنّ بالخلافة لكثرة الحروب، و ظهرت دعوة بنى العباس و كان من أمرها ما كان و انقرض بموته دولة بنى أميّة. و فيها توفّى خلائق يطول الشرح فى ذكرهم ممّن قتل فى الحروب و أيضا من أعوان بنى أميّة و غيرهم. و فيها توفّى ابراهيم بن محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس أخو الخليفة السفاح لأبيه، و قد تقدّم ذكر واقعته مع مروان الحمار فى أمر الكتاب، و أمه أم ولد بربريّة اسمها أسلم، و كان أبوه محمد أوصى اليه بالعهد فانه كان بويع سرا فأدركته المنيّة، و كان شيعتهم يكاتبونه من خراسان حتى وقع له مع مروان ما حكيناه، و حبسه الى أن مات فى هذه السنة و قيل فى الماضية، و بعد موته انضمت شيعته على عبد اللّه السفّاح. و فيها قتل سعيد بن عبد الملك بن مروان أبو محمد، و كان يعرف بسعيد الخير، قتل بسيف عبد اللّه بن علىّ العباسى عمّ السفّاح، و كان ديّنا خيّرا ولى لأقار به خلفاء بنى أمية

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۲۳

أعمالا- جليلة. و فيها توفّى عبد اللّه بن عمر بن عبد العزيز بن مروان كان شجاعا ديّنا كريما، و كان ولى العراق و حفر بالبصرة نهرا يعرف بنهر ابن عمر. و فيها توفّى محمد ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أبو عبد الملك الأنصارى، ولى قضاء المدينة.

و فيها توفّى محمد بن عبد الملك أخو سعيد لأبويه، تقدّمت ترجمته فى ولايته على مصر سنة خمس و مائة. و فيها توفى يزيد بن عمر بن هبيرة بن معاوية الأمير أبو خالد، و قيل أبو عمرو الفزارىّ، ولى الأعمال الجليلة و غزا القسطنطينية مع مسلمة بن عبد الملك و جمع له بين العراقين سنة ثلاث و مائة و كان خطيبا شاعرا شجاعا، و كان السفاح أمّنه فبعث إليه أبو مسلم الخراسانى و حرّضه على قتله فأمر بقتله فقتل هو و ابنه داود و كاتبه عمر بن أيوب و عدّة من مواليه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاثة أذرع و أربعة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و إصبع واحد.

ذكر ولاية صالح بن علىّ العباسىّ الأولى على مصر

هو صالح بن على بن عبد اللّه بن عباس بن عبد المطلب الهاشمىّ العبّاسىّ، أوّل من ولى مصر من قبل خلفاء بنى العباس، مولده بالسّواد و قيل بالشّراة من أرض البلقاء سنة ست و تسعين من الهجرة، ولى مصر من قبل ابن أخيه أمير المؤمنين عبد اللّه السفّاح بعد قتل مروان الحمار فى أوّل محرّم سنة ثلاث و ثلاثين و مائة و قد تقدّم ذكر قتاله مع مروان فى ترجمة عبد الملك بن مروان بن موسى أمير مصر و لما ولى صالح مصر بعث ببيعة أهل مصر لأمير المؤمنين عبد اللّه السفّاح، ثم أخذ صالح فى إصلاح أمر مصر و قبض على جمع كثير من المصريين الأمويّين، منهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۲۴

عبد الملك بن مروان بن موسى أمير مصر و أخوه، و قتل كثيرا من شيعة بنى أميّة و حمل طائفة منهم إلى العراق و قتلوا بقلنسوة من أرض فلسطين، و أمر للناس بأعطياتهم للمقاتلة و العيال، و قسّم الصدقات على الأيتام و المساكين و أبناء السبيل، و زاد فى المسجد زيادة هائلة، و جعل على شرطته ابن هانئ الكندىّ، ثم ورد عليه بعد مدّة طويلة كتاب السفاح بإمارته على فلسطين و الاستخلاف على مصر، فاستخلف على مصر أبا عون عبد الملك، و خرج منها فى شعبان سنة ثلاث و ثلاثين و مائة، و سار معه عبد الملك بن مروان بن موسى، الذى كان أمير مصر، مكرما و عدّة من أهل مصر- تأتى بقية ترجمة صالح بن على هذا فى ولايته الثانية على مصر إن شاء اللّه تعالى- فكانت ولاية صالح على مصر فى هذه المرّة سبعة أشهر و أياما.

*** السنة التى حكم فيها صالح على مصر و هى سنة ثلاث و ثلاثين و مائة- فيها استعمل الخليفة السفّاح على البصرة عمّه سليمان بن على، و استعمل على مكة خاله زياد بن عبيد اللّه، و على اليمن ابن خاله محمد بن زياد بن عبيد اللّه. و فيها وجّه السفاح على إفريقية

محمد بن الأشعث. و فيها خرج ببخارا شريك بن شيخ المهرىّ، و كان قد نقم على أبى مسلم الخراسانى تجبّره فجهّز إليه أبو مسلم جيشا فحاربوه و قتلوه.

و فيها خرج طاغية الروم قسطنطين بجيوشه و أخذ ملطية و هدم السور و الجامع.

و فيها قتل عبد اللّه بن على عمّ السفاح الخليفة خلقا كثيرا من قوّاد بنى أمية. و فيها توفّى داود بن على بن عبد اللّه بن العباس عمّ [الخليفة] السفاح، و كان ولى المدينة و مكّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۲۵

و حجّ بالناس فى سنة اثنتين و ثلاثين و مائة، و هو أوّل أمير حجّ بالناس من بنى العباس، و قتل داود هذا أيضا فى ولايته خلقا من بنى أميّة و أعوانهم، ثم مات بعد أشهر، و استخلف حين احتضر على عمله ولده موسى، فاستعمل السفّاح على مكة خاله زيادا المقدّم ذكره، و موسى بن داود على إمرة المدينة لا غير. و فيها قتل عبد الرحمن ابن يزيد بن المهلب بن أبى صفرة. و فيها قتل عبد اللّه بن على عمّ السفاح ثعلبة و عبد الجبار ابنى أبى سلمة بن عبد الرحمن.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و ثمانية أصابع، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و تسعة أصابع.

ذكر ولاية أبى عون الأولى على مصر

هو أبو عون، و اسمه عبد اللّه و قيل عبد الملك بن يزيد الأمير أبو عون، أصله من أهل جرجان ولى صلاة مصر و خراجها باستخلاف صالح بن علىّ بن عبد اللّه بن العباس له فى مستهلّ شعبان سنة ثلاث و ثلاثين و مائة، و استمرّ أبو عون بمصر إلى أن وقع الوباء بها فخرج منها، و أستخلف على مصر صاحب شرطته عكرمة بن عبد اللّه ابن عمرو بن قحزم (و قحزم بفتح القاف و سكون الحاء المهملة و فتح الزاى و بعدها ميم) ثم عاد أبو عون إلى مصر بعد الوباء و أقام بها إلى أن خرج منها ثانيا إلى دمياط فى سنة خمس و ثلاثين و مائة، و استخلف على مصر عكرمة أيضا و جعل على الخراج عطاء بن شرحبيل. و فى هذه السنة خرج القبط عليه بسمنود بالوجه البحرى من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۲۶

أعمال مصر فبعث إليهم أبو عون جيشا فحاربوهم و قتلوهم، و فى أيام أبى عون هذا سكنت أمراء مصر العسكر.

و سببه أنه لما قدم صالح بن على العبّاسى و أبو عون هذا بجموعهم إلى مصر فى طلب مروان الحمار نزلت عساكرهما الصحراء جنب جبل يشكر الذى هو الآن جامع أحمد بن طولون و كان فضاء، فلما رأى أبو عون ذلك أمر أصحابه بالبناء فيه فبنوا و بنى هو به أيضا دار الإمارة و مسجد عوف بجامع العسكر، و عملت الشرطة أيضا فى العسكر و قيل لها الشرطة العليا، و إلى جانبها بنى الأمير أحمد بن طولون جامعه الموجود الآن، و سمى من يومئذ ذلك الفضاء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۲۷

العسكر و صار منزلا لأمراء مصر من بعد أبى عون و صار العسكر مدينة ذات أسواق و دور عظيمة، و فيه أيضا بنى الأمير أحمد بن طولون بيمارستانه، و كان البيمارستان المذكور بالقرب من بركة قارون التى صارت الآن كيمانا و بعضها بركة على يسار من مشى من حدرة ابن قميحة يريد قنطرة السدّ، و على هذه البركة بنى كافور الإخشيدى دارا صرف عليها مائة ألف دينار و سكنها، و زادت العمائر فى العسكر إلى أن ولى أحمد بن طولون و قدم إلى مصر من العراق، فنزل على عادة الأمراء بدار الإمارة بالعسكر، فما زال بها أحمد بن طولون الى أن بنى القصر و الميدان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۲۸

بالقطائع و تحوّل اليها، و دام بها الى أن مات و ولى ابنه خمارويه بن أحمد بن طولون و جعل دار الإمارة بالعسكر ديوان الخراج، يأتى

ذكر ذلك فى ترجمتهما إن شاء اللّه تعالى.

فلما زالت دولة بنى طولون و ولى محمد بن سليمان الكاتب الآتى ذكره سكن بدار فى العسكر عند المصلّى القديمة حيث الكوم المطلّ الآن على قبر القاضى بكّار بن قتيبة، و ما زالت الأمراء بعد ذلك تنزل بالعسكر الى أن قدم القائد جوهر المعزّى من المغرب الى مصر و بنى القاهرة المعزّية فى سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة. انتهى أمر العسكر و سبب بنيانه باختصار، و هذا التعريف بالعسكر مقدّمة لما يأتى بعد ذلك من سكن أمراء مصر به.

و أما أبو عون فانه لما أرسل و حارب القبط و قتلهم بسمنود عاد الى مصر، و بينما هو كذلك فى أموره ورد عليه كتاب الخليفة أبى العباس عبد اللّه السفّاح بعزله و ولاية صالح بن على العباسى ثانيا على مصر على الصلاة و الخراج، و مع ذلك ولاية فلسطين أيضا و الغرب، ثم وردت الجيوش من قبل السفّاح مع صالح بن على لغزو المغرب، و كانت ولاية أبى عون على مصر فى هذه المرة الأولى ثلاث سنين إلا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲۹

أربعة أشهر، و يأتى بقية ترجمة أبى عون هذا فى ولايته الثانية على مصر إن شاء اللّه تعالى.

*** السنة الأولى من ولاية أبى عون على مصر و هى سنة أربع و ثلاثين و مائة- على أنه حكم مصر أشهرا من سنة ثلاث و ثلاثين و مائة التى ذكرناها فى حوادث صالح بن على. ا ه. فيها (أعنى سنة أربع و ثلاثين و مائة) تحوّل الخليفة السفّاح من الحيرة و نزل الأنبار و سكنها. و حجّ بالناس فى هذه السنة عيسى بن موسى العبّاسى. و فيها كانت حروب كثيرة من جهة ملك الصين و غيره كما هى عوائد أوائل الدول، و السفّاح مشغول فى تمهيد الممالك فى هذه السنة و الخالية.

و أما عمّال السفاح فى هذه السنة: على الشأم عبد اللّه بن على عمّ السفاح، و على مصر أبو عون صاحب الترجمة، و على الجزيرة و أذربيجان أخو الخليفة السفاح، و على ديوان الأموال خالد بن برمك، و على خراسان أبو مسلم الخراسانىّ، و على البصرة سليمان بن على عمّ السفاح. و فيها توفى يزيد بن يزيد بن جابر الأزدىّ، كان من الزهاد الخائفين البكّائين، أثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل رضى اللّه عنه. و فيها توفّى يونس بن عبيد أبو عبد اللّه مولى عبد القيس من الطبقة الرابعة من تابعى أهل البصرة، كان يحدّث ثم يقول: أستغفر اللّه ثلاثا. و فيها كان الطاعون بالرّىّ و أعمالها و مات فيه خلق كثير.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و ستة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و عشرة أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۰

*** السنة الثانية من ولاية أبى عون على مصر و هى سنة خمس و ثلاثين و مائة- فيها خلع زياد طاعة الخليفة السفاح بما وراء النهر فتهيأ لحربه أبو مسلم الخراسانى، و بعث نصر بن راشد الى ترمذ ليحصّنها، فقاتلته طائفة من الخوارج، و سار أبو مسلم و حارب زياد بن صالح المذكور و قبض عليه.

و ذكر الذهبى هذه الواقعة فى سنة خمس و ثلاثين و مائة. و فيها أيضا كانت حركة ملك الصين، و كان زياد بن صالح المذكور متولّى سمرقند فتهيأ لقتاله و كتب الى أبى مسلم الخراسانى بذلك، و وقع لهم معه أمور و حروب الى أن انهزم ملك الصين، كل ذلك قبل خروج زياد بن صالح عن الطاعة. و فيها توفّيت رابعة العدويّة البصرية الزاهدة العابدة، و كانت مولاة لآل عتيك، و كان سفيان الثورى و أقرانه يتأدّبون معها، و كانت رابعة تصلّى الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت فى مصلّاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر ثم تثب الى الصلاة و تقول: يا نفس كم تنامين، و الى كم لا تقومين؛ يوشك أن تنامين نومة لا تقومين منها إلا بصرخة.

و فيها قتل سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموىّ، و كان سليمان مباينا لمروان الحمار و التجأ لبنى العباس فأمّنه السفّاح و صار يجالسه، فأرسل اليه أبو مسلم الخراسانى يقول: قد بقى من الشجرة الملعونة فرع، فى كلام طويل، فلم يلتفت السفاح الى كلامه فدسّ أبو مسلم الى سديف الشاعر مالا و قال له: قل فى هذا المعنى شعرا، فأنشد سديف المذكور السفّاح و أشار الى سليمان:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۱

لا يغرّنك ما ترى من رجال إن تحت الضلوع داء دويا

فضع السيف و ارفع السّوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويّا

فكان ذلك سبب قتله فضرب السفّاح عنقه و عنق ولديه و صلبهم. و فيها توفّى عطاء الخراسانى البجلىّ أبو عثمان بن أبى مسلم ميسرة مولى المهلّب بن أبى صفرة من الطبقة الثانية من تابعى أهل الشام، كان عالما زاهدا فقيه أهل خراسان.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و اثنا عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و ثلاثة أصابع.

ذكر ولاية صالح بن علىّ العباسىّ ثانيا على مصر

وليها ثانيا من قبل السفاح فقدم مصر بجيوش كثيرة من فلسطين لغزو بلاد المغرب، و كان قدومه الى مصر فى يوم خامس شهر ربيع الآخر سنة ست و ثلاثين و مائة، و لما دخل مصر أقرّ عكرمة على شرطته بالفسطاط و جعل على شرطته بالعسكر يزيد بن هانىء الكندى، و ولّى أبا عون المعزول عن إمرة مصر جيوش المغرب و قدّمه صالح المذكور أمامه الى نحو إفريقيّة، و كان خروج أبى عون بجيوشه الى نحو المغرب فى جمادى الآخرة من سنة ست و ثلاثين و جهّزت المراكب من اسكندرية الى برقة، و بينما هم فى ذلك قدم الخبر بموت أمير المؤمنين عبد اللّه السفاح فى ذى الحجة و استخلاف أبى جعفر المنصور، فأقرّ أبو جعفر المنصور عمّه صالح بن على هذا على عمل مصر على عادته و كتب الى أبى عون بالرجوع عن غزو إفريقية، فأرسل صالح الى أبى عون بالخبر، فأقام أبو عون ببرقة أحد عشر شهرا ثم عاد الى مصر بجيشه، فجهّزه صالح هذا الى فلسطين لحرب الخوارج بها، فسار أبو عون و حاربهم و هزمهم و قتل منهم مقتلة عظيمة، و سيّر الى مصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۲

منهم ثلاثة آلاف رأس، ثم خرج صالح بن على بعد ذلك من مصر الى فلسطين و استخلف ابنه الفضل على صلاة مصر، فسافر حتى بلغ بلبيس ثم رجع الى مصر و أقام بها الى أن خرج منها ثانيا لأربع خلون من شهر رمضان سنة سبع و ثلاثين و مائة فلقى أبا عون فأمّره على صلاة مصر و خراجها معا و مضى إلى فلسطين، و دخل أبو عون الفسطاط لأربع بقين من شهر رمضان من سنة سبع و ثلاثين و مائة و سكن العسكر و دام على إمرة مصر، و استمرّ صالح بن على بفلسطين الى أن أمره المنصور بالتوجّه لغزو الروم فى سنة ثمان و ثلاثين و مائة فخرج صالح حتى نزل مرج دابق، و أقبلت جيوش الروم مع ملكهم قسطنطين فى مائة ألف، فلقيه صالح هذا بالمسلمين و نصره اللّه تعالى على الروم فقتل منهم و سبى و غنم، ثم حجّ بالناس فى سنة إحدى و أربعين و مائة ثم غزا الروم و الصائفة غير مرة، و هو الذى بنى حصن دابق و مات و هو عامل حمص بقنّسرين، و قيل مات بعين أباغ، و قد بلغ ثمانيا و خمسين سنة، و استخلف ابنه الفضل على حمص فأقرّه الخليفة أبو جعفر المنصور على ذلك، و كان صالح صالحا فاضلا، و له رواية أسند عن أبيه، و روى عنه ابناه اسماعيل و عبد الملك، و هو عمّ السفاح و المنصور.

*** السنة الأولى من ولاية صالح بن على العبّاسىّ الثانية على مصر و هى سنة ست و ثلاثين و مائة- على أن أبا عون حكم منها أشهرا على مصر. فيها بايع أهل دمشق هاشم بن يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان لمّا بلغهم موت السفّاح. و حكى الذهبى ذلك فى سنة سبع و ثلاثين و مائة ا ه، فتوجّه صالح ابن على من فلسطين بالجيوش الى الشام، فلما أظلّهم صالح بالجيوش و هربوا ملك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۳

صالح الشام بعد أمور صدرت. و فيها دعا عبد اللّه بن على العباسى عم السفاح لنفسه و قال: إن السفاح قال: من انتدب لمروان الحمار فهو وليّ عهدى من بعدى، و على هذا خرجت، فلما بلغ الخليفة أبا جعفر المنصور ذلك قال لأبى مسلم الخراسانى: فإنما هو أنا و

أنت؛ فسار أبو مسلم نحو عبد اللّه بن على المذكور فوقع له معه وقعة هائلة كاد أن ينهزم فيها أبو مسلم، ثم كان النصر له و انهزم عبد اللّه ابن على، فلما بلغ المنصور ذلك بعث لأبى مسلم الخراسانى بولاية مصر و الشأم معا فأظهر أبو مسلم الغضب و قال: يولّينى مصر و الشام و أنا لى خراسان! و عزم على الشر، و قيل: بل شتم المنصور لما جاءه من عنده من يحصى الغنائم، و أجمع على الخلاف ثم طلب خراسان، و خرج المنصور الى المدائن و كتب الى أبى مسلم ليقدم عليه فى طريقه، فردّ عليه الجواب: إنه لم يبق لأمير المؤمنين عدوّ، و قد كنا نروى عن ملوك آل ساسان أنه أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدّهماء؛ فنحن نافرون من قربك، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت، فإن أرضاك ذلك فإنّا أحسن عبيدك، و إن أبيت نقضت ما أبرمت من عهدك. فردّ عليه المنصور الجواب يطمّنه مع جرير بن يزيد البجلى، و كان واحد وقته فخدعه.

و أما عبد اللّه بن على و أخوه عبد الصمد، فقصد عبد الصمد الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى فأمّنه المنصور، و توجّه عبد اللّه بن على الى أخيه سليمان بن على متولّى البصرة فاختفى عنده، و الصحيح أن هذه الفتنة كان ابتداؤها فى أواخر هذه السنة غير أن الوقعة و الهرب كانا فى سنة سبع و ثلاثين و مائة. و فيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين أبو العباس عبد اللّه السفاح بن محمد بن على بن عبد اللّه بن العباس الهاشمىّ العبّاسى، أوّل خلفاء بنى العباس، مات فى ذى الحجة و له ثلاث و ثلاثون

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۳۴

سنة، و كانت خلافته أربع سنين، فانه ولى فى سنة اثنتين و ثلاثين و مائة قبل قتل مروان الحمار، و به كان انقراض دولة بنى أمية، و كان أبوه محمد بن على، بويع بالخلافة قبل موته بسنتين فلم يتمّ أمره، و عهد عند موته لابنه السفاح هذا قبل أبى جعفر المنصور، و كان أسنّ من السّفاح و لما مات [السفّاح] هذا، ولى أخوه أبو جعفر المنصور الخلافة من بعده.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و ثمانية أصابع، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و ثمانية أصابع.

*** السنة الثانية من ولاية صالح بن على العباسى على مصر و هى سنة سبع و ثلاثين و مائة- فيها قدم الخليفة أبو جعفر المنصور الكوفة و تأخّر بعده أبو مسلم الخراسانى بأيام؛ و كانا تلك السنة معا فى الحج فأتاهما الخبر بموت السفّاح و بخلافة المنصور. و قد ذكرنا خروج عبد اللّه بن على العباسىّ على أبى جعفر المنصور فى العام الماضى و هو وهم، و إن كان خروجه كان فى آخر السنة الماضية فما واقعة أبو مسلم إلا فى هذه السنة. ا ه. و فيها حجّ بالناس اسماعيل بن على و هو أمير الموصل، و كان أمير المدينة فى هذه السنة زياد بن على، و أمير مكة العباس بن عبد اللّه، و مات فى آخر السنة، فأضاف أبو جعفر المنصور مكة الى زياد، و كان على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۳۵

الكوفة عيسى بن موسى العباسى، و على البصرة سلمان بن على عمّ المنصور، و على خراسان أبو داود، و على مصر صالح صاحب الترجمة، و على الجزيرة حميد بن قحطبة.

و فيها قتل الخليفة أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراسانى و ولّى أبا داود خالد بن ابراهيم خراسان عوضه، و اسم أبى مسلم عبد الرحمن و هو صاحب دعوة بنى العباس و أحد من قام بأمرهم حتى تمّ له ذلك و وطّأ لهم البلاد و قتل العباد و قصّة قتلته تطول. و كان أبو مسلم شابا جبّارا مقداما شجاعا عارفا صاحب رأى و تدبير و دهاء و مكر و عقل و حذق، قيل إنه كان يجامع فى السنة مرة واحدة مع كثرة جواريه، فقيل له فى ذلك، فقال: يكفى الشخص أن يتجنّن فى السنة مرة. و يحكى أن أبا جعفر المنصور لما قتله أدرجه فى بساط و طلب جعفر بن حنظلة، فقال أبو جعفر المنصور: ما تقول فى أمر أبى مسلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل، فقال المنصور: وفّقك اللّه‌ها هو فى البساط، فلما نظر اليه قتيلا قال: يا أمير المؤمنين، هذا أوّل خلافتك، فأنشد المنصور:

فألقت عصاها و استقرّ بها النوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر

ثم أنشد المنصور ثانيا و بين يديه وجوه دولته و أعوان مملكته و أعيانها و أقاربه:

زعمت أنّ الدّين لا يقتضى فاستوف بالكيل أبا مجرم

اشرب بكأس كنت تسقى بها أمرّ فى الحلق من العلقم

و اختلف فى اسم أبى مسلم و اسم أبيه، فقيل: اسمه عبد الرحمن بن مسلم بن شقيرون بن إسفنديار، و قيل: عبد الرحمن بن عثمان بن يسار، و قيل: عبد الرحمن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۳۶

ابن محمد، و سمّاه أبو بكر الخطيب إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سدوس بن جودر من ولد يزدجرد، و قيل: إنما سماه عبد الرحمن الإمام إبراهيم بن محمد بن على العبّاسىّ، و كنّاه: أبا مسلم، و كانت كنيته: أبا اسحاق، و كان مولده سنة مائة بأصبهان. ا ه. و فيها توفّى صفوان بن صالح بن صفوان أبو عبد الملك الدمشقىّ الثقفىّ ولد سنة ست و سبعين، و كان فقيها زاهدا عابدا، و كان يؤذّن بجامع دمشق.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و ستة أصابع، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و ستة أصابع.

ذكر ولاية أبى عون الثانية على مصر

كانت ولايته هذه الثانية على مصر من قبل صالح بن علىّ العباسىّ لما توجّه الى فلسطين كما تقدّم ذكره، ثم أقرّه الخليفة أبو جعفر المنصور على إمرة مصر على صد؟؟؟ها و خراجها معا، و كان يوم دخول أبى عون المذكور الى مصر يوم سادس عشرين شهر رمضان من سنة سبع و ثلاثين و مائة، و جعل على شرطته عكرمة بن عبد اللّه و على الدواوين عطاء بن شرحبيل، و دام أبو عون على صلاة مصر و خراجها معا الى أن قدم الخليفة أبو جعفر المنصور الى بيت المقدس، فكتب بطلب أبى عون المذكور الى عنده ببيت المقدس و أمره بأن يستخلف على مصر، فاستخلف أبو عون المذكور عكرمة على الصلاة و عطاء بن شرحبيل على الخراج، و خرج من مصر فى النصف من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى و أربعين و مائة، فلما وصل أبو عون الى المنصور ببيت المقدس عزله عن إمرة مصر و ولّى عليها موسى بن كعب، فكانت ولايته

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۳۷

هذه الثانية على مصر ثلاث سنين و ستة أشهر، و دام أبو عون فى صحبة الخليفة أبى جعفر المنصور، و حضر وقعة الرّاوندىّة مع المنصور، و الرّاوندية: قوم من أهل خراسان على رأى أبى مسلم صاحب الدعوة يأتى ذكرهم فى الحوادث فى سنة الواقعة مع المنصور.

*** السنة الأولى من ولاية أبى عون الثانية على مصر و هى سنة ثمان و ثلاثين و مائة- فيها بعث أبو جعفر المنصور لقتال ملبّد الشّيبانىّ خازم بن خزيمة، فسار خازم فى ثمانية آلاف فارس، و كان ملبّد هذا قد خرج على المنصور من أوّل خلافته فالتقوا فقتل ملبّد بعد حروب كثيرة. و فيها غزا صالح بن علىّ الروم على دابق، و قد تقدّم ذكر ذلك فى ترجمته و أخذ ملطية، و كانت الروم أخذوها من مدّة سنين. و فيها حجّ بالناس الفضل بن صالح بن علىّ العباسىّ من الشام من عند أبيه. و فيها توفّى زيد ابن واقد الدمشقىّ؛ و فيها ظهر عبد اللّه بن على العباسىّ و بعث بالبيعة مع أخيه سليمان متولّى البصرة إلى أبى جعفر المنصور فأمنه أبو جعفر المذكور و عفا عنه. و فيها دخل عبد الرحمن بن معاوية الأموىّ الى الأندلس و استولى عليها و امتدّت أيامه و بقيت الأندلس فى يد أولاده الى بعد الأربعمائة، و كان هرب من بنى العباس الى المغرب و دخل الأندلس، فسمّى بعبد الرحمن الداخل، يأتى ذكره و ذكر أولاده من بعده فى عدّة أماكن من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

و ذكر الذهبىّ وفاة جماعة كثيرة فى هذه السنة، قال: و توفّى زيد بن واقد القرشىّ بدمشق، و سهيل بن أبى صالح فى قول، و سليمان بن فيروز أبو إسحاق

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۸

الشیبانیّ فی قول، و العلاء بن عبد الرحمن المدنیّ، و عبد الرحمن بن الحارث بن عبد اللّه المخزومیّ فی قول، و علقمة بن أبی علقمة فی قول، و عمرو بن أبی عمرو مولی المطلب فی قول، و لیث بن أبی سلیم فی قول، و المسور بن رفاعة القرظیّ المدنیّ.

أمر النیل فی هذه السنة الماء القدیم ثلاثة أذرع و أربعة عشر إصبعا، مبلغ الزیادة سبعة عشر ذراعا و سبعة أصابع.

*** السنة الثانیة من ولایة أبی عون الثانیة علی مصر و هی سنة تسع و ثلاثین و مائة- فیها حج جعفر بن حنظلة البهرانی فأتی ملطیة و هی خراب فعسکر بها، و أقبل الأمیر عبد الواحد فنزل علی ملطیة فزرع أرضها و طبخ کلسا لبناء سورها، ثم خرج عنها لأمر اقتضی ذلک، فأرسل طائفة الروم من أحرق الزرع. و فیها خرج الأمیر صالح بن علی المقدّم ذکره و العباس بن محمد فأوغلا فی بلاد الروم، و غزتا معهما أمّ عیسی و لبابة أختا الأمیر صالح بن علی المذکور و عمّتا المنصور الخلیفة، و کانتا نذرتا إن زال ملک بنی أمیّة أن تجاهدا فی سبیل اللّه، و بعد هذا العام لم یکن غزو الی سنة ست و أربعین و مائة لاشتغال الخلیفة المنصور بخروج ابنی عبد اللّه بن الحسن علیه. و فیها عزل المنصور عمّه سلیمان بن علیّ عن البصرة و ولّی علیها سفیان ابن سعید. و فیها اختفی عبد اللّه بن علیّ و ابنه خوفا علی أنفسهما، و عبد اللّه هذا هو الذی کان خرج علی المنصور و اختفی عند أخیه سلیمان الذی عزل عن البصرة فی هذا العام ثم ظفر به المنصور و سجنه. و فیها حجّ بالناس العباس ابن أخی المنصور.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۹

و فیها فی قول صاحب المرآة: وصل عبد الرحمن بن معاویة بن هشام بن عبد الملک ابن مروان الی جزیرة الأندلس و ملکها، و یسمی عبد الرحمن الداخل، و کنیته أبو المطرّف، و أمّه أمّ ولد و بویع بالأندلس فی هذه السنة، و هو أوّل الخلفاء من بنی أمیّة و أقام علیها ثلاثا و ثلاثین سنة، و قد تقدّم ذکر عبد الرحمن هذا فی الماضیة فی قول الذهبی. و فیها وسّع الخلیفة أبو جعفر المنصور المسجد الحرام مما یلی دار النّدوة.

و فیها توفّی عثمان بن عبد الأعلی بن سراقة الأزدیّ قاضی دمشق فی أیام الولید بن یزید. و فیها توفی عمرو بن مهاجر بن دینار أبو عبید، من الطبقة الرابعة من تابعی أهل الشام.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ثلاثة أذرع و أحد عشر إصبعا، مبلغ الزیادة أربعة عشر ذراعا و عشرون إصبعا.

*** السنة الثالثة من ولایة أبی عون الثانیة علی مصر و هی سنة أربعین و مائة- فیها بنی المصّیصة جبریل بن یحیی و سکنها الناس. و فیها ثار جمع من جند خراسان علی أمیرها أبی داود خالد بن إبراهیم لیلا حتی وصلوا الی داره فأشرف علیهم و جعل ینادی أصحابه فانکسرت به آجرّة فوقع من أعلی داره فانکسر ظهره و مات من الغد، فبعث الخلیفة أبو جعفر المنصور علی إمرة خراسان عوضه عبد الجبّار بن عبد الرحمن

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۴۰

الأزدیّ، فسار المذکور و قبض علی جماعة من أهل خراسان و قتلهم. و فیها توجّه الأمیر عبد الوهاب بن إبراهیم بن محمد العبّاسیّ ابن أخی الخلیفة أبی جعفر المنصور الی ملطیة فأقام بها سنة حتی بناها ورمّ شعثها و أسکنها الناس. و فیها حجّ بالناس الخلیفة أبو جعفر المنصور و عاد من الحج فزار بیت المقدس و سلک الشأم فی طریقه و نزل الرّقّة فقتل بها منصور بن جعفر العامریّ ثم سار الی الهاشمیّة و هی مدینة الکوفة و أمر بالشروع فی بناء مدینة بغداد و اختطّها.

و ذکر الذهبیّ بناء بغداد فی سنة خمس و أربعین و مائة قال: و فی هذه السنة أسّست مدینة السلام بغداد و هی التی تدعی مدینة المنصور، سار المنصور یطلب موضعا یتّخذه بلدا فبات لیلة موضع القصر، فطاب له المبیت و لم یر إلا ما یحبّ، فقال:ها هنا ابنوا فإنه طیّب و یأتیه مادّة الفرات و دجلة و الأنهار، فخطّ بغداد و وضع أوّل لبنة بیده و قال: بسم اللّه و باللّه و الحمد للّه ابنوا علی برکة اللّه؛ و سأل راهبا هناک عن أمر الأرض و صحّتها و قال: هل تجدون فی کتابکم أن تبنی‌ها هنا مدینة؟ قال: نعم؛ یبنیها مقلاص، قال: فأنا

كنت أدعى بذلك، و طلب المنصور الصنّاع و الفعلة من البلاد و أحضر المهندسين و الحكماء و العلماء، و كان فيمن أحضر حجّاج بن أرطاة و أبو حنيفة، و رسمت له بالرماد سورها و أبوابها و أسواقها، ثم بنيت حتى كمل المهمّ منها فى عام و الباقى فى أربع سنين، و كانت بقعة بغداد مزرعة تدعى المباركة لستين نفسا فعوّضهم المنصور عنها و أرضاهم، و قيل: إنه ليس فى الدنيا مدينة مدوّرة سواها، و عمل فى وسطها دار المملكة بحيث إنه اذا كان فى قصره كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۴۱

جميع أطراف البلد إليه سواء، و سكنها المنصور و نقل إليها خزائنه، و قيل سعتها مائة و ثلاثون جريبا، و أنفق عليها مائة ألف ألف درهم.

و قال بدر المعتضدىّ قال لنا أمير المؤمنين: انظروا كم سعة مدينة المنصور؟

فحسبنا فإذا هى ميلان مكسران فى ميلين، و قيل: مسافة ما بين كل باب و باب ألف و مائتا ذراع، و كلّها مبنيّة بالآجر و اللّبن، و اللّبنة ذراع فى ذراع، وزنتها مائة رطل و سبعة عشر رطلا. و لها أربعة أبواب بين الباب و الباب ثمانية و عشرون برجا و عليها سوران، ثم بنى الجامع و القصر، و فى صدر القصر القبّة الخضراء، ارتفاعها ثمانون ذراعا، و دامت حتى سقط رأسها فى ليلة مطر و رعد فى سنة تسع و عشرين و ثلاثمائة؛ و كان لا يدخل هذه المدينة أحد راكبا سوى المنصور و ابنه محمد المهدىّ.

و قال الصّولى قال أحمد بن أبى طاهر: ذرع بغداد- يعنى الجديدة- ذرع الجانبين ثلاثة و خمسون ألف جريب، و فى نسخة أخرى غير رواية الصّولى:

أنها من الجانبين ثلاثة و أربعون ألف جريب و سبعمائة، قال الصّولى و ذكر ابن أبى طاهر: أن عدد حمّاماتها كانت ذلك الوقت ستين ألفا، و قال: أقلّ ما يدير كل حمام خمسة أنفس، و ذكر أن بإزاء كل حمّام خمسة مساجد.

قال الذهبىّ: و كذا نقل الخطيب فى تاريخه، و ما أعتقد أنا هذا قط و لا عشر ذلك، ثم قال الخطيب: حدّثنى هلال بن الحسن قال: كنت بحضرة جدّى إبراهيم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۴۲

ابن هلال الصابى فقال تاجر: يذكر أن ببغداد اليوم ثلاثة آلاف حمّام فقال جدّى:

سبحان اللّه! هذا سدس ما كنّا عددناه و حصرناه زمن الوزير المهلّبىّ، ثم كانت فى دولة عضد الدولة بن بويه خمسة آلاف. و نقل ابن خلّكان أن استكمال بغداد كان فى سنة تسع و أربعين و مائة، و هى بغداد القديمة التى بالجانب الغربىّ على دجلة، و بغداد اليوم هى الجديدة بالجانب الشرقىّ؛ و فيها دار الخلافة. انتهى كلام الذهبى و غيره باختصار. و قد خرجنا عن المقصود فى هذا الكتاب لكثرة الفوائد. و فيها توفّى منصور بن جعونة بن الحارث بن خالد العامرىّ كان ممّن خرج على بنى العباس و امتنع عن بيعتهم.

و ذكر الذهبىّ وفاة جماعة فى هذه السنة قال: و فيها توفى أيّوب أبو العلاء القصّاب، و داود بن أبى هند فى أوّلها، و أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج، و سهيل ابن أبى صالح، و سعد بن إسحاق بن كعب، و صالح بن كيسان، و عروة بن رويم.

و قيل: و فيها توفّى عمارة بن غزيّة الأنصارىّ، و عمرو بن قيس السّكونىّ الحمصىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و ثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و عشرون إصبعا و نصف.

ذكر ولاية موسى بن كعب على مصر

هو موسى بن كعب الأمير أبو عيينة التّميمىّ، أحد نقباء بنى العباس، ولاه الخليفة أبو جعفر المنصور على إمرة مصر بعد عزل أبى عون، فدخل مصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۴۳

لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة إحدى و أربعين و مائة و سمّاه صاحب «البغية» موسى بن كعب بن عيينة. ا ه.

قلت: و ولّى على صلاة مصر و خراجها معا، و نزل العسكر المقدّم ذكره و سكنه، و جعل على شرطته عكرمة بن عبد اللّه و باشر أمر مصر بحرمة وافرة، و نهى الجند أن يتوجّهوا اليه أو يتكلّموا معه إلا- فى أمر مهمّ و لا- يفعلوا به كما كانوا يفعلون بالأمراء من قبله، فانتهوا عنه حتى إنه لم يمكّن أحدا أن يجتاز ببابه إلا من له عنده حاجة أو أذن له فى ذلك. و موسى هذا هو أوّل من بايع أبا العباس السفّاح بالخلافة فى مبدأ أمره و أخرجه إلى الناس، و كان هو القائم بأمر بنى العباس مع أبى مسلم الخراسانىّ، و كان موسى هذا يسافر إلى البلاد و يدعو الناس للقيام مع بنى العباس حتى قبض عليه أسد بن عبد اللّه القسرىّ عامل خراسان يوم ذاك لبنى أمية، فأمر به أسد فألجم بلجام و كسرت أسنانه و عوقب ثم أطلق بعد شدائد، فلما صار الأمر الى بنى العباس أمالوا الدنيا عليه، و كان قاسى الأهوال بسبب دعوتهم و عذّب و حبس كما سيأتى ذكره، و كان يقول لما ولى مصر: كانت لنا أسنان و ليس عندنا خبز، فلما جاء الخبز ذهبت الأسنان؛ و كان أبو جعفر المنصور يعظّمه و يجلّ مقداره، و كان جعله على شرطته ثم ولّاه مصر مكرها و أضاف له السّند، فلم تطل مدّته على إمرة مصر و عزله أبو جعفر المنصور فى ذى القعدة كما سيأتى ذكره بمحمد بن الأشعث، و كتب إليه المنصور: إنى عزلتك عن غير سخط، و لكن بلغنى أنّ عاملا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۴۴

يقتل بمصر يقال له موسى، فكرهت أن تكونه؛ فأخذ موسى كلام المنصور لغرض من الأغراض، فقتل بعد ذلك بسنين موسى بن مصعب، فى خلافة محمد المهدىّ كما سيأتى ذكره إن شاء اللّه، و لما صرف موسى بن كعب عن إمرة مصر استخلف على الجند خالد بن حبيب و على الخراج نوفل بن الفرات، و خرج موسى هذا من مصر لستّ بقين من ذى القعدة سنة إحدى و أربعين و مائة، و كانت ولايته على مصر سبعة أشهر و أياما، و لما خرج من مصر سار حتى قدم على الخليفة أبى جعفر المنصور فأكرم الخليفة نزله و ولّاه على الشّرطة ثانيا، و مات بعد مدّة يسيرة، و قيل: إنه توجّه مريضا فمات فى أثناء قدومه و لم يل الشرطة و لا غيرها، و على القولين فإنه مات فى هذه السنة رحمه اللّه تعالى.

و أما أمر موسى هذا مع أسد و كان ذلك فى سنة سبع عشرة و مائة فإنه كان خرج هو و سليمان بن كثير و مالك بن الهيثم و لاهز بن قريظ و خالد بن إبراهيم و طلحة ابن زريق فدعوا الناس لبنى العباس، فظهر أمرهم فقبض عليهم أسد بن عبد اللّه و قال لهم: يا فسقة، أ لم يقل اللّه تعالى: عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَ مَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ فقال له سليمان بن كثير: نحن و اللّه كما قال الشاعر:

لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصّان بالماء اعتصارى

صيدت و اللّه العقارب بيديك.

إنّا أناس من قومك و إنّ المضريّة رفعوا إليك هذا لأننا كنا أشدّ الناس على قتيبة ابن مسلم فطلبوا بثأرهم، فحبسهم و أطلق من كان معهم من أهل اليمن لأنه كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۴۵

منهم، و أراد قتل من كان من مضر، فدعا موسى بن كعب هذا و ألجمه بلجام حمار و جذب اللّجام فتحطّمت أسنانه و دقّ وجهه و أنفه، ثم دعا لاهز بن قريظ و ضربه ثلثمائة سوط.

*** السنة التى حكم فيها موسى بن كعب على مصر و هى سنة إحدى و أربعين و مائة فيها كان عزله و ولايته. و فيها كانت وقعة الرّاوندىّة ببغداد، و هم قوم من خراسان على رأى أبى مسلم الخراسانى، يقولون بتناسخ الأرواح، فيزعمون أن روح آدم عليه السلام حلّت فى عثمان بن نهيك، و أنّ المنصور هو ربهم، و أنّ الهيثم بن معاوية هو جبريل، و أتوا قصر المنصور و جعلوا يطوفون به، فقبض المنصور على مائتين منهم و حبسهم فغضب الباقون، فعمدوا الى نعش فارغ و حملوه يزعمون أنها جنازة و مرّوا بها على باب السجن، فشدّوا على أهل السجن بالسلاح حتى فتحوا باب السجن، و أخرجوا أصحابهم و قصدوا المنصور، فخرج اليهم المنصور على غفلة

فكانت بينهم وقعة كاد المنصور أن يقتل فيها، و قتل عثمان بن نهيك بسهم ثم وضع المنصور فيهم السيف. و فيها عزل الخليفة أبو جعفر المنصور زياد بن عبيد اللّه الحارثى عن مكة و المدينة و الطائف و ولّى محمد بن خالد بن عبد اللّه القسرىّ المدينة، و ولى الهيثم بن معاوية مكّة و الطائف. و فيها توفى موسى بن عقبة بن أبى عيّاش المدنىّ أبو محمد صاحب المغازى مولى آل الزبير بن العوّام، و مغازيه فى مجلد صغير، أدرك سهل بن سعد و حدّث عن أم خالد بنت خالد و عن عروة و كريب و أبى سلمة بن عبد الرحمن و الأعرج و حمزة بن عبد اللّه بن عمرو الزهرى و خلق، و حدّث عنه ابن جريج و الإمام مالك و عبد اللّه بن المبارك و ابن عيينة و غيرهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۴۶

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و خمسة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و ثمانية أصابع.

ذكر ولاية محمد بن الأشعث على مصر

هو محمد بن الأشعث بن عقبة بن أهبان الخزاعىّ أمير مصر، وليها من قبل المنصور بعد عزل موسى بن كعب التميمىّ، ولّاه أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور على الصلاة و الخراج معا و قدم مصر فى يوم الاثنين خامس ذى الحجّة من سنة إحدى و أربعين و مائة، و ولّى على شرطته المهاجر بن عثمان الخزاعىّ ثم عزله و جعل عوضه محمد بن معاوية الكلاعىّ مكانه. و لما استقرّ محمد بن الأشعث هذا فى إمرة مصر، أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور الى نوفل بن الفرات أن يعرض على محمد بن الأشعث ضمان خراج مصر، فإن ضمنه فأشهد عليه و أشخص الىّ الشهادة، و إن أبى فكن أنت على الخراج عادتك، فعرض نوفل على ابن الأشعث هذا الكلام فأبى من الضّمان، فانتقل نوفل إلى الدواوين ففقد محمد بن الأشعث من عنده فسأل عنهم، فقيل له: هم عند صاحب الدواوين، فندم ابن الأشعث على ما وقع منه من ترك الخراج، ثم جهّز ابن الأشعث جيشا بعث به الى المغرب فانهزم الجيش، و خرج ابن الأشعث يوم الأضحى سنة اثنتين و أربعين و مائة و توجّه إلى الاسكندرية و استخلف محمد بن معاوية صاحب شرطته على الصلاة و لم يكن إلا القليل و ورد عليه البريد بعزله عن إمرة مصر، و ولى مصر عوضه حميد بن قحطبة و ذلك فى أوائل سنة ثلاث و أربعين و مائة، و خرج محمد بن الأشعث بعد عزله عن مصر و توجّه الى الخليفة المنصور فأكرمه أبو جعفر المنصور و جعله من أكابر أمرائه، و دام عنده حتى وجّهه المنصور مع ابنه محمد المهدىّ إلى غزو الروم فتوجّه محمد بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۴۷

الأشعث مع المهدىّ هو و الحسن بن قحطبة، فمرض ابن الأشعث فى أثناء الطريق و مات، فكانت ولايته على مصر سنة واحدة و شهرا واحدا، و كان عنده نباهة و شجاعة و معرفة، و هو أحد أكابر أمراء بنى العباس، و قد تقدّم ذكره فى عدّة وقائع، منها واقعة جهور بن مرّار العجلىّ، و أمره أنه خلع الخليفة المنصور بالرّىّ. و كان سبب ذلك أن جهورا لما هزم سنباذ حوى ما كان فى عسكره، و كان فيه خزائن أبى مسلم الخراسانى فلم يوجهها الى المنصور، ثم خاف من المنصور فخلعه من الخلافة، فوجّه اليه أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث هذا فى جيش عظيم، فسار محمد هذا الى نحو الرّىّ، ففارقها جهور و سار نحو أصبهان، و دخل محمد الرىّ و ملك جهور أصبهان، فأرسل اليه محمد عسكرا و بقى هو بالرّىّ، فأشار على جهور بعض أصحابه أن يسير فى نخبة من عسكره الى جهة محمد بن الأشعث فأنه فى قلّة، فإن ظفر به فلم يكن [لمن] بعده بقيّة، فسار جهور إليه مجدّا، و بلغ محمدا خبره فحذر و احتاط و أتاه عسكر من خراسان فقوى بهم فالتقوا بقصر الفيروزان بين الرىّ و أصبهان فاقتتلوا قتالا عظيما، و مع جهور نخبة فرسان العجم، فهزم جهور و قتل من أصحابه خلق كثير، فهرب جهور و لحق بأذربيجان ثم قتل بعد ذلك بأسبار قتله أصحابه و حملوا رأسه الى أبى جعفر المنصور؛ و لمحمد هذا عدّة مواقف و أمور يطول شرحها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۴۸

*** السنة التى حكم فيها محمد بن الأشعث على مصر و هى سنة اثنتين و أربعين و مائة- فيها خرج عيينة بن موسى متولّى السند عن الطاعة، فخرج الخليفة أبو جعفر المنصور الى البصرة و جهّز عمرو بن حفص العتكى على السّند لمحاربة ابن موسى المذكور، فسار و غلب على الهند و السّند. و فيها نقض إصبهبذ طبرستان و قتل من بها من المسلمين، فانتدب لحربه خازم بن خزيمة و روح بن حاتم و أبو الخصيب مرزوق مولى المنصور، فحاصروه حتى ظفروا بالمدينة و قتلوا و سبوا، فلما رأى إصبهبذ ذلك مصّ سمّا كان فى خاتمه فهلك، و كان من جملة السّبى شكلة أمّ إبراهيم ابن المهدى الآتى ذكرها و ذكره فى الحوادث. و فيها ولّى الخليفة أبو جعفر المنصور أخاه العباس بن محمد على الجزيرة. و فيها توفّى حميد بن أبى حميد الطويل كان ثقة كثير الحديث، أسند عن أنس و غيره، و روى عنه الإمام مالك و غيره.

و ذكر الذهبىّ وفاة جماعة فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أسلم المنقرىّ، و حبيب بن أبى عمرة القصاب، و الحسن بن عبيد اللّه، و الحسن بن عمرو الفقيمى، و أبو هانئ حميد بن هانئ الخولانى المصرىّ، و حميد الطويل فى قول، و خالد الحذّاء، و سعد بن إسحاق بن كعب فى قول، و الأمير سليمان بن على بن عبد اللّه بن العبّاس، و عاصم بن سليمان الأحول، و عمرو بن عبيد المعتزلىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و إصبع واحد، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و ثلاثة عشر إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۴۹

ذكر ولاية حميد بن قحطبة على مصر

هو حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان الطائى أمير مصر، وليها من قبل الخليفة أبى جعفر المنصور بعد عزل محمد بن الأشعث فى أوائل سنة ثلاث و أربعين و مائة، جمع له أبو جعفر المنصور صلاة مصر و خراجها معا، فدخل الى مصر فى عشرين ألفا من الجند يوم الجمعة لخمس خلون من شهر رمضان سنة ثلاث و أربعين و مائة، فجعل على الشرطة محمد بن معاوية بن بحير، و قبل أن تطول مدّته بمصر ورد عليه عسكر آخر من قبل الخليفة لغزو إفريقية، و كان قدوم العسكر المذكور إلى مصر فى شوّال من السنة، فجهّز حميد العساكر و جعل عليهم أبا الأحوص العبدىّ، و كان العسكر ستة آلاف فارس، فتوجّه أبو الأحوص بمن معه من العساكر حتى التقى مع أبى الخطاب الأنماطى ببرقة فتقاتلا، فانهزم أبو الأحوص بمن معه إلى جهة الديار المصريّة، فخرج حميد بن قحطبة بنفسه حتى وصل إلى برقة و التقى مع أبى الخطاب المذكور، فقاتله حتى هزمه و قتل أبا الخطاب المذكور و جماعة من أصحابه، ثم عاد الى مصر منصورا، فأقام بها الى أن قدم الى مصر علىّ بن محمد بن عبد اللّه ابن حسن بن الحسن داعية لأبيه فدسّ اليه حميد هذا فتغيب، فكتب ذلك لأبى جعفر المنصور فغضب و صرفه عن إمرة مصر فى ذى القعدة بيزيد بن حاتم،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۵۰

فخرج حميد بن قحطبة من مصر لثمان بقين من ذى القعدة سنة أربع و أربعين و مائة، و كانت ولايته على مصر سنة واحدة و شهرين إلا أياما. و لما خرج حميد بن قحطبة المذكور من مصر توجّه الى الخليفة أبى جعفر المنصور فأكرمه الخليفة و جعله من جملة أمرائه، و وجّهه بعد ذلك لغزو إرمينيّة فى سنة ثمان و أربعين و مائة فسار ثم عاد و لم يلق حربا، ثم أرسله الخليفة أبو جعفر المنصور أيضا فى سنة اثنتين و خمسين و مائة لغزو كابل، ثم ولّاه بعد ذلك إقليم خراسان مدّة، ثم نقله الى عمل خراسان فأقام بها مدّة طويلة الى أن مات فى خلافة المهدىّ سنة تسع و خمسين و مائة، و كان أميرا شجاعا مقداما عارفا بأمور الحروب و الوقائع، و تنقّل فى الأعمال الجليلة، معظّما عند بنى العباس، و قد تقدّم ذكر ما حضره حميد هذا مع أبيه قحطبة من الوقائع فى ابتداء دعوة بنى العبّاس، ثم قام هو و أخوه الحسن بن قحطبة فى دعوتهم، و قاتلوا جيوش مروان بن محمد؟؟؟ لى أن هزموه و تمّ أمر بنى العباس؛ فعرفوا لحميد ذلك، و ولّوه الأعمال الجليلة الى أن مات فى التاريخ المقدّم ذكره.

*** السنة الأولى من ولاية حميد بن قحطبة على مصر و هى سنة ثلاث و أربعين و مائة- فيها بلغ المنصور أن الدّيلم قد أوقعوا

بالمسلمين و قتلوا منهم خلائق، فندب أبو جعفر المنصور الناس للجهاد. و فيها عزل المنصور الهيثم عن إمرة مكة بالسّرىّ ابن عبد اللّه بن الحارث بن العباس العباسىّ. و فيها حجّ بالناس عيسى بن موسى ابن محمد بن علىّ الهاشمىّ العبّاسىّ أمير الكوفة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۵۱

قال الذهبىّ: و فى هذا العصر شرع علماء الإسلام فى تدوين الحديث و الفقه و التفسير، و صنّف ابن جريج التصانيف بمكة، و صنّف سعيد بن أبى عروبة و حمّاد بن سلمة و غيرهما بالبصرة، و صنّف أبو حنيفة الفقه و الرأى بالكوفة، و صنّف الأوزاعىّ بالشأم، و صنّف مالك الموطأ بالمدينة، و صنف ابن إسحاق المغازى، و صنّف معمر باليمن، و صنّف سفيان الثّورىّ كتاب الجامع، ثم بعد يسير صنّف هشام كتبه، و صنّف اللّيث بن سعد و عبد اللّه بن لهيعة، ثم ابن المبارك و القاضى أبو يوسف يعقوب و ابن وهب، و كثر تبويب العلم و تدوينه، و رتّبت و دوّنت كتب العربية و اللغة و التاريخ و أيّام الناس، و قبل هذا العصر كان سائر العلماء يتكلّمون عن حفظهم و يروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتّبة؛ فسهل و للّه الحمد تناول العلم فأخذ الحفظ يتناقص، فللّه الأمر كله انتهى كلام الذهبىّ. و فيها توفّى سليمان ابن طرخان أبو القاسم التّيمىّ، من الطبقة الرابعة من تابعى [أهل] البصرة، كان من العبّاد المجتهدين، و كان يصلّى الغداة بوضوء العشاء سنين عديدة. و فيها توفّى يحيى ابن سعيد أبو سعيد الأنصارىّ القاضى الفقيه، من الطبقة الخامسة من أهل المدينة، قدم على الخليفة أبى جعفر المنصور بالكوفة فاستقضاه على الهاشميّة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۵۲

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و ثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و عشرة أصابع سواء.

*** السنة الثانية من ولاية حميد بن قحطبة على مصر و هى سنة أربع و أربعين و مائة- فيها غزا محمد بن أبى العباس السفّاح الدّيلم بجيش الكوفة و البصرة و واسط و الجزيرة. و فيها قدم محمد المهدىّ ابن الخليفة على أبيه أبى جعفر المنصور من خراسان و قد بنى بابنة عمه ريطة بنت السفّاح. و فيها حجّ بالناس الخليفة ابو جعفر المنصور، و خلّف على العسكر خازم بن خزيمة، فاستعمل على المدينة رياح بن عثمان المزنىّ و عزل محمد القسرىّ. و كان المنصور قد أهمّه شأن محمد و ابراهيم ابنى عبد اللّه بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، لتخلّفهما عن الحضور الى عنده مع الأشراف، و ما كفاه ذلك حتى قيل له: إن محمد بن عبد اللّه المذكور ذكر أن المنصور لما حجّ قبل أن يلى الخلافة فى حياة أخيه السفّاح و كان ممّن بايع له ليلة اشتور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة حين اضطرب ملك بنى أمية. قلت: لعلّ ذلك كان قبل أن يلى السفّاح الخلافة و قبل قتل مروان الحمار. ا ه. و كان أبو جعفر المنصور سأل زيادا متولّى المدينة عنهما قبل ذلك؛ فقال: ما يهمّك [من أمرهما] يا أمير المؤمنين، أنا آتيك بهما، فضمّنه إياهما فى سنة ست و ثلاثين و مائة و لم يف زياد بالضّمانة، و صار المنصور فى أمر عظيم من جهة عبد اللّه و ابنيه، و طال عليه الأمر، و عبد اللّه و ولداه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۵۳

فى اختفائهم، حتى قبض المنصور على عبد اللّه المذكور و حبسه و حبس معه جماعة كثيرة من بنى حسن، و هم حسن و ابراهيم ابنا حسن بن الحسن، و حسن بن جعفر ابن حسن بن الحسن، و سليمان و عبد اللّه ابنا داود بن حسن بن الحسن، و سهيل و إسحاق ابنا ابراهيم المذكور، و عيسى بن حسن بن الحسن، و أخوه علىّ القائم؛ فقيّد المنصور الجميع و حبسهم، [و جهر على المنبر بسبّ محمد بن عبد اللّه و أخيه فسبّح الناس و عظّموا ما قال، فقال رياح: ألصق اللّه بوجوهكم الهوان، لأكتبنّ الى خليفتكم غشّكم و قلّة نصحكم، فقالوا: لا نسمع منك يا بن المحدودة، و بادروه يرمونه بالحصى، فنزل و اقتحم دار مروان و أغلق الباب، فخفّ بها الناس، فرموه و شتموه ثم إنهم كفّوا، ثم إن آل حسن حملوا فى أقيادهم إلى العراق]. و فيها توفى صالح بن كيسان أبو محمد، من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، كان يؤدّب [ولد] عمر بن عبد العزيز بن مروان و أولاد الوليد بن عبد الملك، ثم ضمّه عمر بن عبد العزيز الى نفسه، و كان قد جمع بين الفقه و الحديث و الدين و المروءة. و فيها توفى عبد اللّه بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۵۴

شبرمة الضبّىّ أبو شبرمة، من الطبقة الرابعة من أهل الكوفة، كان فقيها ديّنا حسن الخلق قليل الحديث.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و أحد عشر إصبعا، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و اثنا عشر إصبعا.

انتهى الجزء الأوّل من النجوم الزاهرة و يليه الجزء الثانى و أوّله ذكر ولاية يزيد بن حاتم على مصر

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد

جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹